
٨ قروش
كتابي
حلمي مراد
حياة موسوليني
وكتب أخرى

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثانى والعشرون (السنة الثانية) : ديسمبر ١٩٥٣
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٦٥٦٠٨

اشترك فى هذا الاستفتاء :

الزوجة التى يفضلها الرجل

عزيزى القارىء ..

◆ فى قصتى المصرية المنشورة على الصفحات التالية بعنوان «ضلال قلب»، عالجت قضية طريفة احب ان تشاركنى فيها برأيك ، وتدلى فيها بدلوك .. تلك هى قضية مفاضلة الرجال فى مجتمعنا الحاضر بين الزوجة ذات النصيب المتوسط من التعليم ، الذى يسمح لها بأن تحتفظ بطابع انوثتها الفطرية الخالصة : طابع «الضعف» ، والطاعة ، والخضوع للرجل .. وبين الزوجة العصرية «الجامعية» التى تنزل الى ميادين الرجال وتمارس اعمالهم وحقوقهم ، فتقوى شخصيتها - على حساب انوثتها ! - بحيث تلتحم مع شخصية الرجل التحام الند للند ، وتناقش آراءه .. وتخطئه !

والموضوع كما ترى شائك مثير ، وخطير ، نلمسه كل يوم فى مجتمعنا المعاصر ونشهد الكثير من أمثلة اختلاف وجهات النظر بشأنه ، وتباين الآراء فى صدده ، بحيث تجد لكلا الرأيين المتضادين انصارا واشياعا متحمسين، وخصوما ألداء متحاملين ! .. لذلك رأيت أن أشركك معى فى بحث هذه القضية فأطرحها على بساط البحث على صفحات «كتابى» ، على أن يكون ذلك بمثابة استفتاء عام لافراد الجنسين ، يساهمون فيه بآرائهم ، وحججهم .. **فاكتب الى برأيك على ان لا يزيد على نحو ٨٥٠ كلمة (اى نحو ثلاث صفحات من كتابى) ، وأن يصلنى قبل يوم ٥ يناير القادم .. وسيمنح صاحب أحسن رد، (بغض النظر عن الرأى الذى ينحاز اليه من الرأيين موضوع البحث) جائزة مالية قدرها خمسة جنيهات .. كما سينشر الرد الفائز بالجائزة فى عدد أول فبراير من كتابى باذن الله ، مصحوبا ببيان الرأى الذى انحازت اليه الاغلبية ، والرأى الذى لم تؤيده غير الاقلية ..!**

حلمى مراد

كتابى

اعداد نفدت

كتابى الاول :	« خطايا الحب »	وكتب	اخرى	مارس	١٩٥٢
كتابى الثانى :	« قلب عذراء »	«	«	ابريل	«
كتابى الثالث :	« الهاربة من الجنة »	«	«	مايو	«
كتابى الرابع :	« حواء الجديدة »	«	«	يونية	«
كتابى السادس :	« جريمة حب »	«	«	اغسطس	«

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى الخامس «**أحدب نوتردام**» ، والسابع «**عشيقة نابليون**» ، والثامن «**مذكرات كيوبيد**» ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر «**عندما تحقد المرأة**» ، والثانى عشر «**لعبة الحب والموت**» ، والثالث عشر «**توبة خاطئة**» ، والرابع عشر «**ايها الربيع ترفق**» ، والخامس عشر «**الشيطان على الارض**» ، والسادس عشر «**ليدى هاملتون**» ،والسابع عشر «**الارملة المرحة**» والثامن عشر «**حياة جورج صاند**» ، والتاسع عشر «**حياة سارة برنار**» ، والعشرون «**رباعيات عمر الخيام**» ، والحادى والعشرون «**حياة بيتهوفن**»

◆ وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، و١٦ ، وثمن كل منهما بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرون وثمنه عشرون قرشا (تحديدا للمطلبات نظرا لوشك نفاده وعدم امكان اعادة طبعه)

◆ **ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .**

الاشـــتراكات

◆ وتشمل ضمنا الاعداد الممتازة ايضا ـ وترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة

◆ قيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٠٠ قرش ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٥٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن .. الخ) ترسل القيمة بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد فى كل بلد **MONEY ORDER** وتحتسب القيمة بما يوازى ١١٠ قروش (عن سنة) و٦٠ قرشا (عن نصف سنة) ـ أو تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت وفى بغداد (بشارع السنك ، بغداد)



قصة مصرية : للمحرر

ضلال قلب

- ١ -

ـ جلال ٠٠ انك تخفى عنى شيئا !
ـ دعى عنك هذه الاوهام يا سلوى ٠٠
ـ أوهام ؟ آه لو تقلع عن عادتك هذه ، انك دائما تلجأ الى مخدر قبل أن تسقينى الحقائق المرة !٠٠ فهلا وفرت على نفسك هذا العناء ، وأشركتنى فى متاعبك ؟ انها غالبا تافهة ٠٠ انك دائما تغالى ، وتخلق « من الحبة قبة » !٠٠ ومع ذلك فانى لست طفلة ، وقلبى قد نبت فيه الريش ، وصار فى وسعه أن يحمل عنك بعض أثقالك ٠٠ جلال !٠٠ بالله لا تغضبنى ٠٠ وتتعبنى!

٠٠ ورق نغمها وهى تدلله ، بهمساتها ونجواها ٠٠ ثم تناولت رأسه بين يديها وأدارت وجهه اليها كى تقبل ما بين عينيه ٠٠ **فأيدت نظرته شكوكها ! ان سحابة تخيم على حدقتيه، انه مهموم ! ترى ما الذى يشجيه؟ لو أنه أراح رأسه على صدرها، وأغمض عينيه ، وأفرغ أساه فى أذنيها ، كعادته ٠٠؟**

لكنه ظل جامدا ، صامتا !٠٠ وحين افترقا ، وودعته بابتسامة قلقة ، أحس بنصل يمزق قلبه ٠٠ وبأنه ناقم على نفسه ، وضعفه !٠٠ انها ثالث مرة يتأهب فيها لمكاشفتها بالقطيعة ٠٠ ثم يتخاذل ، فلا يجرؤ !

لم يكد يراها مطمئنة ضاحكة ، حتى ثقل لسانه ٠٠ فلم يتكلم ! لم يقل لها انه انما جاء لينعى اليها هواه الرضيع ، ويهيل عليه تراب السلوان ٠٠ فان قلبه ـ هذا المتمرد الصغير الذى بيده زمام الروح ، والراحة ! ـ قد تحول عنها ٠٠ واتخذ له قبلة سواها

لم يقل لها شيئا من هذا ٠٠ لم تطاوعه نفسه على أن يباغت بالصدمة قلبها البكر ، فيطفىء هذا الشغف الحنون الضاحك

فى عينيها ! فخرج طاويا سره فى صدره ٠٠ لكنه كان ينوى ألا يعود !

٠٠ ومضى فى الطريق المقمر الساكن ، يقتلع خطواته اقتلاعا، وهو يحس أنه فى كل خطوة يقتلع قطعة من قلبها ٠ ان المسكينة لم تأت ذنبا !٠٠ لكنه هو أيضا لم يرتكب اثما ٠ ان من حقه أن يفكر فى سعادته ، وعقله يقسم له انها لن تسعده ٠٠ بل انه ليقسم له أيضا انه لم يحببها يوما حبا خالصا ٠٠ **ما أحبها الا بعينيه وحواسه فقط ٠ أحب فيها حسنها المشرق ، الذى أثمله ولمس فيه وتره الحساس : ولعه بالجمال ، واستجابته له أينما كان ٠٠ كما تستجيب زهرة (عباد الشمس) لمعبودتها، وتتوجه بطلعتها أبدا اليها ، كلما دارت تدور ٠٠ تجذبها اليها النار والنور !**٠٠ انه بدوره (عباد الجمال) ! فتنه فى (سلوى) وجهها الصبوح ، الذى كأنما سوته الطبيعة فى فجر يوم من أيام الربيع ٠٠ وبدنها الغض الذى كأنما صاغته أنامل فنان ، والذى طالما ألهب شبابه فيه ٠٠ وذكره بقيظ الصحراء !٠٠ بل لقد فتنه طهرها الحالم ، ودلالها الساذج ٠٠ وروحها الوديعة ، كحمامة بيضاء !٠٠ لكنه لم يكن قد تبين حين هام بها ، كما يتبين الآن ، أن حسنها لن يكفيه ٠٠ وانهما من عالمين مختلفين ٠٠ بينهما هوة يحلو للناس دائما أن يسقطوها من حسابهم ، ويسموها « فوارق » التعليم والثقافة !٠٠ أما هو فيراها الآن هوة سحيقة بعيدة الغور ، تحرمه من أسمى متع الزواج فى نظره : متعة المشاركة الفكرية والروحية ٠ انه لن يقنع بغير فتاة ترفعها ثقافتها الى مستواه ، ويستطيع فكرها أن يحلق فى الاجواء التى يحلق فيها فكره ٠٠

ولقد طالما أوهم نفسه منذ عرف فتاته ، بأن فتنتها كفيلة بأن تغمض عينيه عن تلك الهوة.٠٠ تفرش فوقها بساطا خلابا زاهى الالوان يعينه على أن يعبرها ، ويلتقى وفاتنته وراءها٠٠

لكنه حين رأى قدمه توشك أن تزل ، أشفق على هنائه من التردى فيها فأجفل فى اللحظة الاخيرة !٠٠ ووقف يرقبها من بعيد ، ويجالد قلبه وضميره ٠٠ وطالت وقفته ، حتى أيقن أنه قد تخفف من هواه ، واعتقل ضميره فى صدره ، فصح عزمه على أن يحييها تحية الوداع ٠٠ ويعود أدراجه !٠٠ نعم ، انه لن يعبر الهاوية التى تفغر فاها في وجهه ، ويشاركها الحياة ٠ لن يتزوج من تافهة ٠٠ من دمية « خرساء الفكر » ، لا يؤهلها جمالها الا لان تزين البيت ٠ كلا ، انه يطمح الى أكثر من هذا ٠٠ **وقد وجد أخيرا ضالته ! ان « الاخرى » تعده بالهناء المنشود ٠٠ لم يكد يقدم اليها فى أحد المجتمعات حتي بهرته شخصيتها، وداهمه احساس من ينتقل بغتة من الظلمة الحالكة الى النور الذى يخطف الابصار ! أحس كأن أفكارها النيرة تنشر حولها هالة من الضياء تغمر جلساءها ! انها جامعية ممتازة ، خلابة الحديث ٠٠ تقرأ وتفكر وتسامر ، وتتصدر المجتمعات ، وتدير دفة النقاش فى كل موضوع ببراعة استهوته ، وأشعرته بأنه قد وجد المرآة التى تنعكس فيها جميع أحـــلامه !** ٠٠ ولكنها أشعرته أيضا باحساس آخر ، لم يخل أول الامر من غضاضة: أحس بأن « الصورة » الاولى التى طالما خلبه رواؤها قد فقدت ألوانها فجأة ٠٠ وغدت الى جانب هذه باهتة الشخصية مطموسة الظلال !٠٠ بل أحس بعمق الهاوية التى كان مسوقا اليها ، فشكر للاقدار أنها أنقذته منها قبل فوات الاوان ، فوضعت « هذه » فى طريقه ٠٠!

٠٠ لكن طيفه الجميل لم يضع سلاحه ويسلم بسهولة ٠٠ فظل قلبه مسرحا لعراك طويل احتدم فيه بين الفتاتين ، حتى انتهى أخيرا بهزيمة الاولى ٠٠ فاحتلت « درية » قلبه بعد أن أجلت عنه غريمتها !٠٠ وعندما أيقنت من النتيجة ، وأثملها النصر ، قبلت أن تلقاه الليلة ــ لاول مرة ــ لقاء غرام !

وأفاق جلال من خواطره وقد بلغ مكان اللقاء ٠٠

- ٢ -



ـ دربة !٠٠ لقد مضت ستة شهور وأنا أراك تزدادين تعلقا بالنادى يوما بعديوم٠٠ النادى، النادى دائما ٠٠ ولكن أيبلغ بك الامر أن تطلبى تغيير موعدلقائنا غدا كى تذهبى الى النادى ! أما تكفيك بقية أيام الاسبوع ؟

ـ أوه ، انك عصبى اليوم٠٠ أو تريد أن تفوت على محاضرة البروفسور (٠٠) ؟ ومع ذلك، أى فارق بيـــن أن نلتقى فى الصباح أو بعد الظهر ؟

ـ الفكرة هى التى تحنقنى ٠ كنت أفضل أن أسمعك تعتذرين بموعد مع الخياطة ، أو الحلاق !

ـ أنت تقول هذا ؟٠٠ لكأنى أسمع جاهـلا يتكلم !٠٠ ان آراءك قد تغيرت !

ـ بل قولى ان أوهامى قد تبددت ٠٠ بددتها أنت

ـ لست أفهم ماذا يضيرك من ذهابى الى النادى !؟

ـ البيت هو مملكة المرأة ٠٠ وأنت لاتلمين به الا فى أوقات الطعام والنوم !

ـ أو تريد من مثلى أن تطيق البقاء فى البيت ، وتشنيف أذنيها بصياح الاطفال ؟

ـ أطفال ؟

ـ أطفال جارتنا ٠٠ **مسكينة اعتدال ! انها تعيش فى جحيم لا يطاق ٠ تصور أن لها طفلين ، وهى لم تتزوج الا منذ خمسة**

أعوام !٠٠ ان زوجها لا يريد أن يشبع من « أكبادنا التى تمشى على الارض » ٠٠ أعوذ بالله !٠٠ لكأن المرأة لم تخلق الا لتكون آلة : تحمل ، وتضع ، وترضع ، وتطبخ ٠٠ الى آخر هـــذه التوافه ! يا ويلة الزوجة فى مصر من عقليات الازواج ٠٠ لكن الذنب ذنب اعتدال ٠ انها لا تخالف لزوجها رغبة أيا كانت ٠٠ تطيعه فى كل شىء طاعة عمياء ٠٠ كالنعجة !

ـ الطاعة أجمل ما فى الانوثة ٠ وضعف المرأة هو كنزها الذى يفوق اللآلىء ٠٠ (فى مرارة) بدأت أرثى لك !

ـ وأنا ضقت برجعيتـــك ٠٠ انك ٠٠

لكنه بادر الى تحويل دفة الحديث وقلبه ينضح مرارة ٠ لم تكن تلك أول مرة تصدمه فيها آراؤها ٠٠ لكنه اعتزم أن تكون الاخيرة ! فان الثورة المختمرة فى أعمـــــاقه كانت قد آذنت بالانفجار ، وشوقه الى التحرر من حبها قد صار لهفة مضنية ٠٠ لم يعد يحتمل ثرثرة هذه المخلوقة التى لا تفهم الحب ، والامومة ، وسائر عواطف النساء ٠٠ هذه الانثى التى أفقدها أنوثتها انطلاقها فى مضمار الرجال ! ان عاطفته قد نضبت منذ علق بها ٠٠

٠٠ واشتدت عليه وطأة البلبلة، فاعتزم أن يضع لآلامه النفسية حدا ٠ صارحها ذات ليلة بالقطيعة ، وقلبه يرقص فى صدره ، فرحا بالخلاص !٠٠ وأحس للفور أنه قد تخفف من حمل ثقيل **٠٠ ان رجولته لا تطيق غل الاستكانة لتمرد امرأة تناقش آراءه وتخطئه ، وتلتحم شخصيتها مع شخصيته فى كل مناســـبة التحام الند للند ! ان لذة الرجل القصوى أن يمارس مع المرأة احساسه بالتفوق واحساسها بالضعف ٠ فى هذا ارضـــاء لرجولته ، واشباع لانوثتها ٠٠ الانوثة الفطـرية التى ترحب بالقيود وتكره التحرر والانطلاق !٠٠** وقد منحته سلوى كل هذا بوحى من فطرتها ، السليمة من الزيف ٠ ما زالت تدفئه نظراتها

الساخنة التى كانت تسكب فيها كل قلبها ٠٠ لكم هو مشوق الى حنانها الدافق ٠٠ ان حنان المرأة هو لقلب الرجل ماء الحياة !٠٠ ولكم يضنيه الحنين الى حبها الساذج وقلبها الكبير ، الذى يحنو على قلبه دون أن يشكو ، ويفهم مطالبه دون أن يطلب ! من له بنغمها الناعم الحلو وهى تجيبه كلما سألها رأيها فى أمر : « كما يروقك ٠٠ الرأى رأيك » ٠٠ بل لكم هو مشوق الى دموعها ! الدموع التى تفيض من قلب سخى بالعواطف ، والتى طالما استقى منها كبرياؤه وأنمت فى أعماقه جذور اعتداده بنفسه ، وجلده على الكفاح ، واحتماله للشدائد! **٠٠ لكن المارد الذى خلقته منه قد أحالته الاخرى قزما ، يشفق من الصعاب ولا يقوى على شىء !٠٠ فمن له بها ؟ انه بحاجة اليها كيما يسترد ايمانه بذاته وحبه للحياة ٠٠ لكن ، ترى أهى ما تزال تذكره ؟ وبماذا ؟ بالغفران والحنين ، أم بالحقد الدفين ؟٠٠ لكنه يعرف قلبها ، لا يقوى على أن يحمل ضغنا لانسان !**

وكانت قد مضت أيام ، أحس بعدها أنه قد اغتسل وتطهر من هواه البغيض ، للاخرى !٠٠ فخرج ذات مساء ووجهته ٠٠ بيتها ! ان قدميه تعرفان الطريق ، وانهما لتخفقان فوق أرضه خفقات طروبة ، كأنما هما مشوقتان مثله الى الحى ، والديار ! ان قلبه ليضطرب فى صدره حنينا ، وفرقا من اللقاء ٠٠ انه عائد الى سلواه !

وأرسل الانفعال الدموع الى عينيه ، فجففهما بأنامله ومضى يغذ السير ٠٠ لكأنه لا يمشى على أرض ، وانما يطير على بساط من سحاب ٠٠ ورغم ذلك فقد طال الطريق !

٠٠ أخيرا بلغ بيتها !

- ٣ -



ـ جلال !٠٠ أهـذا أنت ؟ كدت لا أعرفك ٠٠ ما هـذا النحول الذى أصابك، والذبول الذى أرخى أجفانك ٠٠؟

ـ وأنت يا سلوى ، ما بال الشحوب قد تخطف ورد خديك ٠٠ وأطفأ بريق عينيك ؟

ـ اننى بخير ٠ ولكن قل لى ماذا دهاك ٠٠ أبلغ بك الاجهاد أن تنسى نفسك ؟

ـ انى متعب يا سلوى٠ قلبى قد غوى ، وأضلنى معـه ٠٠ لكنه عاد نادما ، فهل تقبلين توبته ؟

ـ وهذه الدموع !٠٠ أما تخجل ؟

ـ انها دموع الفرح ٠٠ لا أصدق أنك تبسمين فى وجهى ٠٠ يخيل الى أنها محض رؤيا جميلة ٠٠ سلوى !

ـ صه ! دعنى أجفف دموعك ٠٠ بشفتى !٠٠ جـلال ٠ ضمنى الى صدرك ٠ قل انك لن تتركنى ٠٠ مرة أخرى !

ـ اطمئنى يا حبيبتى ٠٠ كان لا بد للطيـر أن يعود الى وكره ، ليحمى انثاه الضعيفة ٠٠ ويريح رأسـه على صدرها الحنون !

يحكى عن العظماء

الزوج الذى تتمناه النساء !

◆ **تقضى** الروائية البوليسية العالمية « أجاثا كريستى » أكثر أيامها فى بغداد ، حيث يشتغل زوجها العالم الاثرى فى أعمال الحفريات ·· وقد قالت « أجاثا » فى حديث لها عن الازواج ، بلهجة توحى بالاخلاص والاقتناع : « ان العالم الاثرى هو خير زوج تحظى به أية امرأة ، فكلما تقدمت هى فى السن ازداد شغفه واهتمامه بها ! »

الضربة الاخيرة !

◆ **عندما** سئل السياسى الداهية بنيامين دزرائيلى عن سر قدرته على مواجهه الصعاب ومثابرته على تحديها ، ضرب هذا المثل الذى يوضح فلسفته الخاصة فى هذا الصدد ، قال : « هل شاهدت حجارا وهو يكسر الاحجار ؟ انه يظل يضرب الصخرة بفأسه أو معوله ربما مائة مرة ، دون أن يبدو فيها أدنى أثر يبشر بكسر أو فلق ·· وفجأة، ربما فى المرة الواحدة بعد المائة ، ينشطر الحجر الى شطرين ·· ولكن ليست الضربة الاخيرة هى التى حققت هذه النتيجة ، بل المائة ضربة التى سبقتها ! ·· وما أكثر الذين يرجعون من منتصف الطريق ، بل ما أكثر الذين ييأسون من كفاحهم قبل أن يجنوا ثمرته ربما بزمن وجيز، بينما لو استمروا وثابروا حتى الضربة الواحدة بعد المائة، لحصدوا كل ما زرعوا وأكثر! »

وقد صدق !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية من (كتابى) المسرحيات العالمية الآتية على التوالى :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد
الحب الآثم : تولستوى
نزاهة الحكم : جوجول
سلاح المرأة : اريستوفان
فولبون : بن جونسون
جيوكندا : دانونزيو
كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
مدرسة الفضائح : شيريدان
سيرانو دى برجراك : روستان
لعبة الحب والموت: رومان رولان
مروحة الليدى وندرمير : اوسكار وايلد
فاوست : جيته
اوديب الملك : سوفوكل
فى سبيل الحب : جون درايدن
وليم تل : شيللر
الام : مكسيم جوركى
الملك يلهو (ريجوليتو) : فيكتور هوجو

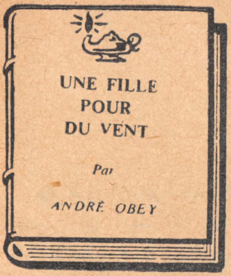
واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المسرحية الجديدة التى تمثل هذه الايام على مسرح «الكوميدى فرانسيز» بباريس ، والتى تبعث الى الحياة ابطال (الالياذة) الخالدين: «اجا ممنون»، و«منيلاس» و«أوليس» .. الخ

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى .. والغنائى)

الذبيحة
(ثمن الريح)



للروائي الفرنسي المعاصر
أندريه أوبيه



هذه المسرحية ..

◆ قبل ان تقرأ هذه التمثيلية التى يوافيك بها مراسل «كتابى» فى باريس، يحسن ان امهد لك الجو اليها كى تتذوقها على أكمل وجه ، بان الخص لك الاسطورة التى اوحت الى مؤلفها بفكرتها ، والتى بنى عليها حوادثها .. وهى اسطورة سبق ان أوردتها لك بالتفصيل فى تقديمى لملحمة هوميروس الخالدة «الالياذة» فى كتابى الثالث ..

وموجز الاسطورة انه كان لملك اسبرطة - فى الزمان القديم - ابنة زوجها من القائد الاعلى لجيش الاغريق ، المدعو «اجا ممنون» .. وكان لهذا القائد شقيق يدعى «منيلاس» ، خطب بدوره شقيقة امرأة اخيه ، التى تدعى «هيلين» ..

وكان ملك اسبرطة الشيخ قد أدرك بفطنته أن زوج هيلـــين - التى كانت تعتبر اجمل نساء الارض قاطبة ! - لابد ان يتعرض بسبب جمالها لكثير من الاخطار والاحقاد .. فأقترح على جميع خاطبى ود هيلين - قبل ان يزوجها من احدهم - ان يقسم كل منهم قسما لا حنث فيه على أن يرضخ لحكمه فلا يحاول التعرض لها فيما لو صارت من نصيب سواه ، بل وان يخف لمساعدة الزوج الذى يظفر بها على استردادها فيما لو خطفها عاشق حسود !

وسنرى أن هذا القسم كان السبب فى نشوب حرب طروادة !.. فقد تم زواج هيلين من منيلاس - الذى صار الان ملكا لاسبرطة - وعاش الزوجان اعواما سعيدين .. حتى نزل فى ضيافتهما يوما الامير «باريس» ابن ملك (طروادة) ، لكنه لم يرع واجب الشرف ولا حق الضيافة ، فقد انتهز فرصة غياب مضيفه منيلاس عن القصر فاختطف زوجته الفاتنة «هيلين» وفر بها الى طروادة !

فلما عاد رب القصر ووقف على نبأ اختطاف الضيف لزوجته ، بادر فأرسل رسله على عجل الى جميع طالبى يد «هيلين» السابقين ، مذكرا اياهم بقسمهم القديم لحميه على نجدته فى مثل هذا الظرف بالذات ! .. وهرع الجميع من فورهم اليه ، ودعى رؤساء العشائر لابداء رأيهم فى الموقف الحربى الذى قد يتطور اليه النزاع ، فوقع اختيار المجتمعين على «اجا ممنون» - زوج شقيقة هيلين ، وشقيق زوجها - كى يكون قائدا لهم فى عراكهم المقبل..

والتأم شمل جيش الاغريق بقيادة «اجا ممنون» ، واخذ اهبته للابحار الى شاطىء آسيا الصغرى ـ حيث تقع طروادة ـ لمهاجمتها وكسر شوكتها جزاء عدوان ولى عهدها على الاعراض !.. ولكن سكون الريح عاق تحرك السفن التى تحمل الجيش المهاجم اياما طويلة ، حتى لجأ القوم آخر الامر الى استشارة عراف فى صدد ما ينبغى فعله لارضاء الآلهة التى تصب عليهم جام غضبها على هذا النحو !.. فأفتى العراف بان لا سبيل الى ارضاء الآلهة غير ذبح ابنة القائد أجا ممنون ، فداء لوطنها !

ومضت العذراء الى حتفها ..

وانطلقت الريح .. فانطلقت بانطلاقها «الف سفينة» تحمل جيش الاغريق ، وتمخر به عباب بحر قاتم اكسبت الظلمة ماءه لون النبيذ .. أو لون الدم !

وبذلك بدأت حرب طروادة المشهورة ..

والآن تستطيع أن تقرأ هذه المسرحية ، الجديدة فى صياغتها ومبناها ، القديمة فى شخصياتها واحداثها .. وليست هذه بأول مرة يستوحى فيها كاتب تلك الاسطورة المشهورة فيبنى عليها مسرحية جديدة ، فقد سبق الى ذلك كثيرون من ادباء الانسانية الاعلام ، لعل أولهم كان «يوريبيدس» ـ أو «أوريبيد» ـ كاتب اليونان القديم .. ولكن كاتب فرنسا المعاصر «أندريه أوبيه» ينحو فى مسرحيته الحالية هذه منحى «انسانيا» جديدا ، فيستغل فكرة الاسطورة لتسفيه الحروب على وجه عام ، والحملة على ساسة الدول الذين يزجون بشعوبهم فى أتونها ارضاء لمطامعهم وسعيا الى المجد الشخصى !

ولن أعوقك اكثر من ذلك عن مشاركة المؤلف مسرحيته :

ثمـــن الريح

◆ **وما** ثمن الريح الا فتاة !

فتاة فى ربيعها السادس عشر ، حسناء رقيقة وديعـــة ، تنتظرها حياة مشرقة بالامل ، غنية بوعود الحب والهناء ، ولكن الاقدار تريد أن ترغمها على أن تقدم حياتها هذه النقية الناضرة الباسمة ضحية لا بد منها لكى .. لكى تهب الريح ! كأن للريح ثمنا ، وثمنا مجحفا بالعقل والقلب والضـــمير . وأى نفس انسانية لا تثور أمام تلك القضية الجائرة ، أمام تلك الصفقة المنكرة : اذبحوا هذه الفتاة تنالوا الريح !

الى هذه الاسطورة أشار الكاتب المسرحى « أندريه أوبيه » حين عنون روايته الجديدة ـ وهى آخر ما قدمته لجمهور باريس فرقة الكوميدى فرانسيز ـ ذلك العنوان الغريب « فتاة مقابل شىء من الريح » !٠٠ على أنه لا يعبث ولا يهزل ولا يطلق لخياله العنان ، بل يعود الى قصة شهيرة تناقلتها الاجيال من هومير الى أوريبيد الى راسين الى جوته ، يعود الى أعلام من أبطال « الالياذة » ما تكاد تذكر أسماؤهم حتى تنبعث فى الخواطر صورهم ومواقفهم المأثورة ٠٠

وقد صاغ أندريه أوبيه مسرحيته فى ثلاثة فصول ، ولكنه جعل منها وحدة متصلة ، ترتفع عنها الستارة مرة واحدة فى أولها وتنسدل عليها مرة واحدة فى ختامها ٠ فهو لا يريد أن تكون قصته كسائر القصص التى تنقسم الى فصول تتخللها فترات الاستراحة فتقطع حبل التفكير والتأثر ، بل يحرص على أن يستأثر بعيون النظارة وآذانهم ومشاعرهم ويركزها فى هذه البؤرة التى يدير فيها حواره وآراءه وممثليه حتى يقول كل ما يريد أن يقول ، كيما يروعك بتتابع المواقف التى يجلو بعضها بعضا ويؤدى بعضها الى بعض ، ويوضح لك حقيقة نفسيات هؤلاء الاشخاص الذين لا يمسكون عن الالتقاء ، والتفرق ، والاصطدام ، والاصطراع ٠٠ فاذا تواروا كان كل منهم قد عبر عن طويته وعاطفته وفكره ، وكان الكاتب قد سلط على حسك وعقلك تيار التأثير الذى يهدف اليه قويا مباشرا فعالا ٠٠

*

◆ ترتفع الستارة اذن عن منظر واحد لا يتغير ، يمثل خيمة مضروبة على الشاطىء غير بعيد من السفن الراسية ، الصامتة ، المهجورة ٠ تلك خيمة القائد العام أجا ممنون ، أثاثها موقد ومائدة صغيرة وبضعة كراسى وأريكة ٠ ونرى جنديا حارسا

يضع على المائدة زجاجة نبيذ وأكوابا ، ويدخل « منيلاس » يبحث في لهفة عن أخيه القائد العام • وفى حوار سريع لا يخلو من فكاهة نعلم أن منيلاس « جنرال » أيضـا ، فهكذا ينقل الكاتب أشخاصه من الاسطورة القديمة الى العصر الحديث ، ويسند اليهم فى وضوح هذه المناصب المعروفة المحددة المسئولية فى نظم الحضارة التى نعيش نحن فى ظلها • اذن فهـؤلاء الاشخاص جميعا يتقمصون حياتنا ويرمزون الى القيم الحالية •• والى تفهم هذه الحياة ومناقشة هذه القيم يدعونا المؤلف •

ويسأل منيلاس أين أخوه « أجا ممنون » ، ثم أين « أوليس» ـ وهو القائد الثالث ـ فيجيبه الحارس بأنه يجهل كل شىء • وازاء نفى الحارس واجاباته السلبية عن كل استفهام ، يتفرس منيلاس في وجهه ويرى بصيص الخبث يطل من عينيه ، فيقول له بصراحة :

ـ أطفىء هذا البصيص ! أو ليست أوامر أخى اليك أن تكون هائم النظرة ، مسدود الاذنين ، مطبق الشفتين ؟

ويخرج ساخطا ـ كما يسخط رجـل القرن العشرين على الرقابة التى يضربها رجال الحرب على الانباء ••

ثم نسمع صوتا مقبلا من ناحية الشاطىء • انه شخص يبحث أيضا عن القائد العام فى كل مكان دون جدوى • ولا يلبث حتى يظهر فيسرى أمام الخيمة ويدور حولها كالاعمى لا يبصر شيئا • وهو شخص يبتكره الكاتب بنزعته الى تجديد فن المسرحية ، وما ذلك فى الواقع الا عود الى أساليب المسرح القـديم حيث كان الرواة أو المنشدون يقصون للجمهور قصة ما يشهد من وقائع، ويقدمون له الاشخاص ، ويعلقون على الاحداث بلسان المؤلف تعليقا مباشرا • غير أن هذا الشخص الذى نراه يتلمس طريقه، وكأنه ينتمى الى عالم آخر ، سوف يعود مرارا ويختلط بأبطال القصة ويؤدى دورا هاما بينهم ، لا سيما فى النهاية • **وندرك**

من حديثه أنه جندى مقتول ٠ والكاتب لا يسميه ، ويتعمد ألا يسميه ، ويكتفي بأن يطلق عليه « الجندى الميت » ! أفليس لقتلى الحرب الحق فى أن يخاطبونا، وأن يعبروا لنا عن شعورهم وعن رأيهم ، وان كنا نجهلهم ؟ ومن يكون القتلى سواك وسواى اذا أعلنت الحرب ؟ ان العدالة البشرية ، رغم قصورها ، تحترم آخر رغبات المحكوم عليهم بالاعدام ، فمن الانصـــاف اذن أن نستمع لحظات لرغبات هؤلاء الابرياء الذين يساقون الى الاعدام بالجملة ! ونحن هنا نستمع لهذا الجندى المجهول بعد مصرعه، وانتقاله من دنيانا الى دنياه ، فلنستمع اليه فى خشوع !

انه يتكلم لغة ساذجة ، شعبية ، عاطلة من كل تأنق وزينة، لغة لا تقصد الا التعبير ، غير عابئة ولا حتى بسلامة التركيب فى أكثر الاحيان ـ وذلك ما قد يعيبه النقاد على كاتب تمثـــل رواياته « الكوميدى فرانسيز »، ولكن أندريه أوبيه يحـــرص على أن يعير جنديه القتيل لغة الخطاب العادية ، دون أى تكلف، ليؤكد لنا أنه واحد من هؤلاء الافراد الذين نلقاهم حولنا فى كل حين ٠ ويهيب الجندى بالحارس أن يدله على مكان القائد العام لكى يفضى اليه برسالة هامة ، بيـــد أن الحارس لا يراه ولا يسمعه، فيندهش الجندى لان جميع من خاطبهم فى يومه ـ من الضباط الذين يعلونه فى الرتبة العسكرية الى هذا الجندى الزميل ـ لم يروه ولم يسمعوه ولم يجيبوا دعاءه ، مع أنه هو بعينه الذى حضر بصحبة جنديين آخرين فى صباح ذلك اليوم الى الخيمة على مشهد من هذا الحارس ، فتسلم أوامر القائد العام الخاصة بدورية الاستكشاف ، ثم مضى الى تنفيذها فلقى حتفه !

يواصل الجندى مسراه على المسرح خارج الخيمة باحثا عن القائد ، ويدخل « أوليس » باحثا بدوره عن القائد ، فلا يجد غير الحارس الذى يشكو اليه من تأزم الموقف الحربى وبطالة

الجيش على الشاطىء انتظارا للبحارة ، الذين ينتظرون الريح بدورهم ليعبروا البحر بالقوات المسلحة الى أرض العدو ويضربوه فى عقر داره ٠ والحارس ينطق بلسان العامة ، لسان الاكثرية التى تنزع الى تولى أمور الجماعة !

الحارس : أنا لا أحب مثل هـذا الحال ، فانى اذا خرجت للقيام بالحرب قمت بها والا رجعت !

أوليس : وهل أنت راغب حقا فى القيام بها ؟

الحارس : الحرب ؟٠٠ ليس لنا أن نختار الآن ٠ فنحن اذا رجعنا رجمونا فى المدينة بالحجارة ٠ ينبغى أن نمضى للقتال٠ ولكن يخيل لى أننا لن نتحرك من هنا قط ، والدليل على ذلك أن القائد العام قد استقدم امرأته ، بل وابنته أيضا ، لا ٠٠ لا !

أوليس : ليس الحظ فى صفنا

الحارس : الحظ يؤخذ غلابا

أوليس : فهل تستطيع أن ترغم البحر والضباب ، هـل تستطيع أن ترغم الريح ـ الساكنة منذ ستة أسابيع ـ على أن تهب ؟

الحارس : لست أنا الذى أستطيع ، ولكن « الشيخ » ٠٠ « الشيخ » يرى الاشياء !

ويلقى الحارس كلماته عن « الشيخ » فى اجلال ورهبة وايمان عميق ٠ ويكنى عنه بالشيخ متحرجا من ذكر اسمه الذى قد يكون نحسا عليه ٠ فيأمره أوليس ساخرا بأن يردد اسمه، وأن يردده بأعلى صوته ! **و « أوليس » فى هذه القصة يمثل العقل السليم الذى ينظر فى واقـع الامر ويكفر بالخرافات ويعارض معتقدات العامة** ٠ وأما ذلك الشيخ ـ وهو لا يظهر على المسرح قط ، وانما يدير المأساة فى مجراها كتلك القوى الخفية التى توجه حركاتنا وتصرفاتنا دون أن تظهر على صفحة حياتنا ـ فيدعى « كالخاس » (كما دعاه هومير فى الالياذة وكما

دعاه راسين في « ايفيجنى ») ، ولكن « كالخاس » هنا ليس مجرد العراف الذى يقرأ الغيب ويستوحى الآلهة وينطق للبشر بلسان القدر ، بل هو شخصية حديثة تنتمى الى حضارتنا ، وتسود وا أسفاه عصرنا ـ عصر الذرة ـ وتؤدى فى تحديد مصير الانسانية اليوم دورا لا يقل خطرا وهولا عن دور الكهنة والعرافين فى قديم الاساطير · « كالخاس » كما يصوره لنا حديث الحارس هو « العالم الفلكى » الذى ينفذ الى أسرار الطبيعة ، ويدرس ظواهر الشاطىء ، ويتطلع خلال منظاره ، ويعرف كل شىء ، ويجد حلا لكل مشكلة ··

*

ويقطع الحوار دخول منيلاس ساخطا متبرما ملهوفا ، كما انصرف منذ وقت قصير · وانه ليخرج الحارس ويوصد الباب، ويسائل « أوليس » ما العمل ؟ وكيف عساهم أن يتلافوا وقوع الفاجعة ؟ لقد رأى زوجة أخيه وابنتها وقد أقبلتا على المعسكر فرحتين مرحتين ، وقرأ فى وجه الفتاة علائم حبها لأوليس ، أما هما فقرأتا فى وجهه علائم الشؤم ؟ ما بالك لم تخف للقائهما يا أوليس وقد جاءت الفتاة مستبشرة اذ استدعاها أبوها أجا ممنون بتعلة الزواج منك ؟·· ويتدفق منيلاس فى حديثه ، فان طبيعته من هذه الطبائع الكريمة التى تحب الغير، وتضيق بالهم ، وتفضى بذات نفسها ولا تكتم خبرا قد بلغها · وهكذا ينبىء زميله « أوليس » بأن الجيش قد مات أول شهدائه اليوم ، فيطرق أوليس قائلا فى حسرة مريرة :

ـ يا له من نبأ سعيد !

وفى تلك اللحظة يظهر الجندى المقتول كالهائم فى سراه ، واذ يسمعهم يتحدثون عن الموت ، يذكر عائلته : أمه ، وجيرانه، وزوجته الفتاة ·· يا لبؤسها ! ومن سوف يحرث لها الارض عوضا عنه ؟·· ثم يتوارى مرددا اسم زوجته ، ملتمسا القائد العام دائما !

ان الجميع ينتظرون عــودة أجا ممنون الى مقر القيادة ، فقد جاوزت الساعتين مقابلته لكالخاس ، حيث أرسله منيلاس بعد أن ملأ قلبه ورأســه بعواطف الابوة وحجج المنطق لكى يناقش الامر من جديد مع الشيخ ويقنعــه بالعدول عن قـراره الجائر البشع ، ولكى يبحث معــه عن مخرج آخر من الازمة المستحكمة ، مخرج أهون احتمالا وأقل ايلاما . ويتحدث العم عن ابنة أخيه فى لوعة وأسى ، يتمثل صورتها مستبشرة متهللة أمامه ، ويريد أن ينقذ حياتها الغضة الرقيقــة من سكين « كالخاس » . **فلقد أعلن لهم كالخاس ذات ليلة أن الآلهة غضبى على اليونان ، ولكى تعينهم على طروادة لا بد من ســفك دم ايفيجنى على المذبح ، وذلك هو الشرط الوحيد الذى لن تهب دونه الريح ولن يتحرك دونه الجيش المتأهب . عجبا ! كيف رضى القواد الثلاثة بهذا القرار وهم فى تمام قواهم العقلية ؟ ما الذى سيطر عليهم فى محضر كالخاس حتى أظهر لهم أن تلك التضحية جائزة ، بل واجبة ؟ عجبـا ! ثلاثة رجال رصينون ينزلون على رغبة الساحر العراف ، ويؤيدون رأيه ، ويذهبون مذهبه ! لقد كانوا كالسكارى فقدوا الرشد وضلوا عن الصواب!**
.. يستعيد منيلاس على سمع أوليس ماذا كان منهم فى تلك الليلة ، فتشتد حيرته كلما أمعن فى الحديث ، ولا يكاد يصدق أن المأساة قد بلغت هذا الحد المروع الفاجع ، ولا يكاد يدرى من أمره الا أنه خائف يرتعد ، خائف على مصير الفتاة التى باتت فى خطر الموت ، والتى يتخيل احدى يدى كالخاس قد امتدت بالسكين الى نحرها !.. وتأخذه الثورة ، فينصــحه أوليس باجتراع كأس من الخمر ، ولكنه يرفض . ورغم تقدم الليل واشتداد البرد ، لا يحس منيلاس الطيب القلب بالزمهرير يدب فى أطرافه ولا بالكرى يسعى الى عينيه . وكيف تسكن نفسه الشاردة ، وكيف يهدأ لبه المبلبل ، قبل أن يطمئن على حياة ايفيجنى فى هذه اللحظات الحاسمة ؟

ويسود الصمت برهة . ثم يبدو أجا ممنون على الشاطىء ، مقبلا من بعيد بخطى ثقيلة كمن يرزح تحت عبء باهظ . ويقف مطرقا يفكر . وهنا نسمع هتاف الجندى المقتول : « أيها القائد ! » . لقد وجده أخيرا ، وها هوذا يقترب منه ليخاطبه. ولكن أجا ممنون لا يراه . وندرك أن القائد العام يتردد فى دخول الخيمة ولقاء القائدين الساهرين فى انتظاره ، فهو لا يتجه الى الباب ، وانما يظل غارقا فى تفكيره ، لا يسمع شيئا مما يقول له الجندى المسكين الذى يتحدث جاهدا فى عناء ، شأن من فقد الذاكرة :

ـ اسمع أيها القائد !.. لقد طويت الارض بحثا عنك لاخبرك بشىء هام .. أتسمعنى ؟ هذا الصباح ، فى الفجر ، قمت بالدورية مع الجنديين الآخرين كما أمرتنا .. انك لا تسمعنى !.. أرجوك ! انه أمر خطير .. لقد انطلقنا بمحاذاة الشاطىء نطأ رمل الشاطىء فى رفق كأنما نمشى على بيض ، حتى اذا وصلت الى صخرة عالية بارزة من وسط الرمال .. ما بالك تذهب عنى ، أيها القائد ! أيها القائد !..



ذلك أن أجا ممنون قد استدار ليدخل الخيمة . وما يكاد يفتح الباب حتى يهب أخوه منيلاس مستفهما مستطلعا ما وراءه . فيهدىء « أوليس » من روعه . ويوصد أجاممنون الباب ، ويخطو بضع خطوات داخل الخيمة ، صامتا .

منيلاس : ما النتيجة ؟ لا شىء ؟

أجا ممنون : وا حسرتاه !

ويقدم له أوليس كرسيا فيجلس ، ويعود الى صمته ، فينفد صبرمنيلاس وينهال عليه بعبارات عنيفة تحثه على الكلام ، فيناشده أوليس السكون ويقدم لاجا ممنون كأسا من الخمر ، فيجرعها جرعة واحدة ، ويرسل زفرة عميقة ، ثم يشكر أوليس فى صوت خفيض .

منيلاس : والآن هيا ! أخبرنا .. كيف كان ذلك الوحش . ذلك .. القذر ، كيف قام بين يدى رئيسه ورئيسنا ؟.. ان دمى يغلى غيظا وقلقا . تحدث !

فيجيب أجا ممنون فى اعياء :

– فيم الحديث ؟ انك تعرف ذلك الرجل . لقد كان .. هو بعينه ، غليظ العقل ، غليظ الشعور .

ويحتد منيلاس ، متهما أخاه بأنه لم يدافع عن تلك القضية المقدسة الدفاع الجرىء الفعال ؟ أما أوليس فيأمر صاحبه بالصمت ، ويسأل أجا ممنون الذى يصب خمرا ويشرب فى نهم :

– هل ترى أن هناك أملا فى اقناع ذلك الرجل ؟

– وا حسرتاه ! أخشى أن لا !

فينفجر سخط منيلاس ، ويدور وحده فى آخر الخيمة مزمجرا . ويكمل أجا ممنون جوابه لاوليس :

– انك تعرفه كما أعرفه : رأس من خشب وقلب من حجر .. ثم ينبغى أن أعترف بأن الاسباب التى يبديها أسباب قوية

أوليس : مثلا ؟

أجا ممنون : الجيش ! الجيش الذى قد تدفعه البطالة الى ..

أوليس : نعم ، هذا صحيح . ولكن الجيش ينتظر وقوع لا أدرى أية معجزة تغير مجرى الاشياء ، فلا يهمه على يد من تتم المعجزة !

أجا ممنون : انه يتوقعها من كالخاس .

أوليس : فليكن ! ولكن الجيش لا يتخيل بأية وسيلةسيأتى كالخاس معجزته. فهل قلت لهذا الرجل، هل أوحيت له بامكان تقديم ضحية أخرى للقدر غير تلك الحياة النفيسة العزيزة علينـــا ؟

أجا ممنون : أجل ! ولكن له جوابا على ذلك ..

أوليس : هذا الرجل الذى استطاع وحده فى اجتماعنا نحن الاربعة أن يترجم فى كلمات بشرية قرار القــدر الذى ظل مستغلقا علينا ، ألا يعرف كيف ينقل الى .. الى القوى الخفية رجاءنا ، اقتراحنا ؟.. اننا مستعدون أن نقدم هبة طيبة ..

أجا ممنون : لقدكان من الشاق يا عزيزى أن أتقدم متجاسرا فى هذه الطريق الملتوية . ان كالخاس يرى فى الذى يتكهن به شريعة الهية !

أوليس : هل صورت له مع ذلك قسوة الامر ، بشاعته ؟

أجا ممنون : أوليس ! كيف تستطيع !.. لقد كنت هامى الدمع متصبب العرق !.. ولكنه لا يفهم ، ففى رأيه أن أكبر شرف هو أن تطلبك السماء علنا . ذلك شرف عظيم لا ينال الشخص الذى يمسه بجناحه فحسب بل يعــدوه الى أسرته ويشمل جميع أفرادها !

فيقاطعه أخوه منيلاس قائلا :

ـ يا لفخر زوجتك الثكلى بهذا الشرف يوم ينزل علينا !

ويحاول أجا ممنون أن يتكلم فيقاطعه أخوه مرة أخرى . وعبثا يأمره أجا ممنون بالصمت ، فقد انطلق فى انفعال عاطفى شديد يؤنب هذا الاب الذى يتناسى ابنته . **وانه ليذكره بها ، ويصورها له وديعة باسمة تنام نومها الهادىء فى هذهالساعات الرهيبة بالنسبة لها ، يصور له نعاسها الآمن المطمئن وأنفاسها الحلوة تتردد فى بطء ، أنفاسها التى يراد اخمادها !..** فينهره أجا ممنون وينهاه عن التمادى فى وصفه المؤلم ..

منيلاس : لن أصمت الا اذا تكلمت أنت ، وتكلمت بالحق ! ٠٠ فهلا قلت لنا لماذا ، وما هى الاسباب العميقة والحجج المقنعة التى منعتك من أن تسحق بنعلك الغليظ ذلك الكائن المنفر ، ذلك الافعوان ٠٠٠ تكلم ، اننا نصغى اليك

ولكنه يلوذ بالصمت ، ويعود وئيدا للجلوس على كرسيه ٠ وتمضى لحظات ثقال لا ينبس فيها أحد بكلمة ٠ ثم يقول أجا ممنون لمرؤوسيه في لهجة جافة انه غير مكلف بأن يفضى اليهما بخواطره الخاصة ، وانه اذا فاتحهما بما تضمر نفسه فما ذلك الا تفضلا منه ٠ فيتملقه كلاهما ويظهران له عرفانهما بالجميل ، ساخرين !

أجا ممنون : لقد ترددت طويلا قبل أن أذهب لدى كالخاس هذا المساء ٠ عشر مرات أقدمت على ولوج بابه ، وأنا أنظر فى كل مرة الى المعسكر ، وأفكر فى هذا الجيش النائم ٠٠ ورغم تذبذبى ، نما شىء فى نفسى واشتد ، وكان هذا الشىء هو شعورى بالواجب !

منيلاس : هاها ! هذا ما كنت أنتظره !

ولا يعبأ أجا ممنون بهذا السهم الذى أطلقه عليه أخوه المتهكم ، بل يرفع صوته ويواصل حديثه عن واجبه ، فيشبهه بمعدن صلب ٠٠ غير أن أخاه لا يدعه يتم عبارته ، ويقول له فى اخلاص مباشر :

ـ ان واجبك أبسط من ذلك ، وانه ليحتقر هذه التشبيهات الجوفاء ٠ واجبك ؟ انما هو أنت ٠ اما أن تتنفس واجبك الابوى كما تتنفس الهواء ، واما ٠٠٠

أجا ممنون : تبا لك من ثرثار !٠٠ لم يكن الاب وحده الذى ذهب الى كالخاس ، بل ولم يكن الاب فى المقام الاول ٠ كان يتقدمه القائد الاعلى ٠ وفى ذلك الممر الضيق الذى كان ينبغى أن أجتازه ، لم أجد متسعا الا لاحدهما دون الآخر ! ولقد اجتاز

الممر القائد الاعلى ٠٠ أما الاب فقد ارتمى فى هوة الحداد ، حيث يتردى الآن ، وحيث لا يجوز لاحد أن ينزل الى الهوة معه ٠٠

غير أن منيلاس لا يريد أن يفهم ، فيعيد أجا ممنون فى عبارة أخرى ما قال عن واجب القائد الذى طغى على واجب الاب فى نفسه ٠ وهنا يهيج غضب منيلاس ، ويهجم على أخيه :

ـ اذن فقد قضى الامر ؟

أجا ممنون : مكانك !٠٠ غدا ستتبعان القائد فى طريقه

منيلاس : غدا ! أتسمع يا « أوليس » ماذا يقول ؟

ويجيبه أوليس فى لهجة حازمة : « نعم أسمع » ، ثم يسأل أجا ممنون للتأكد :

ـ هل حدد كالخاس يوم غد ؟٠٠ غدا صباحا ؟

فيطأطىء أجا ممنون رأسه ، ويقول فى صوت خفيض ، وفى ضيق :

ـ لقد قال كالخاس أن هناك مسألة فلكية ٠٠ نعم ، القمر فيما أعتقد

فيثور أوليس محتجا : « وما دخل القمر فى الموضوع ؟ » ، ولكنه يسيطر على نفسه ويقول : « ان الشأن شأنك » ، ثم يسأله : « والطفلة ٠٠ هل أنبئت ؟ »

أجا ممنون : لا !٠٠ أظن ٠٠ ان أمها ٠٠

أوليس : هل أمها على علم بالموضوع ؟

أجا ممنون : كيف تظن ذلك ؟ انى لم أرها بعد ٠٠

أوليس : فمتى يبلغها النبأ ؟

أجا ممنون : أوه ! كفى !٠٠ أنا ما سألت نفسى جميع هذه الاسئلة

أوليس : عجبا ! انك لا تنظر الى هذه المسألة الا نظرة عامة، على حين أن فى الامر ٠٠ واقعا !

أجا ممنون : فهل كان هذا الواقع أهون ، ليلة سمعناه من فم العراف وأقسمنا له يمين الطاعة ؟

أوليس : كان « الواقع » بعيدا اذ ذاك . بل ويشرفنى أننى احتجت الى هذا الوقت الذى انقضى لكى أستطيع أن أنظر الى شىء لا يقوى امرؤ على النظر اليه . ولكن ابنتك وأمها ستواجهانه دفعة واحدة . فبأى عين يا ترى ؟

أجا ممنون : انهما شجاعتان قادرتان على الاستبسال . انهما عظيمتان . هل تشك فى ذلك ؟

فيجيبه أوليس فى لهجة مريرة : « قطعا لا ! وها أنت ذا قد دخلت بالفعل فى عداد العظماء ! » .. ويتنهد متحسرا . ثم ينهض ويتمشى فى الخيمة ببطء ، وفجأة يقف قائلا :

– هكذا اذن قد بات كل شىء واضحا جليا . غدا ستنحر أمام الجيش بأجمعه ابنتك ايفيجنى للآلهة الذين يطلبونها . وما تكاد الطفلة تسلم روحها حتى توقظ أنفاسها الصاعدة الى السماء نسائم الريح النائمة منذ شهرين وتهزها وتطلقها من عقالها . أهكذا ستجرى الامور ؟

أجا ممنون : نعم ، أعتقد ذلك

أوليس : واذ ذاك نركب السفن ونبحر . وتعود الى الجيش فجأة بهجته وقوته وقيمته . ونرحل ، ونصل ، وننتصر ، ونعود محملين بالمجد والغنائم !

أجا ممنون : نعم ، حقا ، انى لاعتقد ذلك

أوليس : ونوقع بأيدينا على طروادة ثأر اليونان ، ونخلص بلادنا من جارة ذات بأس ..

أجا ممنون : نعم ، هو ذاك ، نعم ..

أوليس : وهذا كله لان كالخاس متعطش الى دم جديد !

أجا ممنون : ليس هو ، أستغفر الآلهة !

أوليس : بكل تأكيد . ما ذلك منى سوى تعبير عن الواقع ، فانى مثلك لا أشك فى أن هذا الرجل مجرد مطالب نزيه من

كل غرض ·· واذا كان الامر كذلك فلترض السماء ، اذ أن الضحية التى تطلبها منا قد نالتها فعلا ··

فيثب أجا ممنون سائلا : « ماذا ؟ »

أوليس : أجل ! وقد نالتها طازجة ، فما زال دم الفتى المسفوك ساخنا

فيندهش أجا ممنون ، ويقبل منيلاس على أوليس يهنئه معجبا بذكائه ، ويقصان معا على قائدهما الاعلى قصة شهيد الجيش الاول ، هذا الجندى الذى قتل فى جولة الاستكشاف صباح ذلك اليوم · ويستنتج أوليس :

ـ مهما تكن الميتة التى ماتها هذا الفتى المسكين ، سواء أمات شجاعا أم مات خائفا مستغيثا ، فانى أعتقد أنك تستطيع أن تستبدله مقابل ابنتك · فان الفراغ الذى تركه فى مكان ما على هذه الارض ، ليس أضيق حيزا ولا أقل امتلاء بالدموع من القبر الذى سنضع فيه ايفيجنى !

لا يحرى أجا ممنون جوابا ، وانما ينحنى مفكرا · ويسود الصمت ، ثم يظهر الجندى المقتول فجأة على المسرح ، يهذى برواية مصرعه: كيف نبه زميلاه لينجو من الخطر المحدق به ، وكيف لم ير شيئا فى بادىء الامر ، ثم كيف طلع عليه بغتة رجل هائج الغضب ، وكيف طعنه فى بطنه وهو يضحك ، وكيف تلقى الطعنة وهو يضحك أيضا ، ولكن شيئا أعقب الضحك ، شيئا هاما ·· ويختفى الجندى قبل أن يتم حديثه

ويرفع أجاممنون رأسه ليقول لاوليس ان فكرة هذا البدل التى أشعلت فيه جذوة الامل لا يمكن أن تتحقق ، لا يمكن أن يفدى الجندى الاميرة ، لا لان الاميرات من عنصر ممتاز على عنصر الجنود ، بل لان الآلهة تطلب ايفيجنى ، والا لكانت الريح قد

هبت منذ الصباح ، منذ استشهاد أول الجنود !٠٠ فيثورأوليس على أسلوبه فى مساومة الآلهة ، أو على أسلوب الآلهة فى مساومته :

أوليس : هل تعتقد مخلصا أن الريح ستهب عندما يسيل ذلك الدم البرىء ؟

أجا ممنون : أعتقد

أوليس : وتهب فى الحال ؟

أجا ممنون : كالخاس لا يشك فى ذلك

أوليس : ومن أين له أن يعرف ؟

أجا ممنون : انه يعرف ! ان كالخاس من أولئك الرجال النادرين الذين أوتوا المقدرة على قياس ما يغيب عنا من أبعاد العالم !

ويستجوبه أوليس عن كالخاس ، ويظل يضيق عليه الخناق، حتى يعترف له أجا ممنون بأنه قابل ذلك الشيخ مرارا ، وأصغى اليه ، ووجده سديد الرأى ٠ فيتهمه أوليس بالتآمر مع هذا الرجل الذى يمثل السلطان الدينى ، لكى يخدعا الشعب معا ، ويظهران بمظاهر الاعجاز والتضحية والبطولة والمجد ، فى سبيل أن يتوجه الشيخ بعد ذلك امبراطورا على اليونان ، ويكافىء الامبراطور بدوره شيخه الداهية بأن يعينه رئيسا للكهنة !٠٠ وتحتد المناقشة اذ يتمادى أوليس فى الهجوم سائلا :

ـ أيكما الذى تفتق ذهنه عن فكرة التضحية بايفيجنى ؟

ـ أمجنون أنت ؟

ـ حسنا ! اذن فهو كالخاس ٠ انى أفضل هذا الوضع

ويجابه أوليس فى جد ذلك الحادث الشنيع الذى يقترب منهم بسرعة ، ويحاول بذكائه أن يتلافاه ، أو أن يرجئه ، ان هو لم يستطع العمل على الغائه :

ـ لماذا حددتما غدا ؟

ـ لا أدرى
ـ لكن صاحبك يدرى
ـ لا بد أن الوقت قد حان
ـ أنظر ! هنا موطن العلة ٠٠ كالخاس يعرف ؟ أليس كذلك ؟

فيرجوه أجا ممنون أن يصمت ، ولكن أوليس يود أن يسأله سؤالا أخيرا ، وانه ليفعل رغم استياء القائد الاعلى وتجهمه :

ـ هل تظن حقا أن كالخاس يعلم الغيب ويعرف المستقبل ؟

وينتظر جواب أجا ممنون ، ولكنه اذ لا يجد منه غير الصمت والازورار ، يواصل كلامه :

ـ ذلك لانى اذا تخيلت المجد الرائع الذى قد تحبوكما به السماء ، أنت وفلكيك ، اذا تم النصر ٠٠ فانى أتخيل فى صورة أوضح أية كارثة تحيق بكما ان لم تؤيدكما الريح ! اذ ذاك يدرك الجميع أن الآلهة التى زعمتما اعلاءها قد خذلتكما ونبذتكما ، ويرى الجميع أنكما سفاحين قتلتما طفلة فى سبيل الوصول الى السلطان ، وهناك يثور الجند عليكما ويمزقونكما اربا اربا ثم يلقونكما الى الكلاب ، وتلعن ذكراكما الاجيال القادمة ٠٠ هل فكرت فى هذا كله ؟

فى هذا الحوار المحمل بالمعانى يناقش الكاتب مسألة الحرب ، ماهيتها وقيمتها ، حوافزها وعواقبها ٠ أليست الحرب ضربا من المقامرة ؟ ان لك أكاليل النصر اذا هبت الريح ، وعليك أوزار الهزيمة اذا لم تهب ! وكيف يسلم عاقل أمره الى نزق الريح ؟ ومن هم الذين يشعلون الحرب ؟ أليسوا رجالا لا يعرفون من حقيقتها وحقيقة الحياة سوى القشور ؟ ربما أعمتهم المنفعة وربما بهرهم المجد ، ولكنهم ينكرون عواطف الحب والرحمة ، ويسفكون دم أقرب أقربائهم ، ويريدون ما لا يريدون ٠٠

وفى هذا الموقف المتوتر ، فى اللحظة التى يحتدم فيها الجدل بين قواد اليونان الثلاثة الى درجة تضطر القائد الاعلى أجا ممنون الى طرد أوليس من خيمته ، **تفتح باب الخيمة وتدخل منه امرأة جليلة فى رداء أحمر فضفاض ٠ انها كليتمنستر ، زوجة أجا ممنون وأم ايفيجنى ، جاءت تستطلع ما خطب زوجها الذى لم يذهب للقائهما منذ وصولهما الى المعسكر ٠ تدخل فيتحرج الجميع ، ويسود صمت بارد ثقيل ، لا يعرف أن يقطعه الا أوليس الذكى يوجه اليها عبارات التحية** ٠ وتعاتب زوجها سائلة اياه عن علة تقاعسه وابطائه ، فيعتذر اليها فى كلمات قليلة بتعقد الموقف الحربى ٠ وتنظر حولها فترى الرجال الثلاثة قد أبهظهم العناء والهم ، وتحس فى الجو سرا خانقا ، سرا لاح لها منذ نزولها وابنتها من المركبة فى ساحة المعسكر ، فقد بدا لها أنهما غريبتان دخيلتان ، اذ لم يتوقع حضورهما انسان ، ولم يكن فى انتظارهما جندى واحد من صغار الجنود !

ويشير منيلاس على أخيه بأن ينبىء كليتمنستر بالموضوع ٠٠ فيأبى أجا ممنون أن يطرق أحد ذلك الباب ، ويفضل أن ينتظروا جميعا ٠ ولكن منيلاس يريد أن يخوض الامرليحسمه، فالفرصة مواتية لكى يؤلب على أخيه العنيد زوجته أيضا ، وهكذا قد يستطيعون بالاجماع أن يرغموه على الرجوع عن قراره الجائر ! ولا يلبث الشرر المتطاير فى الفضاء حتى يشتعل ٠ ويصطدم الاخوان القائدان ، فيستخدم أجا ممنون العنف ، آمرا أخاه أمر القائد الاعلى للقائد الاقل رتبة :

أجا ممنون : لن يفعل هنا امرؤ ، أو يحاول ، أو يقول الا ما أسمح له بأن يفعل أو يحاول أو يقول ٠ اننى الرئيس !

منيلاس : بفضل من ؟ انما نحن الذين انتخبناك رئيسا !

ويهدده بالانشقاق عليه والثورة ضده ٠ ولكن أجا ممنون يقول له واثقا من نفسه :

- ان الثورة هى ثورة الجيش ، والجيش فى يدى .
- **منيلاس** : ان جيش أمة حرة ليس ..
أجا ممنون : كفى !..
كليتمنستر : نعم ، كفى !

ويعز على منيلاس وهو الذى انبرى للدفاع عن قضية هذه المرأة أن يراها تعارضه وتأمره بالصمت !

منيلاس : كيف لا تحسين يا أختاه أننى وأوليس نناضل لننصر النظام والعقل والسلامة على هذا الرجل الذى تميل به الحرب الى الجنون !

كليتمنستر : أو هذا أوان النضال والخلاف ؟

منيلاس : ليست محاولة وقف حرب غبية بمحاولة متأخرة عن أوانها أبدا

كليتمنستر : فمن الذى خلق هذه الحرب الغبية ؟ ألست أنت ممن أثاروا شعب اليونان على طروادة ؟

منيلاس : لقد كنت مجنونا ، اننى أقر بذلك . لقد أطار البغض والنقمة صوابى اذ ذاك . فلما ثبت الى نفسى ، كان الآخرون قد سلبوا منى الرغبة فى الثأر . لقد أصبحت الحرب حربهم ! انك لتعلمين وانك لتعلم يا أوليس أننى لم أقدم لهذه الحرب الا التعلة أو الحجة التى تبررها ..

أوليس : وبتقديمك لها التعلة ، قدمت لها كل ما يلزم .. فما الحروب الا بحوافزها !

ويريد منيلاس أن يتبرأ من تبعة اعلان الحرب ، فينبرى له أجا ممنون مذكرا اياه بأنه كان - وهو القائد الاعلى اليوم - ممن تأثروا بحماسته الاولى فى طلب الثأر لاثينا ! ويرد منيلاس الاتهام مصورا أخاه أجا ممنون بأنه ألعوبة فى يد كالخاس مصدر الشر !

وتندهش كليتمنستر من تحامل منيلاس على كالخاس . انها تعرف هذا الرجل ، فقد لقيته ثلاث مرات ، وبدا لها أنه رجل

غريب الاطوار ، تستغرقه خواطره ، ولكنه على كل حال غير خليق بهذه النعوت العنيفة التى يطلقها عليه منيلاس . وتسفه دون تردد أقوال منيلاس هذا الذى يدفعه طبعه السريع الالتهاب الى الامعان فى التخيل ، والتهويل ، والصياح ..

منيلاس : انه وحش !

كليتمنستر : كجميع الناس ..

منيلاس : انه نمر ، انه ابن آوى ، انه ثعبان ، انه أفعى !

كليتمنستر : حديقة حيوانات ، بالجملة ..

منيلاس : انى أنهاك عن الضحك !

وتستاء كليتمنستر من لهجته ، لا سيما حين ينهاها بعد ذلك فى حزم عن أن تلقى على حيرة الرجل المتألم سخرية المرأة التافهة ! وتأمره بأن يخرج . ولكنه لا يخرج ، بل يدفعه جحودها الى أن يدنو منها ليسدد اليها الضربة القاضية . ويهم بأن يدلى اليها بالنبأ الفاجع ، ولكن أوليس يقفه ، الا أن أجا ممنون لا يرى بأسا فى أن يفعل ، فلقد اطمأن الآن الى أن زوجته حسنة الرأى فى كالخاس سيئة الرأى فى منيلاس !

ويأخذ منيلاس فى مخاطبتها خطابا مباشرا ، عنيف الالفاظ والصور ، متفجرا بالغيظ والحنق واللوعة . يقول لها ان كالخاس الذى ليس وحشا يتربص لكى يمد مخلبه الى ابنتها ، بل لقد باتت حياة ابنتها بين براثنه. فلا تفهم شيئا، ويعتريها الذهول .. بينما يمضى منيلاس الى غايته :

ـ نعم انك لا تفهمين ، ولكنك ستفهمين عما قليل .. ان الآلهة ـ وكالخاس يترأس وزارتهم ـ غضاب علينا . ما علة هذا الغضب ؟ لا أدرى . ولكنهم غضاب . والدليل على ذلك اننا لم نلق منذ وصولنا الى الشاطىء الا الموانع والعقبات والحواجز التى لا سبيل الى اجتيازها . **ولن يذوب هذا الغضب الا اذا رواه دم الاميرة . كالخاس قال ذلك ، وقوله هو الحق .**

واذا اعتراك الشك كما اعترانى واعترى أوليس ، فانك تتقمصين روح العصيان . ان الجميع - فيما عدانا نحن الثلاثة - من القائد الاعلى الى آخر الجند لا يضعون عبقرية كالخاس وسلطته موضع المناقشة .. وأضيف أننا ننوى استرضاء السماء الغاضبة غدا فى الفجر .. اذا اجترأ على الطلوع فجر يوم شنيع !

وتمضى برهة قبل أن تستطيع كليتمنستر أن تنطق بكلمة ، وأن تسأل أوليس فى صوت شاحب عن الحقيقة . انها تنكر ما سمعت ، ولكن أوليس يؤكد لها فى رفق أنهم باتوا سجناء يتخبطون فى فخ نصب لهم ، وأن الموقف - دون محاولة البحث عمن دبره - أمر واقع ، وأنهم فى قبضة رجل كالمجنون وان كان شديد الذكاء ويحظى فى نظر الشعب بما يحظى به الآلهة من تقديس . لفظة واحدة يفوه بها هذا الرجل كفيلة بأن تدفع الجميع وراءه مطيعين طاعة عمياء ، معلقين بهذه اللفظة الواحدة مصيرهم ، وجودهم ، حياتهم ، وما ملكت أيديهم !

تترنح الام من هول ما يطرق سمعها ووعيها كما تطرق الامواج الجارفة رمل الساحل . ثم تنهض وتجابه زوجها الصامت، تسأله ، وتنظر اليه، وتصغى ، فلا يجيبها الا مشيدا بما هو خليق أن يغمر نفس ملكة عظيمة مثلها من عواطف عالية، حاثا اياها على أن تستوحى من جلالة قدرها ما يكمن وراء هذا الصمت من جواب ومن معنى رائع . وتجهد الام فى مقاومة شعورها الطبيعى لتظهر بمظهر الملكة ، ولكنها لا تلبث حتى تختنق بما يمور فى صدرها ، وتصيح مستغيثة ، وتنهار ! ويعقد الانفعال ألسنة الرجال الثلاثة وأيديهم لحظة ، ثم يهرع أوليس الى كليتمنستر يعينها على النهوض ، معاتبا منيلاس على عنفه في سياق الخبر ، ويرفعها كلاهما وهي تئن ويرقدانها

على الاريكة · ويعتذر اليها منيلاس ـ وان كان فى قرارة نفسه يعتقد أنه أدى واجبه ـ ويقدم لها شيئا من النبيذ · وتجلس كليتمنستر صامتة ، حاملة رأسها بين كفيها · وازاء هـذا الاثر الاليم الذى أحدثه النبأ الفاجع ، يقترح أوليس على أجا ممنون اقتراحا ايجابيا حاسما :

ـ لقد تورطت فى الامر كما لا ينبغى لملك أن يتورط · هلا تركتنى أتصرف ؟ أما كالخاس فينبغى أن نطرده · مرنى ، وأنا كفيل بذلك ، وكفيل أيضا بأن أقود الجيش فأدير أنفه نحو أرض الوطن ليشم رائحة لبن الماعز وخشب الزيتون · امض وزوجتك وهذه الفتـاة الجميلة · امض أجا ممنون ! فانك لتستطيع أن تكون ملكا عظيما ··

ـ انى بالفعل ملك عظيم ·· ولست واحدا من هـؤلاء الفلاحين الذين يقعدون فى ظل شـجرة ويأكلون ما يطهون ويملكون على قطيع من العنز ومن جماع الزيتون ·· لقد تغير وجه اليـونان ، ولم يبق فى أرجوس ولا فى ميسينا ولا فى اسبرطة أثرياء كسالى يتثاءبون طيلة يومهم ، لم يبق فى بلادنا فلاحون صامتون كأرضهم متوانون كأبقـارهم ! لم يبق فى اليونان غير الاطفال والنساء والشيوخ والموتى · وأما سواهم فهنا · الجميع جندى · هنـا جيش اليونان ، أبو الشعب اليونانى ··

ـ بل ابن الشعب !

ـ كلا ! أبو الشعب · فالحرب هى أم الامبراطورية وهالة مجد اليونان

ـ هل تفهم ما تقول ؟

ـ انى أقول ما يتردد فى نفسى من رغبة الجند وعاطفة الشعب

ـ أهي الحرب ، تلك العاطفة وتلك الرغبة ؟

- هى الحرب ..
- انك لمجنون !
- اذن فحاول أن تقول ذلك للجند ، تر أنك وحدك المجنون من دون الرجال جميعا
- لان كالخاس أعماهم وخدعهم !
- بل أثار حميتهم ..
- حذار من هذه النشوة ، فانها سوف تنقشع . ان جنون الحرب ليس بالدائم ، وانما تتخلله فترات الاستراحة ، فترات طويلة أحيانا ، قد تغير كل شىء . حذار من فترات الاستراحة، ولا سيما من آخر هذه الفترات ، وهى التى يدعونها السلام..
- لا وجود للسلام !

عبثا يحاول أوليس أن يقنع أجا ممنون ببشاعة الحرب وهولها ، عبثا يحاول أن يثنى عزمه العنيد ، فهو لا يفكر الا فى الظفر الخلاب والبطولة البراقة ، لا يفكر فى أولئك التعساء الذين ستبقر الاسلحة بطونهم وتحرق النيران ديارهم ، ولا فى أولئك العقلاء الذين لا يخلبهم الظفر ولا تبهرهم البطولة وانما يزنون الافعال بقيمتها الانسانية ، وانهم لخليقون بأن يعيروه بمجده الكاذب ونصرته الدامية وقوته الخرقاء ، خليقون بأن يثوروا عليه عند عودته من ميدان القتال وأن يذيقوه الموت الذى أذاقه للالوف من أمثاله !

هكذا يقف رجل الحرب فى مكانه الوخيم لا يحيد عنه حتى تنفد جهود رجل السلم فى نضاله .. ويصمت الرجلان صمتا طويلا . ويتقدم أوليس وئيدا ، ويرسل بصره الى الافق البعيد، ويطلق حسرته فى زفرة عميقة ، **وفجأة يلتفت الى كليتمنستر مشهدا اياها على أنه أدى أقصى واجبه دون جدوى وأن حياة ايفيجنى قد باتت بين يديها ، فهى وحدها التى تستطيع بعد ذلك انقاذها ! وتنهض كليتمنستر وقد ملكها مزيج من الاسف**

والاذعان والاثرة التى تتنكر فى مظهر التضحية ، تقول ان يديها مغلولتان ، لانها ليست أما فحسب بل زوجة وملكة أيضا ! ويكاد منيلاس أن يجن اذ يراها تؤيد زوجها وتعتذر له عما سلف من خورها ووهنها وتقف الى يمينه بعد أن يقبل منها الجبين .. فيهيب منيلاس مذعورا بمروءة أوليس، ولكن أوليس قد نفض يديه وانسحب ! ويعلو صوت منيلاس ، صوت الوجدان ، عاتبا على أوليس العاقل تجرده من العاطفة ، لاعنا أجا ممنون ملك الحرب والغدر والقتل ، عبد السلطان الغاشم، فاصما عرى الاخوة التى تربطه بأخيه ، معلنا أن ايفيجنى ليست ابنة أجا ممنون ولا ابنة كليتمنستر منذ تلك اللحظة ، وأنها فى حمايته .. ثم يخرج مندفعا !

ويبقى الجميع صامتين ، على حين نسمع صوت الجندى القتيل مقبلا من ناحية الشاطىء ، يدعو قائده ليتم له الرواية التى بدأها من قبل . لقد وجد أخيرا ذلك البلاغ الهام الذى يحرص على أن يبلغه للقيادة العليا . وانه ليلقيه فى عبارة متقطعة ، تتقدم فى بطء وتقع وقعا شديدا كأنها عكاز الاعمى . يقول من أعماق قلبه ان الجندى الآخر عند ما قتله قد نظر اليه نظرة صديق ودود ، وبدا عليه الاسى الذى يغمر النفس حين يصيب مكروه شخصا عزيزا علينا ، وملكه السخط الذى يثيرنا ازاء الظلم والعدوان .. أتقولون انه أخطأ وأساء ؟ كلا ، فما الخطأ خطأه ولا الاساءة اساءته . لا تحقد أيها القائد الاعلى على هذا الرجل الذى قتلنى . فلو قد رأيته مثلى ، لو قد تلقيت ملء عينيك نظرته التى تلقيتها عندما فاض دمى ، لايقنت أن هذا الرجل كان يشعر فى تلك اللحظة أن الدم المتصبب انما هو دمه ! أتقولون انه لا يشعر الآن ذلك الشعور ؟ ولكنه قد عرفه .. عرفه هذا الصباح ، وانطوت حياته وعظامه وانطوى لحمه وجلده على هذه البذرة ، بذرة الصداقة والود ، فهى فى قرار

نفسه لا يستطيع شيء أن ينزعها • لا ينبغي أن تقول أيها القائد ان عدوا هو الذى قتلنى ، فما ذلك بالحق • لقد أعطيتنا الامر بأن نمضى فى جولة استكشاف للبحث عن العدو • وانى عائد من المهمة التى كلفتنى بها لاقدم لك عنها تقريرى ، **وانى لاقرر أنه لا يوجد عدو ! منذ قتلنى الرجل، طارت الحرب من فوقه ومن فوقى كطائر من طيور الليل يخيفه النهار فيختفى فى وكره • لقد خمدت نار الحرب فجأة ، ولم يبق الا وميض الرحمة فى عينيه ، ولن يستطيع أحد أن يطفئه • لقد أشرف على احتضارى كالشمس المشرقة ، وصحب آخر ما تردد من أنفاسى • ان الرجل الذى قتلنى صديق لا عدو !**

وريثما يستأنف الجندى القتيل حديثه ، نسمع من بعيد صوت البوق يوقظ المعسكر • ويريد الجندى القتيل أن يعرف جواب قائده الاعلى ، فيتقدم ويخطو داخل الخيمة خطى ثقيلة مهيبة حتى يقف أمام أجا ممنون • ولكن أجا ممنون ساكن لا يتحرك ، كأنه الاصم ! وينفى الجندى القتيل حق القائد الاعلى فى الصمم ، فلو لم تبق على الارض غير أذن واحدة ، لكانت تلك اذن القائد الاعلى التى ينبغى أن تصيخ لرأى أولئك الرجال الذين يسلمونه حياتهم !



ثم يستدير الجندى الى كليمنستر ، وهى المرأة والام والمالكة على أمثاله وأمثال صاحبه الذى قتله، والتى يجدر بها أن تشعر شعور زوجات هؤلاء الرجال وأمهاتهم ، غير أنها فى واد آخر ، ولا تفيق الا لتشكو من برودة الجو ! فيجيبها

أجا ممنون بأن الفجر قد طلع . ويمضى أوليس نحو الموقد فى آخر الخيمة ليلقى الى النار قطعة من خشب ، واذ يمر بجوار الجندى القتيل يستجوبه الجندى أيضا ، فلا ينطق أوليس بكلمة ، وانما يعود الى مكانه . وازاء صمت هؤلاء الاشخاص الثلاثة المسئولين وجمودهم ، يقرع الجندى القتيل صدره ، ومن له بالذى يصغى الى ما يخالجه ؟ انه يضطر الى الصمت ، راجيا أن يحرك صمته من تلقائه الحقيقة الكامنة فى كل نفس انسانية . أليس صمته هو أبلغ حديث ؟

وينفتح الباب ، وتظهر ايفيجنى ، فتاة رقيقة فى ثوب أبيض ناصع فضفاض ، وقد أخذ بيدها عمها منيلاس الذى يدفع عنها أمها اذ تحاول أن تعانقها ! ولا تكاد تجتاز ايفيجنى الباب حتى تقف ، شاحبة الوجه ، شاردة العينين . لقد أخبرها عمها بكل ما دار وما عسى أن يدور ، وانه لا ينى عن تقريع أبويها ، فلا تقوى كليتمنستر على أن تكتم بكاءها . ويشهد الجندى القتيل ذلك ، فلا يفهم من الامر شيئا ، ويظل مشدوها ، وان كان حديث الموت والاعدام يثيره . وينتقل الحوار الى جدل بين الاب والام : تريد الام أن تقف بجوار ابنتها الطفلة وتحنو عليها فى لحظاتها الاخيرة ، غير أن الاب القائد ينهاها عن أن تمسها ، مؤثرا أن تحتفظ الفتاة بجلالها وألا تهوى الى الضعف وهى تعبر أبواب الموت فى طريقها الى الخلود ! **وتسمع الفتاة كلمة « الموت » فتطلق صيحة رهيبة تمزق سكون الفجر ، وتترنح فيهرع اليها أبوها ، ولكنها تنهض قبل أن يدركها ولا تدعه يقترب منها . وتسرى الرعدة فى أوصالها فكأنها نهب لزمهرير الشتاء !**

أجا ممنون : يا بنيتى !

ايفيجنى : لا تسمنى ابنتك !.. لست ابنتك منذ اليوم ، بل وما كنت ابنتك في يوم من الايام . اني فتاة بائسة مجهولة الاب !

أجا ممنون : كفى اهانة لى واهانة لنفسك ! لقد شاءت الآلهة أن ترفعك الى ...

ايفيجنى : دع الآلهة وشأنهم !.. آه ! لقد عشت ست عشرة سنة فى كنف رجل ، فى حدب رجل حبيب عزيز ، لكى أكتشف فجأة أنه أجنبى ، كائن غليظ القلب ، فظ ، غامض ؟ .. يا لذعرى !

أجا ممنون : ويا لخيبة أملى ! ان أميرة لا ينبغى أن تتهافت على الحياة المبتذلة ، على الزوج والبيت والعيش المغمور ، بل أن تفكر فى خير بلادها وعظمتها ومجدها .

ايفيجنى : تلك كلمات أسمعها منذ أن كانت لى أذنان ، ولكنها أصبحت اليوم لا معنى لها ولا لون ولا شكل ! انها كلمات طنانة جوفاء بالية . قل لى الحقيقة ! انى لا أريد أن أموت فى ظل هذه الكلمات . ليتنى أموت فى سبيل شىء حقيقى ، لا أن تؤخذ حياتى عنوة وغدرا فى سبيل لا شىء ..

أجا ممنون : غضب السماء لا شىء ؟ ثأر اليونان لا شىء ؟

ايفيجنى : كذب ! كذب !

وتترنح مرة أخرى ، فتصيح كليتمنستر منزعجة وتسرع اليها ، ولكن الفتاة تقوم فى عزم وقوة ، آمرة ألا يمسها أحد ! لقد أهاب بها الجندى القتيل أن تثبت ، فاستجابت لدعائه واستدارت نحوه تبحث عنه . ويفرح الجندى اذ يرى أنها سمعته من دونهم ، ويحثها على الاحتمال والتجلد وطرد الخوف . ويبدأ بينها وبين هذا الجندى القتيل - الذى لا يراه ولا يسمعه سواها - حديث يندهش له الجميع من حولها . ويسود الصمت ، ويخشع كل من فى الخيمة ، ويشرق وجه ايفيجنى ! .. وفجأة يشق الفضاء صوت بوق مزعج يجمع وحدات الجيش ، ويقترب صوت البوق ويعلو ، فترفع الفتاة يديها الى نحرها وتطوق بأصابعها عنقها ، ويهز الفزع كليتمنستر التى

تحاول دون جدوى أن تخاطب ابنتها ، فان ايفيجنى تستأثر لنفسها بلحظاتها الاخيرة • ويطأطىء منيلاس رأسه ، وتخطو الفتاة نحو أهلها فيتقهقرون الى أطراف الخيمة ، وتظل والجندى القتيل فى صدر المسرح •

— اطمأنى !

— انى مطمئنه

— ماذا يريد بك كالخاس ؟

— دع ذلك

— هل تعرفين كيف تناضلين هؤلاء جميعا ؟

— سوف أغادرهم

— كيف ؟

— لألحق بك

— أجل !

— انى أنفر منهم ولا أطيقهم • فلقد وضعوا فى صدرى وقلبى من الغل والحقد عليهم ما يدفعنى الى الفرار منهم حتى ولو خروا ساجدين بين يدي يسألوننى أن أصفح عنهم وأغفر لهم • سوف أنتزع نفسى من عالمهم ، سوف أقتلع نفسى من أرضهم ، لا أريد أن أستنشق هواءهم !

— حسنا تفعلين

وتبتسم ايفيجنى ، وتسأل صاحبها كم يبلغ من العمر ، فيجيبها بأنه سيظل دائما فى الثانية والعشرين من عمره وأنها ستظل دائما فى ربيعها السادس عشر ! وتدق طبول الجيش ، ونسمع مسير الجند ثقيلا ، ويفتح باب الخيمة رسول كالخاس معلنا أن الجيش قد اجتمع وأن كالخاس ينتظر • فيقول الجندى المقتول لايفيجنى :

— موتى وانطلقى ! موتى ضاحكة سعيدة! موتى لكى لاتكونى امرأة فى دولة كالخاس ! موتى لكى لا تصبحى أما لرعايا

كالخاس ! موتى لكى لا تشيخى فى دنيا كالخاس ! موتى لكى تظلى دائما فتاة ، حرة ، حية ..

ويحيط بذراعه خصرها ويتقدمان . ويستغفرها أوليس ، فيقول الجندى القتيل :

– هذا رجل عاقل يفهم . فماذا أجدى العقل والفهم ؟

ويتحسر منيلاس ، فيقول الجندى القتيل :

– وهذا رجل طيب . فماذا أجدت الطيبة ؟

أجا ممنون : هيا أيتها الاميرة !

ايفيجنى : لا ! مروا أمامى ! سيروا أمامى ! فانكم أنتم المذنبون !

ويخرج أجا ممنون، تتبعه كليتمنستر، ومن ورائها منيلاس، ثم ايفيجنى وصاحبها . ويبتعد صوت الطبول ويخفت . وبعد برهة يوصد أوليس الباب ، ويذرع الخيمة جيئة وذهابا ، ثم يقف اذ يدوى قرع الطبول فى ضجيج مروع يتصل ويشتد وينقطع على حين غرة ، فينهار أوليس على الاريكة ورأسه بين كفيه ، مستسلما للالم واللوعة .. ويظل كذلك لحظات طويلة، وفجأة يرفع رأسه ويثب فى وسط الخيمة متطلعا ، باحثا بوجهه وأنفه . ونسمع صوتا دقيقا كزفرة النـاى ، وتهتز الخيمة . ويصيح أوليس وقد أذهله الذعر :

– الريح ! يا للاوغاد !

وينفتح باب الخيمة فى عنف ، ويدخل الجندى الحارس جذلان طروبا :

– أيها القائد ! أيها القائد ! ان الريح تهب .. ما أشد قدرة الشيخ ! لقد كنت موقنا أنه سيجد كيف يطلق الريح من عقالها . كان يكفى أن تراه كل ليلة يسير بمحاذاة الساحل ..

– هل رأيته ؟

– كل ليلة !.. وكان يتفرس فى الماء ثم يتطلع الى السماء بشىء كالمنظار كأنه يعد النجوم . وأمس ، قبل طلوع الفجر ..

ــ أمس ؟

ــ نعم ، كان يسير على الشاطىء بصحبة الرجال

ــ أى رجال ؟

ــ رجال من أهل الساحل ، بحارة وصيادون ٠٠ كانوا يشرحون له تعرجات الشاطىء ، وامتداد الرأس فى البحر ، وظهور الغيم فى السماء ٠٠

ــ أو لم تفهم ؟

ــ ما الذى لم أفهمه ؟ لقد فهمت قبلكم جميعا ، كنت دائما واثقا من أن الريح ستطيع الشيخ اذا أطعتموه ٠ وكان ذلك مضمونا لدرجة أن الريح قد انطلقت قبل أن يذبحوا الاميرة !

ــ ماذا تقول ؟

ــ ماذا أقول ؟ لقد كانت الفتاة هنا ، حيث نحن ، حين أخذت الريح فى الهبوب !

اذن فقد نحروا الفتاة سدى !٠٠ ولم يكن مصرعها تضحية منها ولا استشهادا ، بل انتحارا للخلاص من عالم نبيه كالخاس وقائده أجا ممنون !

يملك الاسى أوليس ، فيطرد الحارس شر طردة ، الحارس الذى يمثل العامة الفظة ، المتوحشة ، الغبية ، التى يستعصى داؤها على كل علاج، ويعظم ذنبها عن أن تشمله مغفرة ! ويصمت القائد العاقل برهة وقد خلا الى نفسه ، ويصعد زفرة حارة ، ثم يهدأ ، ويستدير نحو الجمهور ، وينشد فى صوت خفيض جريح ، وهو مرفوع الرأس ، مرسلا بصره الى أفق بعيد :

أثينا !

أيتها الآلهة التى لا أومن بها منذ اليوم !

اننى أومن بحكمتك

حكمتك التى خلقتها في عالم أهله مجانين

كأنها أريج الدهر القديم

كأنها شذى شباب مفقود

ويسقط رأسه على صدره ، بينما تنسدل الستارة ٠

وهكذا قد لا تخلو الرواية فى مبناها من أوجه النقد ، ولكنها فى معناها خليقة باصغائنا واستجابتنا ٠ انها استغاثة الشعوب المفجوعة التى ما زالت تهددها الحرب ٠٠ انها أنة الضحية المغلوبة على أمرها تساق الى المجزرة ٠٠ انها صرخة الشباب الذى يتخبط منذ جيلين راغما فى ميادين الوغى !٠٠ وانها لصرخة تجد صداها فى كل عقل وقلب وضمير !

فما أضعف الانسانية التى تستسلم للخرافات والاهواء ! وما أشقاها بالتناحر دون وعى ! وهل أشد ضلالا من هؤلاء الغاوين — على رأسها — يحاولون قبض الريح !

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

فى الماضى والحاضر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة « جورجيت هودو » ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين «بيرك» و «هير» .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم « سقراط ».. ومحاكمة «آن بولين» ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن، فمحاكمة «دريفوس» .. ومحاكمة « ستافسكى » .. ثم محاكمة «مرجريت فهمى» .. ومحاكمة ملك انجلترا «شارل الاول» واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات اثينا القديمة) .. واخيرا «جريمة درب العشاق»

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه المحاكمة الطريفة والخطيرة فى وقت واحد ، وهى تحل اشكالا قضائيا حير القضاة الذى واجهوه كما حير سائر رجال القانون فى الظروف المماثلة .. وبرغم انقضاء قرن كامل من الزمان على هذه المحاكمة فان المشكلة التى واجهتها ما تزال قائمة بغير حل !

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله فى هذا الباب مجموعة منوعة من القضايا والمحاكمات الكبرى التى احدثت دويا ، سواء فى الشرق او الغرب

محاكمات أحدثت دويا

القاتل كان نائما!

THE KILLER
WAS ASLEEP

BY

SPENCER HARDY



جناية حيرت رجال القانون !

◆ هل يسأل الانسان عن التصرفات والجرائم التى يرتكبها اثناء نومه ، خلال نوبات المرض المعروف الذى يمشى المرضى به ويتحركون ويرتكبون الافعال وهم نائمون ، لا يحسون او يدركون ما يفعلون ؟

أم تعتبر تصرفات المرء أثناء تلك النوبات نوعا من الجنون ، او عدم المسئولية ، لا يسأل المصاب به عن افعاله ؟

هذا هو الاشكال الذى عرض على محكمة جنايات مدينة «بوسطن» بأمريكا اثناء محاكمة الشاب «ألبرت تيريل» أمامها . فبماذا حكم المحلفون فى تلك القضية ، التى انتهى فيها الحب المحرم بين الجانى والمجنى عليها الى مأساة مفجعة ؟

المال أصل كل الشرور !

◆ **كان** « تيريل » ـ وهو ابن صانع للاحذية بمدينة « ويماوث الامريكية ـ متزوجا من فتاة حسناء ، عاش معها حياة هادئة فاضلة لا غبار عليها .. حتى مات أبوه تاركا له ثروة لا بأس بها . ومنذ ذلك التاريخ تغير الشاب تغيرا كاملا، فبدأ يبدد ميراثه فى المجون والعربدة ..

وخلال مغامراته الماجنة تعرف « تيريل » بامرأة تدعى « ماريا بيكفورد » كانت زوجة لصانع أحذية آخر يقطن مدينة بانجور، بولاية مينيسوتا . وكانت ماريا على قدر كبير من الجمال ، ذات جسم فاخر ، تحلى هامتها بأكليل من الشعر المستعار تستعين على تثبيته بموسى حادة على شكل « دبوس » تحتفظ بها دائما فى حقيبتها .. كما كانت تحمل معها دائما خنجرا صغيرا أنيقا تدسه فى حمالة جوربها ، كى تنظف به أظافرها عند الحاجة !.. أما ثيابها الانيقة وحليها الرائعة فقد ميزتها

وجعلت لها مكانة خاصة بين نساء الاقليم جميعا ، سيما بعد أن صارت خليلة للشاب الوارث « ألبرت تيريل » !

تستفزه كي يضربها !

وكانت شخصية ماريا ، وصلتها بعشيقها تيريل ، على درجة من التعقيد تستحق معها أن تدرس بمعرفة أحد علماء التحليل النفسى المحدثين الذين يزدحم بعياداتهم اليوم شارع « بارك افنيو » بنيويورك ! **كانت شغوفة بأن تثير شجارا مع عشيقها كل حين ، بلا غاية مفهومة أو سبب ظاهر غير رغبتها فى استفزازه كى ينهال عليها بالضرب المبرح !٠٠ وكثيرا ما كان نزلاء « هانوفر هاوس » ـ وهو الفندق الذى اعتاد العاشقان أن يلتقيا فيه بمدينة بوسطن ـ يسمعونها تهدد بطعن حبيبها بخنجرها الصغير ، أو ذبح نفسها به !٠٠** وكانت كلما ضاق صدرها أو استبد بها الانفعال تتعاطى قدرا من صبغة الافيون ٠٠ أو تعزف لحنا على آلة « الاكورديون » التى كانت تتقن العزف عليها

وذات مساء ـ بعد نحو عام أو أكثر من ذلك التاريخ ـ طرد الاثنان من فندق « هانوفر هاوس » وألقى القبض على الشاب بتهمة الزنا ، بعد أن دبر له ذلك الكمين نفر من أقربائه بغية تلقينه درسا يردعه ويعلمه كيف يرجع عن غيه ويحسن معاملة زوجته فى المستقبل !٠٠ لكن أولئك الاقرباء لم يلبثوا أن ندموا على تسرعهم وطلبوا من المحكمة أن ترأف بالمتهم وتحكم بايقاف تنفيذ العقوبة بالنسبة اليه ٠٠ وهكذا أخلى سبيل تيريل بعد أن دفع النفقات المحكوم بها عليه وخرج واعدا بالعدول عن مسلكه المعوج ـ لمدة ستة أشهر على الاقل ، وفقا لقانون تلك الولاية ـ وبالابتعاد عن « ماريا » بصفة خاصة !

ووقع الحكم على ماريا وقوع الصاعقة ، فكتبت الى زوجها تتظلم منه (كذا) ، طالبة معونته بحجة أنها لا تملك نقودا تعيش منها ، الامر الذى سوف يضطرها الى الانزواء عن الناس خجلا وعارا ! لكن الزوج المثلوم الشرف لم يمد يده ليعينها أو ينقذها من مأزقها ٠٠ فراحت تطرق الابواب باحثة عن عمل ومأوى ، حتى وجدتهما فى ماخور للفساد يقع فى زقاق منعزل يسمى « سيدار لين واى » ويديره زوجان هما مستر ومسز جويل لورنس٠ وكانت «الموظفة» الوحيدة الاخرى ـ المنتظمة ـ فى تلك الدار امرأة تدعى « بريشيلا بلود » ، لها صديق اسمه مستر باترسون

وكانت الدار مؤلفة من طابقين ، يشغل صاحبها لورنس غرفة خاصة به فى الطابق الاول منها ، وتشغل زوجته غرفة أخرى به تشاركها اياها خادمتها « ماريا رايس » ٠ ويشغل الغرفتين الاخريين بنفس الطابق : ابنهما البالغ من العمر ١٥ عاما ، وابنتهما البالغة ١٢ عاما ، كل على حدة ٠٠ أما الطابق العلوى فكانت به ثلاث غرف ، تشغل كل من ماريا وبريشيلا واحدة منها ، والثالثة ـ الواقعة بينهما ـ كانت خالية فى تلك الفترة ٠٠

أصوات غامضة تمزق سكون الليل !

◆ **ولنعد** الى ألبرت تيريل ٠٠ كان قد أطلق سراحه ووضع تحت المراقبة يوم الثلاثاء ٢١ اكتوبر سنة ١٨٤٥ على وجه التحديد ، بعد أن أخذ عليه تعهد بعدم الاتصال بعشيقته لمدة ستة أشهر على الاقل كما أسلفنا ٠ **ولكن لم يمض من تلك المدة يوم واحد حتى التقى تيريل بماريا ومضى معها الى دار الدعارة التى تقطنها فى زقاق « سيدار لين واى » ٠٠ وهناك قضى العاشقان خمسة أيام يشربان الخمر ويتشاجران ويتضاربان ، ثم يتصالحان فيتناجيان ويتبادلان الغزل والقبل! ٠٠ كى يعودا الى سيرتهما الاولى من الشجار والتضارب مرة**

أخرى ، وهكذا ٠٠ حتى صباح يوم الاثنين التالى ٢٧ اكتوبر، حين وقعت المأساة !

فى بداية الليل سمعت « بريشيلا » العاشقين يتشاجران بشأن خطابات تلقتها ماريا من رجل آخر ٠٠ ثم سمعت الشاهدة نقاشا حاميا آخر بينهما عندما مزق تيريل زوجين من الاحذية التنكرية كان قد اشتراهما لمحبوبته ! وتلت ذلك نوبات من السلام والتفاهم المبارك كانت تتخللها الخلافات بين الحين والآخر على صورة مضحكة ٠٠ ثم استدعت ماريا صديقتها الشاهدة الى غرفتها مزهوة كى تريها جمال الهندام الذى يرتديه عشيقها ، فرأته يختال كالطاووس فى بنطلون مخطط وسترة منقطة وقبعة لامعة ، وكانت ماريا تكاد تتيه اعجابا بسترته المنقطة بصفة خاصة !

ونحو الساعة الرابعة من فجر الاثنين سمعت بريشيلا صوت ارتطام شىء ثقيل بالارض ، ثم خطوات شخص يهبط السلم مسرعا ٠٠ وخليطا من الانين والصياح المكتوم ٠ كما شمت رائحة دخان !٠٠ كانت النار قد اشتعلت فى بعض الحشايا المكومة بجوار جدار حجرتها وعند قمة السلم ، وبدأت ألسنة اللهيب تمتد الى الاسرة الخشبية ٠٠ فهرعت الشاهدة ترتدى بعض ثيابها ، وأخذ صاحبا الدار يصرخان مستغيثين : « النار ٠٠ النار ! » وأقبل جار يدعى « هاتش » حاملا جردلين مملوئين بالماء وراح يصب محتوياتهما على الحشايا ويصيح بمستر لورنس صاحب الدار وزوجته كى يساعداه بجلب مزيد من الماء ٠٠

اكتشاف الجريمة

◆ **وحين** وصل جندى من رجال المطافىء يدعى « بوكر » اعترضه مستر لورنس عند السلم الخارجى زاعما أن النار قد أطفئت ٠٠ لكن الجندى شك فى الامر واستعان بالمدعو هاتش

على تخطى سكان الدار المعترضين وراح يتسلق السلم عدوا ثم اقتحم الغرفة التى تنبعث منها ألسنة اللهب - وكانت غرفة ماريا - وأسرع الى النافذة يفتحها ليبدد الدخان المتكاثف فى جو المكان ..

وعند ذلك بدت له ماريا راقدة على الارض على مسافة من الفراش وقد شقت رقبتها ! وعلى مقربة منها موساها ملطخة بالدم وبجانبها جرابها . وكان على جسدها قميص النوم ، وعلى ساقيها آثار حروق لحقتهما من حشية ألقيت فوقها واشتعلت فيها النار ..

وكان قد انتزع من احدى أذنيها قرطها - وهى مهمة كانت تستغرق وقتا فى تلك الايام التى كانت تثقب فيها الآذان لتثبت الاقراط داخل ثقوبها - وهذا يفسر سبب احجام الجانى عن انتزاع القرط الثانى ..

أما حقائبها وجميع ثيابها الفاخرة المتناثرة فى ارجاء المخدع فكان يتصاعد منها دخان اللهب المكتوم ، كما دست أعواد الثقاب فى ثنايا القش الذى حشيت به « مرتبة » السرير ، بغية حرقها .. لكن الدم الذى سال من جسد القتيلة عاق النار عن أن تسعى فيها سعيها الحثيث ..

الجانى يحاول الفرار !

◆ **وفيما** كانت هذه المعلومات تجمع كان ألبرت تيريل يوقظ « سائس » اسطبل « فولام » للجياد ، الذى لا يبعد عن الدار كثيرا ، طالبا أن يعد له مركبة وحوذيا كى يعود الى بلدته « ويماوث » بأقصى سرعة ، زاعما أنه فى مأزق وأن أحدهم قد حاول قتله !.. وبينما كان السائس يشد جوادين سريعين الى العربة ، أسرع تيريل الى منزل قريب يقطنه « صامويل هيد » وزوجته ، وأخذ يدق الباب فى عنف والحاح ، فلما أقبلت الزوجة لتفتح له صاح بها : « أريد ثيابى ! » .. ولما كانت



المرأة لا تعرف أن له ثيابا غير بضعة مناديل تحيكها له خياطة تقطن فى نفس المنزل ، فقد استدعت زوجها ليتفاهم معه ٠ وفيما يلى الرواية التى أدلى بها الزوج فى التحقيق :

« كانت حركات تيريل وتصرفاته غريبة شاذة ٠٠ فهززته بعنف ، وعندئذ بدا كأنه أفاق من غيبوبة أو كابوس ، لم يكن أثناءه يعلم أين هو ولا ماذا جاء يفعل ٠٠ وكأنه كان نائما ! وسألنى حائرا : « سام ، كيف جئت أنا الى هنا ؟ » فقلت له انى لا أعرف ٠٠ وانما أعرف فقط أنه أشار الى اعتزامه السفر الى ويماوث »

وعاد الشاب الى حيث أوصى على العربة فاستقلها الى بلدته ٠ وحين وصل الى هناك أنبأ حماه « ناثانييل بيلى » أنه هارب من العدالة ! واذ أدرك هذا أن الامر يتصل ولا شك بعلاقة الشاب بعشيقته ماريا فقد بادر الى اخفائه ٠٠ فلما جاء رجال البوليس للبحث عن القاتل الهارب وصارحوا حماه بالتهمة الموجهة اليه أنكر وجوده عنده أو رؤيته له !

وحين ذهب رجال البوليس أقسم تيريل لحميه أنه برىء من تهمة القتل ، وعرض أن يسلم نفسه للسلطات ٠٠ لكن بيلى منحه مبلغا كبيرا من المال ونصحه بالمبادرة الى الفرار من البلاد ٠٠

هل ارتكب الجريمة وهو نائم !

◆ **وعمل** تيريل بالنصيحة فسافر الى ميناء « نوفاسكوتشيا » حيث استقل سفينة وجهتها أوربا ٠ لكن السفينة رست فى نيويورك خلال الطريق فقبض رجال البوليس هناك على الشاب ،

وبعد التحقيق معه قدم الى المحاكمة بتهمة قتل عشيقته ماريا بيكفورد !

ووكل المتهم للدفاع عنه محاميا من أشهر محامى أمريكا وقتئذ هو « روفوس كوات » .. **وبنى كوات دفاعه على أساس فروض ثلاثة : أولها أن المرأة قد شقت رقبتها بموساها بيدها هى لا بيد تيريل ، أى أنها انتحرت ولم تقتل ! والفرض الثانى أن آل لورنس أصحاب الدار التى كانت تعمل فيها كذبوا فى شهادتهم ودبروا الامور بحيث تحوم الشبهة كلها حول تيريل، فى حين أنهم هم الذين قتلوا ماريا وسرقوا حليها وجواهرها ! .. أو قد يكون تيريل هو القاتل حقا ـ وهو الفرض الثالث والاخير ـ وفى هذه الحالة لا يكون مسئولا عقليا عن جريمته كما سيجىء البيان .**

لكن محامى المتهم لم يلبث أن اضطر الى التنازل عن الفرض الاول الذى يقول بانتحار ماريا ، حين أثبت الفحص الطبى أن المرأة انما ذبحت فى فراشها حيث آثار الدم الغزير الذى سال منها ، ولما كانت جثتها قد وجدت على مسافة بعيدة من الفراش، يتعذر عليها أن تقطعها على قدميها بعد اصابتها ، فلا يبقى غير الجزم بأنها قتلت ، وأن قاتلها هو الذى نقلها الى المكان الذى وجدت فيه ، ثم أشعل فيها النار !

.. وعاد المحامى فتنازل عن افتراضه الثانى أيضا ، الخاص باتهام آل لورنس أصحاب الدار باقتراف الجريمة وسرقة مجوهرات القتيلة ، حين عجز المحققون عن الاهتداء الى تلك الحلى الثمينة فىدارهم أو فى مكان يحتمل أن يكونوا قد أخفوها فيه أو تصرفوا فيها اليه ..

وهكذا لم يبق أمام محامى المتهم غير أن يلجأ الى الفرض الثالث فيتحصن وراءه ، مركزا دفاعه في القول بأن الشاب قد



ارتكب جريمته وهو نائم، لايدرك ماذا فعل ، ومن ثم لا يكون مسئولا عن فعله ، شأنه شأن المجنون سواء بسواء !٠٠ **وشهد عدد من أصدقاء المتهم وأقربائه بأنه كان كثيرا ما يمشى أثناء نومه ويهاجم بعضهم فى تلك الحالة ٠ بل انه حاول مرة أن يقفز الى الخارج من خلال نافذة مغلقة ، لولا أن استيقظ أهل البيت على صوت تحطيم زجاجها!** ٠٠ واستدعى تاجر الزجاج فشهد بأنه تولى تركيب زجاج جديد للنافذة بدل الذى كسر ٠٠ كما اتفقت كلمة أولئك الشهود على أن تيريل كان يصدر من حلقه أثناء تلك النوبات صوتا شبيها بالانين أو الصياح المكتوم ، لعله هو الصوت الذى سمعته « بريشيلا » صادرا من غرفة القتيلة ليلة الحادث !

ثم سمعت أقوال الطبيب الذى حاول معالجة الشاب من نوبات المشى أثناء نومه ، فشهد بقوله : « لقد عالجت الحالة علاجا طبيا باعتبارها مرضا معترفا به ٠ وقد كان مريضى حين يستيقظ من النوبة يعجز عن تذكر ما حدث منه أثناءها ! »

الحكم

◆ **ثم** خلت المحكمة للمداولة، فاستعرضت أدلة الاتهام التى تثبت - بشهادة جميع الشهود - أن تيريل وماريا قد دخلا الغرفة فى الساعة التاسعة مساء الاحد ولم يغادرها أحدهما حتى حدوث الجريمة فى فجر الاثنين ، **ومن ثم كانت لدى الشاب الفرصة الكافية لقتل المجنى عليها ، كما كان لديه الدافع على**

ارتكابها ، اذا صدق ما قيل عن غيرته الشديدة على عشيقته فى الايام الاخيرة !.. ثم استعرضت المحكمة حجج الدفاع المضادة، وأخيرا واجه القاضى هيئة المحلفين قائلا أن الادلة كلها تجمع على أن المتهم هو الذى ارتكب الجريمة : « ولكن نوم اليقظة الذى يقال أن المتهم مصاب به هو نوع من الجنون ، ينبغى أن يعفى من العقاب .. فاذا ثبتت اصابة المتهم به يكون ذلك فى ذاته مجالا للدفاع عنه »

وأصدر المحلفون قرارهم بأن المتهم « غير مذنب » .. فحكم القاضى بالبراءة !

ترى لو عرضت هذه القضية على المحاكم فى أيامنا هذه ، على ضوء النظريات الطبية المعاصرة وعلم النفس الحديث ، وبعد انقضاء قرن كامل من الزمان .. ماذا يكون حكمها ؟

إقرأ معى :



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- **آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر ((جود))**
- **آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو**
- **كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى**
- **الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك**
- **مراهق : البرتو مورافيا**
- **آلهة ومقابر وعلماء : سيرام**

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه اللوحات الانسانية الخالدة من ادب الطبيب الاديب العالمى ((أكسيل مونته))، كما اوردها فى كتابه المشهور ((قصة سان ميكيل)) ، الذى يندر ان يلقى كتاب مثل الرواج الذى لقيه منذ صدوره عام ١٩٣٣ حتى اليوم ! .. كما يندر ان يرتفع طبيب الى مرتبة كاتب من اعظم كتاب العالم ، نتيجة لتأليفه كتابا واحدا !.. لكنك حين تقرأ الصفحات التالية سترى ان هذه المكانة اقل بكثير مما يستحق اكسيل مونته ..!

وفى الاعداد القادمة أزمع ان اقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الشائقة ..


THE STORY OF
SAN MICHELE
BY
AXEL MUNTHE
اکسِیل مونتہ
قصہ سان میکیل

الكتاب .. والكاتب



أكسيل مونته

هذه لوحات رائعة للحياة ، مستلهمة من الحياة ، بريشة فنان ضرير !! رسمها بعد أن جاوز السبعين وفقد بصره، كي يستعين بها - كما يقول - على مغالبة الارق فى لياليه المعتمة الطويلة .. فكان ان سبب نشرها فى كتاب ، الارق لملايين القراء !

أما الكتاب فهو « قصة سان ميكيل » .. وقد أحدث ظهوره ضجة فى العالم كله قل ان قوبل بها كتاب لاحد الادباء المعاصرين ، بحيث ترجم فى مدى عامين من ظهوره الى خمس وعشرين لغة حية !

.. واما الكاتب - اكسيل مونته - فهو طبيب سويدى درس الطب ومارسه فى باريس ، وقضى سنوات من حياته متنقلا بين باريس ولندن ونابلى وتورين .. ثم استقر فى جزيرة كابرى ، موطن احلامه ، حيث شيد «قصرا» فاخرازارته فيه كثيرات من ملكات وملوك اوربا .. وفى قصره ذاك أملى كتابه هذا الذى جاء حافلا باللوحات الانسانية التى تنم عن حس مرهف ونفسية سامية نبيلة ..

وفيما يلى اقدم لك فصلين من فصول الكتاب الممتعة ، المستقلة احدها عن الاخر استقلالا شبه كامل ، بحيث لا يجمع بينهما غير كونها كلها بمثابة «ذكريات» من حياة الطبيب الحافلة بالاحداث والصور، والتأملات والعبر !

وارجو ان أعود الى الكتاب فى فرصة قادمة كى اقدم لك المزيد من فصوله الشائقة ..

- ١ -

بين الحى اللاتينى .. وجزيرة كابرى

◆ الحى اللاتينى .. غرفة طالب طب فى « أوتيل لافنير » .. كتب متناثرة فى كل مكان : على الموائد ، والمقاعد ، وفى أكداس على الارض .. وعلى الحائط صورة باهتة لجزيرة الاحلام : كابرى !

الصباح ينقضى بين أروقة المستشفى فى تجوال من فراش الى فراش ، ومطالعة فصل بعد فصل من كتاب آلام البشرية المسطر بالدم والدموع .. والامسيات فى قاعات ومدرجات مدرسة الطب أو معهد باستور، فىصحبة تلك الجراثيم المتناهية فى الصغر ، المتحكمة فى حياة الانسان !.. ثم الليالى الطويلة بين جدران الحجرة الصغيرة ، فى يقظة موجعة وجهود مضنية لاستيعاب الحقائق الجامدة ودراسة الاعراض الشائعة للاوبئة والامراض ..

والدنيا تدور ، والعمل متواصل ، والنضال لا يفتر !

.. ثم يقبل الصيف ، وتتبدل الاوضاع : فمدرسة الطب مغلقة .. والمعامل والمدرجات مهجورة .. والعيادات نصف فارغة .. ومقاهى بوليفار سان ميشيل قد خوت .. ولكن ، لا عطلة للالم أو هدنة للموت فى عنابر المستشفى !.. ولا فراغ أو شرود فكر فى « أوتيل لافنير » ، بل عمل ، عمل متواصل ، ونضال لا ينى ـ وان كانت تلطف من حدته فقط جولة قصيرة بين الحين والآخر فى حدائق اللوكسمبرج ، تحت أشجار الزيزفون .. أو ساعة فراغ تقتنص لتنفق بين أبهاء متحف اللوفر !

لا أصدقاء من الناس ، أو الكلاب ! ولا حتى عشيقة تتأبط ذراعى وتتسكع معى قبيل العشاء جذلة طروبا على طول


انى ادرس للامتحان ..

« بوليفار سان ميشيل » ٠٠ أو تقبع الى جوارى فى صومعتين تصلح سترتى وتغسل ثيابى ٠٠
اننى أدرس للامتحان ، بينما زملائى العابثون يبعثرون أمسياتهم فى أحاديث تافهة حول موائد مقاهيهم المفضلة ، يضحكون ويعيشون ويحبون ، اذا لم تكن أمامهم على جدران مخادعهم صورة باهتة لـ« كابرى » تستحثهم على الكفاح ، ولا مثوى جميل ينتظرهم هناك ٠٠ فوق رمال جزيرة الاحلام !

ايه ٠٠ ما للذكريات ترهقنى ؟

*

◆ **كان** ذلك منذ أعوام ، ذات ضحى جميل ، حين مرقت من القارب الذى أقلنى الى كابرى ٠٠ مرقت الى شاطىء يعج بالصيادين ذوى القلنسوات الحمراء وقد جلسوا يصلحون الشباك وانتثرت حولهم جماعات الفتية الصغار يستحمون فى المياه الضحلة ويعابثون الفتيات ، وأولاء يهزجن بأغان حلوة أطربت حتى حمير السائحين فهزت آذانها وسروجها التى رشقت بالزهور ٠٠ وركبت أصغر حمار ، وتقدمتنى صاحبته ترقص بقدميها الحافيتين وتاج من الزهور يحلى جبينها ، هى الاخرى ٠ **كان اسمها جويا ـ أى المرحة ـ وكانت عيناها ، وشفتاها ، وجيدها ، تنبض كلها بالحياة والشباب الجياش !**

٠٠ وفى الطريق رفعت بضع زهرات صغيرة رؤوسها من بين الحشائش مزهوة ، ترمقنا فى تخابث وتتهامس ضاحكة ،

فسألناها أن تغض الطرف عنا ولا تشى !٠٠ وقبل أن تودعنى « جويا » عند سفح الربوة لمحت الكاهن : ترى هل تعترف له بأننى قبلتها فى وجنتيها تحت أشجار الليمون ؟



.. وزملائى يبعثرون أمسياتهم !

ثم تركتها ورحت أتسلق الربوة نحو قرية « أنا كابرى »، وكانت هاجعة حين وصلتها ساعة القيلولة ٠٠

*

ـ هل لك فى كأس من النبيذ ؟

ـ وهل يتردد من يرى جبينك ؟ ما اسمك ؟

ـ جيوكندا

٠٠ كان شباب جيوكندا يتفجر وهى تملأ قدحى بالنبيذ الاحمر ، كشعاع الشمس عند الغسق ٠٠ وقدمتنى جيوكندا الى صاحب الكرم ، رجل مسن يقلب الارض فى مشقة ليوسد فيها النبت الجديد ٠٠ وحين رآنى مع جيوكندا توقف، ودعانى لزيارة مثواه الصغير المحاط بالكروم ٠ لقد شيده بنفسه ، وبيده ، حجرا حجرا ، من أنقاض معبد متهدم أشار اليه ٠٠ ووقفت مأخوذا ، موزع القلب والفكر : كان يجثم فوق رأسى ، على صخرة كعش النسر ، معبد لم تبق منه غير أطلال ٠٠ وتحت أقدامى بدا خليج نابلى سحيقا ، يتقبل صاغرا لطمات الامواج ٠٠ وسهل « سورنتو » قد استكان وهجع فى كنف الجبال المدثرة بالثلوج ٠٠

وسمعت العجوز يتمتم منهوكا لجيوكندا٠٠ انه قدشاخ، وابنه فى المدينة يحثه على بيع بيته كى يتبعه الى هناك ٠٠ وراح قلبى

ينبض بعنف متزايد : **ما ألذ أن يعيش الانسان ، ويموت ، فى دنيا جميلة ـ لو سلمنا بأن الموت يجرؤ على أن يفسد جمالا كهذا ! ـ ومع ذلك ، فقبل أن يموت يكون نعم طويلا بمراقبة الشمس تغرب على أيام سعادة لا تشوبها غيوم ، والقمر يشرق على ليالى أحلام مضاءة بالنجوم !** .. واضطربت. أى حلم جرىء، وأية تصورات ! لم لا يكون هذا المكان مثواى ، فى الحياة .. وبعدها ؟ لم لا أبتاعه وأزينه بالكروم ، والمماشى ، والتماثيل؟ نعم ، أريد منزلى مفتوحا على الفضاء : للشمس ، والرياح ، وهدير الامواج ، كهياكل اليونان ! ..

وسمعت همسا : احذر من الضياء ، الذى يبهر عينى الانسان الفانى !

وأغمضت عينى !

*

◆ **هذه** كابرى .. الجزيرة الايطالية السعيدة .. وهذى ذكراها ، لا تفتأ تعاودنى ، ملحة ـ ولكن للحظات ـ خلال الليالى الطويلة وأنا جالس فى مثواى المقبض، صومعتى الضيقة «بأوتيل لافنير » ، ورأسى منحن على كتاب « أمراض الجهاز العصبى » لشاركو . فما تكاد تفعل حتى تثب الى ذهنى فجأة أخيلة رهيبة: ان السيد « فنشنزو » طاعن فى السن ، فماذا لو قضى فجأة ، أو باع لغيرى مثواه الجميل القائم هناك فوق ربوة (انا كابرى)!؟ **وتطفو على جبهتى حبات من العرق ، باردة كالثلج ، ويرف قلبى كطائر جبيس .. فأحملق فى صورة كابرى الباهتة على الحائط ، وأخالها تخبو ، وتخبو بعيدا ، رويدا رويدا ، نحو القتام .. حتى لا يعود يبين منها غير خطوط نعش أسود يرقد مدفونا تحته : حلمى الجميل ! واذ ذاك ، وأنا أفرك عينى المتعبتين كنت أثب الى كتابى مرة أخرى كجواد سباق استحثه راكبه بمهمازيه نحو الهدف حتى أدمى جنبيه! .. نعم انه سباق،**

سباق من أجل التفوق ٠ بل لقد بدأ زملائى يتراهنون على فوزى ٠٠ وحتى أستاذى المهيب، بنظراته الصارمة، قد وثق فى ٠ لكن ثقته كلفتنى غاليا : كلفتنى نومى ، وكادت تكلفنى البصر ! فانى ـ مدفوعا بايمانى وطموحى الى تحقيق نبوءته ، ودون احساس بالتعب أو النعاس ، أو حتى بالجوع ـ رحت أستنفد كل ذرة من النشاط فى عقلى وجسمى كى أفوز ، بأى ثمن ! واذن فلا تجوال فى حدائق اللوكسمبرج تحت أشجار الزيزفون ٠٠ ولا تسكع بين أبهاء متحف اللوفر ٠٠ وانما عمل ، وعمل متواصل ٠ طوال النهار رئتاى مشبعتان بذرات الاوبئة وجراثيم الامراض ، وطوال الليل بدخان السجائر فى غرفتى المكتومة بأوتيل لافنير ٠٠

وامتحان فى اثر امتحان ، ونجاح بعد نجاح ، فى تتابع سريع ٠٠

وعمل دائم ، ونضال لا يهدأ !

*

◆ **واستوعبت** دقائق هذه الآلة العجيبة ـ الجسم البشرى ـ وحركات عجلاتها المنسجمة ، وقت الصحة ، المتخبطة ابان المرض ٠٠ الى أن تتداعى وتتهشم بالموت ! ٠٠ وأضحت صنوف المحن التى توثق المرضى الى أسرتهم بالاغلال مألوفة لدى ٠ بدأت أعتاد مقاتلة ذلك العدو الرهيب الذى راح والمنجل فى يده يجول جولاته المعهودة بين العنابر ، متأهبا دائما للطعان ، فى أية لحظة ، وكأنه قد استطاب الحياة فى المستشفى العابس العتيق الذى آوى ـ لاجيال ـ كثيرا من المتألمين ! ٠٠ **أحيانا كان يأتى مقتحما العنابر ، يخبط خبط عشواء ذات اليمين وذات اليسار ٠٠ يضرب الصغار والكبار على السواء، فى ثورة عمياء، كمخبول يزهق أرواح ضحاياه بقبضته القاسية ، بلا رحمة ! ٠٠وأحيانا أخرى يتسلل متلصصا فى سكون وثبات ، مغمضا بلمسة رقيقة**

من أنامله عينى شاك يرقد هناك مبتسما ، بعد أن تفارقه الحياة! بل انني فى مرات كثيرة لم أكن أحس بقدومه ، أنا الذى كنت هناك لاخفف من وقع اقترابه ! كان الاطفال الصغار وحدهم يتنبهون لخطواته ، على صدور أمهاتهم ، فيطلقون من أعماق نومهم وهو مار بهم صرخة روع حادة ! ٠٠ حتى « الاخوات » المنتشرات بين العنابر والاسرة بأرديتهن الناصعة وقلوبهن البيضاء ، أولئك الرقيقات السمحات اللواتى ينبضن بالمرح الصبيانى والحبور ، وينقلن هناء هن المتكلف للآخرين ، كن بدورهن يمقتنه !٠٠ لم تنج واحدة من أن تحس كفه الخشنة تزيحها عن طريقه ، ليؤدى مهمته ، ثم يترك لها أن تسدل بعد رحيله غطاء ناصع البياض ، على الجسد المسجى !

*

◆ **وفى** أول الامر ، حين كان يقف هناك الى جانب السرير ، ساخرا ، وأنا فى الجانب الآخر ، مسلوب الحول والطول ٠٠ اعتدت ألا ألحظه بعناية ٠ كانت الحياة عندى هى كل شىء ، وكنت أعتقد أن رسالتى تبلغ نهايتها حين تبدأ رسالته، فكنت أكتفى بأن أشيح بوجهى بعيدا عن سحنته البشعة ، وأنا ساخط لهزيمتى ! ٠٠ **ولكنى حين غدوت أكثر ائتلافا به بدأت أرقبه بعناية ، وبرغبة متزايدة فى أن أعرفه أكثر فأكثر وأفهمه ٠ بدأت أدرك أن له نصيبه فى العمل - كما لى نصيبى - وان له « رسالة » ، كما لى ! واننا فى النهاية « زميلان » ، يجب أن يتصافحا بعد انتهاء المباراة !**

بل لقد جاء وقت خلته فيه صديقى الوحيد ، الذى « أحن » اليه ٠٠ وأتفقده اذا غاب ٠٠ بل أكاد « أحبه » ! - برغم انه لم يبد يوما أنه أحس بوجودى ! - وكنت أتساءل ، بينى وبين نفسى : أى شىء لا يقدر أن يعلمنى اياه ، لو استطعت فقط أن أتعلم كيف أقرأ وجهه القاتم ، وما هو مسطور عليه ؟ ٠٠ وكيف يستطيع أن يكون هكذا ، قاسيا ، من يستطيع أن يبدو

أحيانا بالغ الرقة ؟ كيف تطاوعه يده على أن يأخذ معه - الى بعيد - شبابا وحياة ، فى حين يملك أن يهب باليد الاخرى قدرا كبيرا من السلام والراحة ؟ ولم تكون قبضته حول رقبة أحد ضحاياه لينة بطيئة ، والضربة التى يسددها الى ضحية أخرى عاجلة قاسية !؟ لماذا يناضل طويلا روح الطفل الصغير ، بينما يسمح لروح الشيخ أن تمرق بخفة خلال اغفاءة رحيمة ؟

ترى هل من مقتضى رسالته أن يعاقب كما عليه أن يطعن ؟ .. هل هو القاضى ، وهو الجلاد ؟ وماذا يفعل بمن يأخذهم معه: هل كفوا عن البقاء، أم أنهم فقط نائمون؟ والى أين يأخذ ضحاياه، وأين هم ؟ .. وهل هو الحاكم الاعلى لمملكة الموت ، أو أنه مجرد مطرقة فى يد حاكم أقوى جبروتا ، هو واهب الحياة ؟ انه قد ظفر اليوم ، ولكن من سيظفر فى النهاية : هو ، أم الحياة ؟ لا جواب !

.. لقد هزمت ، ولكنى لم أجرد من السلاح ! .. انه قد سقى جرعته التى تهب نوما دائما ، لكن لى أيضا جرعتى، التى وهبتنى اياها الطبيعة الرؤوم . لم لا أسقيها كى أحيل الالم القاسى الى سلام ، والنزع المضنى الى مجرد نوم ؟ أليس من مقتضى رسالتى أن أساعد على الموت من لا أملك أن أعينهم على الحياة ؟ أم ترى أكتفى بأن أدير وجهى، بعيدا عن تينك العينين البارزتين من الجسد المسجى ، تستجديان عونى، وأنا لا أملك العون! .. أو أسحب يدى من تلك الانامل المرتجفة المتشبثة بأناملى ، تشبث الغريق بأعواد من القش ؟

*

◆ وكم حننت الى الموسيقى فى تلك الايام !! كانت فرصتى الوحيدة لسماعها حين تعزف « الاخت فيلومين » كل صباح لحنها العذب ، فتنساب أنغامه فى أروقة المستشفى حاملة الشفاء، أو العزاء ، الى نفوس حائرة تتقلب على الاسرة وتتلوى ..

ثم كنت أسمعها حين يجيء ذلك الموسيقى المتجول المسن ليعزف تحت شرفتى فى « أوتيل لافنير » مرتين فى الاسبوع ، مقطوعته المفضلة « التعاسة » ! وقد جاءت أيام خلت فيها كأن هذا اللحن الحزين قد غدا الترديد الوحيد الصادق لخواطرى ٠٠ كنت أجلس أمام كتبى بغرفتى الموحشة ، وما بى جرأة على مواجهة يوم جديد ، وقد بدا لى كل شيء قاتما ، مملا ، داعيا لليأس ٠٠ وصورة كابرى أمامى باهتة ، بعيدة ٠٠ فاستلقى على فراشى وأغمض عينى المتعبتين ٠ **وللحال كانت تحدث المعجزة : كنت أجد نفسى مخلفا ورائى كافة متاعبى ، ومقلعا الى بعيد ـ نحو جزيرة أحلامى الساحرة ـ وجيوكندا تناولنى، وهى تبتسم ، كأسا من النبيذ الممتع ٠٠ والسيد الطاعن فى السن ما يزال يقلب الارض فى مشقة وسط كرومه ، ويلوح لى بيده وأنا أتسلق الطريق الصغير المؤدى من خلف حديقته الى المعبد** ٠٠ ثم أجلس فى شرفته هنيهة أسرح البصر، مأخوذا، فى الجزيرة الجميلة تحت قدمى ، مفكرا ومتأملا فى أشياء كثيرة ٠٠ ثم يحين الرحيل : « الوداع ياجيوكندا الجميلة ٠٠ وداعا ، والى عود قريب » ٠٠ نعم ٠ سأعود فى القريب ، القريب العاجل ٠٠ فى حلمى المقبل !

*

◆ ويجيء يوم جديد ، فيطل بشعاعه من خلال النافذة على الحالم ، والواهم ، وقد عاد الدم يتدفق حارا قويا فى ثنايا عقله المنهوك ، فيفتح عينيه ليرى الدنيا جميلة ، ويرى نفسه شابا متأهبا للنضال ، واثقا من النصر ، فيثب على قدميه ، محييا القادم الجديد بابتسامة ، ثم يجلس الى مكتبه ، والكتاب فى يده !

٠٠ ثم أقبل الربيع ، وراح يسقط فوق شرفتى أول أكمام زهره البكر ، من أفنان الاشجار المتفتحة على جانبى الطريق ٠٠

وكانت البشير ، فقد تقدمت لامتحانى ٠٠ ثم تركت غـــرفتى الضيقة بأوتيل لافنير ، وشهـــادتى فى يدى : أصغر طبيب خرجته فرنسا !

٢ ـ الهوى والشباب ٠٠ فى بـــاريس

◆ **الصيف** ٠٠ وأنا ٠٠ وشبابى ٠٠ فى باريس !

وبرغم ذلك ، كنت أقل الناس استمتاعا بالمغريات الثلاث ! **٠٠ فان باريس فى الصيف مكان ممتع للباحثين فيها عن اللهو والعبث ، أما بالنسبة للباحثين فيها عن الجد والعمل فانها تغدو شيئا آخر ، لا يتصل بالمتعة بأى سبب أو نسب !٠٠ وخاصة اذا كنت طبيبـــا تكافح وباءين خطرين : كالتيفوئيد ـ الذى انتشر فى أحياء العمال ـ والدفتريا ، التى انتشرت بين أفراد الجالية الايطالية فى حى مونبارناس وشارع روسيل، حيث دخل مرض (الخناق) كل بيت ، فأزهق أرواح نصف أطفاله ٠٠ وترك النصف الآخر معلقى الانفـــاس بين الحياة والموت ، جاحظى العيون ، يتصيدون نسمة الهواء بشق النفس** ٠٠ وقد ضاقت بهم لفـرط كثرتهم المستشفيات ، ووقع عبء معالجتهم على عاتقى وحدى، دون زميل آخر أو ممرضة تعاوننى ٠٠ اللهم الا كناس الشارع الايطالى الطيب « اركانجيلو فوسكو» الذى ترك عمله وتطوع لتمريض المصابين ، جهـــد طاقتـــه ، وبغير أن يتطرق الى قلبه الملل ، أو اليأس ، أو الخوف من عدوى المرض الرهيب ٠٠ فى وقت لم يكن قد اكتشف فيه بعـــد أى علاج له ، أو مصل يقى منه !

وهكذا ناءت أعصابى تحت وقر العبء الثقيل ، والارهاق الشديد ٠٠ فى الوقت الذى كان فيه المترفون من خاصة أهـــل باريس يحزمون أمتعتهم استعدادا للســـفر الى قصورهم فى

الريف أو الى شاطىء البحر ، بينما ازدحمت مدينة النور بضيوفها من الاجانب ، الذين هبطوها من كافة أرجاء العالم باحثين عن مسراتها وملاهيها التى تخلب اللب ، وتفرغ الجيب!

وازدحمت عيادتى بجموع الموظفين والعمال الذين جاءوا يتنافسون فى الحصول على شهادة مرضية تعطيهم الحق فى « أجازة » .. جاءوا يطلبونها من طبيب مرهق هو أحق بالاجازة منهم جميعا !.. **وتوالت على تليفونى نداءات الاستغاثة من نساء ، كنت أجدهن عند ذهابى مسترخيات على المقاعد الوثيرة وقد ارتدين أحدث أزياء الشاى الانيقة وجلسن ينتظرننى ، كى أشفى وعكة « أعصابهن » وأتولى اعداد « مزاجهن » المرهف لحضور حفلة كرنفال تنكرية فى الاوبرا موعدها غدا !**

.. وهكذا ضقت أخيرا بمرضاى ومريضاتى ، وبنفسى ، فمضيت نحو بيتى ذات ظهر أجر قدمى المتعبتين جرا فوق « أسفلت » الطريق المحترق ، من شدة الحر ، محتميا بظلال أشجار الكستناء التى كانت تمد أغصانها الذابلة فى الفضاء ، باحثة بدورها عن نسمة هواء ! فهمست لها مناجيا : « انى أعرف ماذا بك ، وبى ... كلانا فى حاجة الى تغيير الهواء .. الى الفرار من جو المدينة الصاخب .. ولكن كيف السبيل الى النجاة من هذا الجحيم : أنت بجذورك الحبيسة تحت الاسفلت ، وبهذا الطوق الحديدى حول قدمك .. وأنا ومرضاى من أطفال الايطاليين يحتضرون فى أسرتهم ، ومريضاتى من مترفات الامريكيات يملأن حجرات عيادتى ؟ »

.. قضيت أياما نهبا للحيرة والتردد .. حتى تلقيت ذات صباح خطابا من صديقى الكونت « س » ـ زوج احدى مريضاتى المترفات ـ يقول لى فيه : « قلت يوما انك تحب صوت الكروان .. وها هو ذا يصدح هذه الايام ، فهلا جئت لتقضى معنا أياما فى قصر (تورين) ؟ »

الكروان ؟! ٠٠ وأنا الذى انقضى على عامان لم أسمع فيهما غير صوت الغربان ، فى حدائق التويليرى !

*

◆ **كانت** الجياد المطهمة التى أقلتنى من المحطة الى القصر جميلة حقا ٠٠ وكان القصر الذى يرجع تاريخه الى عهد ريشيليو، بحدائقه الغناء وأشجاره وأزهاره ، رائعا خلابا ٠٠ وكانت الغرفة التى خصصت لى فيه ، من طراز لويس السادس عشر ، تحفة نادرة المثال ٠٠ **أما ربة القصر « الكونتة » فكانت آية فى الجمال ، بثوبها الابيض الناصع والوردة الحمراء التى تزين خصرها ٠٠ حتى خيل الى وأنا أتأمل محياها أن عينيها قد ازدادتا اتساعا وفتنة عن ذى قبل !**

واستقبلنى الكونت بابتسامة ترحيب صادقة أنستنى خجلى، وراح وهو يطوف بى حدائق القصر يحدثنى عن صحة زوجته٠ انها ما عادت تشكو من مرضها ٠٠ وهى تذهب الآن كل صباح الى القرية لتتفقد فقراءها وتعد العدة لتحويل احدى الضياع التى تملكها الى مصحة للاطفال المرضى ٠٠ بل انها قد دعت فى يوم عيد ميلادها أطفال القرية الفقراء الى حفلة شاى فى القصر ، وقبيل انصرافهم أهدت كلا منهم دمية جميلة من الخشب ٠٠ أليست هذه فكرة رائعة منها ؟٠٠ نعم ، بكل تأكيد !

وفى المساء احتوتنا جلسة سمر ممتعة فى شرفة القصر ، وكانت الحديقة تحت أبصارنا تستحم فى ضوء القمر الهادىء ٠٠ ثم دقت ساعة البرج الحادية عشرة ، فقال الكونت : « أعتقد أنه يحسن أن ننام الليلة مبكرين ، فقد أوصيت باعداد الجياد لنزهة الصباح فى تمام السابعة » ٠٠ وقالت لى الكونتة وأنا أهم بالصعود الى غرفتى : « نوما طيبا وأحلاما سعيدة »

وتحقق نصف أمنيتها ، فانى لم أنم طويلا ٠٠ لكنى حلمت كثيرا !

وفى السادسة صباحا سمعت أظافر الكلب « ليو » تعبث ببابى ، لايقاظى ·· وبعد ساعة كنت والكونت نتهادى بجوادينا فى الطريق الجميل المؤدى الى الغابة ، بين صفين من الاشجار العالية العتيقة ·· ثم بلغنا الغابة ، وكانت ســاكنة سكون الليل ، الا من أصداء بعيدة تتردد بين الحين والآخر لفأس حطاب أو هديل حمامة برية ، أو صرخة عصـــفور ذبيح ، أو تغريد بلبل طروب !·· ثم خرجنا من قلب الغابة الى الحقول والاحراش الشاسعة المستلقية تحت أشعة الشمس ·· وهناك كان الكروان المحبوب يتماوج على أجنحة خفيفة فى أطباق الجو العليا ، مغردا للارض والسماء بقلب مفعم ببهجــة الحياة ·· فنظرت الى الطائر الصغير وباركته ، كما اعتدت أن أفعل فى طفولتى فى بلاد الشمال المتجمد وأنا أرقب طائرى الجميل ، رسول الصيف ، بعينى العارف بجميله ، الموقن من أن ظهوره بشير بانتهاء الشتاء القارس الطويل ··!

✻

◆ **وفى** المساء استصحبتنى الكونتة لزيارة احدى صديقاتها، التى كانت بدورها من مريضاتى ·· ومضت بنـا العربة فى طريق جميل تحف به الاشجار وتؤنس وحشته زقزقة العصافير ·· فجرى بيننا حديث لطيف يتفق وشاعرية الجو ، وداعبتنى الكونتة بضع مداعبات نقلتنى كأنها بساط الريح الى أجـواء حافلة بالسحر والفتنة والاحلام !·· وانتقل سحر الجو الى الكلب « ليو » الذى كان بصحبتنا ، فنظر الى بعينين تقولان : « يبدو انك شخص ظريف ·· فهل لك فى اسداء خدمة لى ؟ اننى فريسة الملل والضيق ، وفى حاجة الى شىء من الترفيه·· » ثم غمز لى بعينه واستطرد : **ألا تعــرف (كلبة) ما فى هــذه الضواحى ، أيا كان شكلها وحجمها وسنها ؟ فقط عدنى ألا تشى بى لدى سيدتى ·· وفى مقابل ذلك أعدك بالصمت عما**

أقرأه فى عينيك من نوايا ، وما قد تراه عيناى ٠٠ وخاصة أن بهاء الليل سوف يكتمل غدا ، حين يصير القمر بدرا ! »

وقد صدق « ليو » ، فان القمر كان سيصير بدرا فى الليلة التالية ٠٠ وأنا أكره القمر ! لقد طالما سلب النعاس من عينى وهمس فى أذنى بفيض من الاحلام ، هذا الشبح الغامض ٠ انه ليس كالشمس ، الآلهة المشرقة فى وضح النهار ، التى تجلب النور والحياة الى دنيانا المظلمة وتسهر على سلامتنا بعينها المضيئة منذ الازل ــ وما تزال ــ بعد أن غابت وتلاشت فى زوايا العدم آلهة الكون الاخرى جميعا ، سواء ماكان رابضا منها على ضفاف النيل وما كان مطلا من فوق جبل الاوليمب !

نعم ، ان القمر ليس كالشمس ، ففى الوقت الذى تعلن فيه الشمس عن نفسها فى وضوح ، لا يوجد من يعرف شيئا عن القمر ، شبح الظلام الشاحب الذى يتسلل الى السماء فى سكون وغموض ، ويقضى الليل جائلا بين النجوم ينظر الينا من عل بعينه الباردة التى لا تنام ، وابتسامته الساخرة الصفراء !

ولم يكن « الكونت » يبالى بالقمر ، ما أتيح له أن يجلس فى ركنه الساكن بغرفة التدخين ، وصحيفة « الفيجارو » فى يده ، و « سيجار » بعد العشاء يتأرجح فى زاوية فمه !٠٠ أما زوجته الكونتة « جولييت » فقد أولعت بالقمر ، أولعت بظلاله الغامضة وأحلامه الهامسة ٠٠ **أولعت بأن تضطجع صامتة فوق ظهر زورقها تتطلع الى النجوم ، وأنا أحرك لها المجدافين فى بطء عبر البحيرة الساجية ٠٠**

أولعت بالتجوال فى الحدائق تحت ظلال أشجار الليمون ، وقد كساها الضوء الفضى آنا حلة من البهاء ، وطواها الظلام المعتم آنا ، فأحوج المرأة الى أن تتلمس ذراعى كى تعرف الطريق!

أولعت بالجلوس على مقعد منزو بين الاشجار ، والتحديق

بعينيها الواسعتين الساهمتين فى أطباق الليل الساكن ، أو فى عينى أنا كلما راق لها أن تقطع صمتها بين الحين والحين كى تهمس همسات قصيرة عابرة ثم تعود الى صمتها !٠٠ وكان صمتها يفتنني كما يفتنني كلامها !

ـ لم لا تحب القمر ؟

ـ لست أدرى ٠٠ ربما لانى أخافه !

ـ وماذا يخيفك منه ؟

ـ لست أدرى ٠٠ انه مضىء الى حد انى أرى فى ضوئه عينيك كنجمتين براقتين ٠٠ وهو مع ذلك معتم الى حد أنى أخشى أن أضل فى العتمة طريقى ٠٠ انى غريب فى هذه الارض ، أرض الاحلام !

ـ اعطنى يدك وأنا أرشدك الى الطريق ٠٠ كنت أحسب يدك قوية واثقة ، فلماذا ترتجف هكذا فى يدى ؟٠٠ نعم ، انك على حق ، انه ليس غير حلم ٠٠ فاحذر أن تنطق ، والا طار وتبدد ! ٠٠ أنصت ! أتسمع البلبل يغرد ؟

ـ انه ليس البلبل ٠٠ انه عصفور الجنة !

ـ بل أنا واثقة انه البلبل ٠٠ فاصمت ٠٠ واستمع !

وغنت « جولييت » بصوتها الحنون ، الرقيق رقة نسيم الليل حين يداعب أوراق الشجر ، هذه الاغنية :

« كلا ، كلا ٠٠ انه ليس نشيد الفجر »

« ولا هو تغريد الكروان »

« الذى صافحت أنغامه أذنيك الملهوفتين »

« وانما هو البلبل ٠٠ رسول الغرام »

ـ لا تنطق ٠٠ لاتتكلم ٠٠ أعلم ما تريد أن تقول !

وشق سكون الليل نعيب بومة تصرخ من الشجرة التى فوق رأسينا ، فنهضت « جولييت » فزعة ٠٠ وسرنا فى طريق العودة صامتين !

وقالت الكونتة وهى تودعنى فى ردهة القصر : « ليلة سعيدة ٠٠ غدا يكتمل البدر ، فالى غد ! »

✽

◆ **وحين** دخلت غرفتى وجدت « ليو » رابضا ينتظرنى ٠٠ قال لى بعينين يتطاير منهما شرر الاتهام : « أين كنت حتى الآن، ولم تبدو شاحبا ؟٠٠ ان جميع الانوار فى القصر قد أطفئت ، وكل كلاب القرية قد كفت عن النباح وهجعت ٠٠ لا بد أن الوقت متأخر ؟ »

ـ كنت بعيدا فى أرض غريبة مليئة بالغموض والاحلام ، حتى كدت أضل فيها طريقى !

ـ وأنا كنت مستغرقا فى النوم حين أيقظتنى البومة فى الوقت المناسب كى « أضبطك » عائدا فى هذه الساعة ٠٠

ـ وأنا أيضا أيقظتنى البومة فى الوقت المناسب !٠٠ قل لى يا ليو ، هل تحب البومة ؟

ـ كلا ، بل أفضل عليها عصفور الجنة ، وقد أكلت واحدا الليلة ، رأيته يجرى فى ضوء القمر أمامى ، فى متناول فمى ، فلم أستطع مقاومة الاغراء ، برغم علمى بأن ذلك أمر محرم ٠٠ انك لن تشى بي لدى البستانى ، أليس كذلك ؟

ـ كلا يا صديقى ، وأنت لن تشى بى لدى كبير الخدم ، فتقول اننى وسيدته عدنا الليلة متأخرين ؟

ـ بالطبع لن أفعل ٠٠

ـ ليو ٠٠ ألست على الاقل آسفا لكونك سرقت ذلك العصفور الصغير ؟

ـ انى أحاول الاسف على ذلك ٠٠

ـ لكنه ليس بالامر اليسير ٠٠ اصغ الى يا ليو : **انك لص، لكنك لست اللص الوحيد هنا ٠٠ ثم انك كلب حراسة فاشل ، فقد وضعوك لتذود اللصوص عن القصر ، فلماذا لم توقظ سيدك بنباحك العالى حين ضبطتنى متلبسا « بالجريمة » ،**

بدلا من جلوسك هكذا أمامى تبصبص لى بذنبك وترمقنى بهذه النظرات الودية ؟

ـ لم أستطع ٠٠ فقد أحببتك بالرغم منى !

ـ أتدرى من المسئول عن كل ذلك ؟ انه ذلك الحارس الليلى المهمل الذى لا يكف عن التجوال فى السماء ، دون جدوى ٠٠ لماذا لا يدير مصباح عينيه الشبيهتين بعينى العجل فى كل ركن مظلم من الحدائق حيث يوجد مقعد لاثنين تحت شجرة ليمون عتيقة ، بدلا من أن يتشح بالغمام ويخفى رأسه فى طيات ردائه الليلى ثم يخلد للنعاس ، تاركا مهمة الحراسة لصديقته البومة ؟ ٠٠ أم ترى هو يتظاهر فقط بالنوم ثم يظل يرقبنا طوال الليل من زاوية عينه الخبيثة ، هذا « الدون جوان » العجوز الذى لا يفتأ يتسكع بين النجوم كالشيخ العربيد الذى أعجزته شيخوخته عن مغازلة الحسان فجعل همه التجول فى الطرقات للاستمتاع على الاقل بمرأى الشباب يغازلون !

فقاطعنى ليو قائلا : « ولكن الناس اعتادوا وصف القمر بأنه كحسناء فاتنة الصبا والجمال »

فأجبته : « لا تصدقهم يا عزيزى ٠ ما القمر الا شيخ متصاب يتسلى بالتجسس على البشر من ركنه السحيق ، لمراقبة أطوار المأساة الخالدة ٠ مأساة الحب الفانى ٠٠ »

ـ بل القمر شبح ميت خارج من القبور !

ـ شبح ميت ؟ من قال لك ذلك ؟

ـ سمعه أحد أجدادى منذ العصور القديمة ٠٠ وهذا سر خوف النجوم منه وفرارها من السماء عند ظهوره ، بل خوفنا نحن الكلاب منه ونباحنا عليه كلما أزاح أكفانه وتسلل من قبره فى قلب الظلام !٠٠ ثم هل تحسب نفسك المخلوق الوحيد الذى لا يستطيع النوم حين يسلط القمر عينيه على الكون من علاه ؟٠٠ انك اذن لمخطىء ، فان جميع الحيوانات المفترسة والزواحف التى تعيش فى الغابات والحقول تهجر أوكارها اذا

ظهر وتجول حائرة على غير هدى من خوف أشعته الخبيثة الناعمة !·· **نعم ، ولا شك انك كنت الليلة مشغولا بكل حواسك بشخص ما فى الحديقة ، والا لرأيت بوضوح أن عينه المضيئة التى كانت ترقبك الوقت كله ليست الا عين شبح !·· شبح يحلو له دائما أن يتسلل تحت أشجار الليمون فى متنزه مهجور كى يرعى طلل قصر قديم أو معبد مهدم ·· أو يسعى فى ممرات مقبرة موحشة فينحنى فوق كل قبر كى يقرأ اسم قاطنه ! أو يتسلل من نافذة الى مخدع آمن كى يطل على النيام فيه بعينيه الباردتين الغبراوين ويزعج نومهم بكابوس مفزع !**

ـ كفى يا ليو ·· ولنكف عن حديث القمر ، والا فر النعاس الليلة من أجفاننا ، فقد بدأت أشعر برعدة الخوف !·· هيا يا صديقى قبلنى قبلة المساء ولنأو الى فراشنا ··

ـ لكنك سوف تغلق خشب النافذة ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، فانى أفعل ذلك دائما حين يبزغ القمر !

❊

◆ **وفيما** كنا نتناول فطورنا فى الصباح التالى همست لليو بنبأ اعتزامى العودة الى باريس توا ، توخيا للامان ·· فان البدر سوف يكتمل الليلة ، وأنا فى السادسة والعشرين ، ومولاته فى الخامسة والعشرين !·· أو لعلها فى التاسعة والعشرين ؟·· وأدرك ليو قصدى على الفور ، فانه كان قد رآنى أحزم أمتعتى ، وكل كلب يفهم ما يعنيه ذلك !

ثم هبطت السلم الى حيث كان الكونت يمسك بأعنة جواده تأهبا لنزهة الصباح ، فسردت على مسمعه الاكذوبة المألوفة : « انى قد استدعيت فجأة الى عيادة مريض فى حالة خطرة ، ولا مفر لى من الذهاب فورا ! » ·· فأبدى لى الكونت أسفه البالغ وودعنى بتحية حارة ، بعد أن رجوته أن ينوب عنى فى الاعتذار لزوجته الكونتة عن عدم استطاعتى رؤيتها قبل سفرى ، بحجة أن الوقت فى هذه الساعة المبكرة ·· غير مناسب !

وبلغت مسكنى فى باريس فى المساء بعد سفر مضن ونهار طويل ، فأويت الى فراشى فى الحال وقد خيل الى أن بى حمى خفيفة ، لكننى لم أستوثق من ذلك فان الاطباء فيما يتصل بأنفسهم قلما يدققون !

ومن فرط تعبى أدركنى النعاس على الفور ‥ ولا أدرى كم من الوقت بقيت فى نومى ٠ **ثم تنبهت فجأة الى أنى لست وحيدا فى الغرفة ، ففتحت عينى لاطالع وجها شاحبا يطل على من النافذة بعينين غائرتين بيضاوين ‥ ثم شيئا يزحف الى داخل الغرفة فوق البلاط فى بطء وصمت ، حتى يبلغ فراشى فيمد نحوى ذراعا طويلة بيضاء ، كذراع اخطبوط ضخم ‥ ويهمس فى وجهى من خلال فمه الخالى من الاسنان ، وشفتيه المجردتين من الدم ، بفحيح مخيف :** « أو لاتفكر فى العـــودة الى القصر ثانية ؟‥ لكم كانت جلسة لطيفة وخلوة هادئة بالامس تحت شجرة الليمون ، والبلابل من حولكما تصدح بأعذب الاصوات ! ‥ فهل تريد العـــودة الى نفس المكان الليلة ؟‥ اذن فارتد ثيابك وتسلق أجنحة أشعتى البيضاء ـ التى كنت مؤدبا منذ هنيهة فنعتها بذراع الاخطبوط ! ـ تجد نفسك مرة أخرى تحت شجرة الليمون فى أقل من دقيقة ‥ فان ضوئى يطير بأسرع من أحلامك ! »

ـ لست أحلم الآن ، انى فى أتم يقظتى ولست أريد العودة الى هناك ‥ فاذهب عنى يا شبح « مفيستو » !

ـ أو تحلم انك يقظان ‥ ولا تريد أن تكف عن استخدام مفردات قاموسك البذىء ؟‥ انك قد أطلقت على حتى الآن : « دون جوان » ‥ « والعربيد العجوز » ‥ و « شبح مفيستو» ‥ و « الجاسوس اللعين » ‥ الخ ‥ نعم لقد تجسست عليك ليلة أمس فى الحديقة وأريد أن أسألك : « أينا يستحق أن يقال له « دون جوان » ؟‥ الا اذا أردتنى أن أسميك « روميو »! ‥ لكنك وأيم الحق لا تشبهه فى شىء ، فما تستحق الا أن

تسمى « الغبى الاعمى » ٠٠ الغبى الذى لا يستطيع حتى أن يرى ويدرك ما أدركه كلب ، من اننى شبح ، ليس له جنس ولا سن ولا حياة !٠٠

ـ شبح ؟٠٠ شبح من ؟

ـ شبح عالم ميت ٠٠ فاحذر الاشباح ، وكف عن ألفاظك البذيئة والا أصبتك بالعمى ، بومضة من أشعتى السحرية الاشد خطرا على عين الانسان من سهام الشمس الذهبية !٠٠ **هذا هو انذارى الاخير لك أيها الحالم المجدف على الآلهة ٠٠ والآن ، ها هو ذا الفجر يقترب من الافق الشرقى ، فيجب أن أسارع بالعودة الى قبرى والا تعذر على أن أرى طريقى ، فانى عجوز ومتعب ٠٠ أو تظن من السهل أن تكون مهمتك التجوال فى الفضاء من المساء حتى الصباح بينما المخلوقات الاخرى كلها نائمة تستريح** ؟٠٠ انك تدعونى شريرا مكتئبا ، فهل تحسب فى الامكان أن أكون مرحا باسما وقد حكم على أن أعيش فى القبر ؟ انك ستذهب الى قبرك يوما ، وكذلك الارض التى تعيش عليها ، وعندئذ ترى وتحكم !

ونظرت الى الشبح بامعان ، فرأيت لاول مرة كم هو طاعن فى السن ، مرهق القسمات ٠٠ حتى كدت أرثى له ٠٠ لولا أن تهديده باصابتى بالعمى أثار ثائرة غضبى عليه من جديد ، فصحت به : « اليك عنى أيها « الحانوتى » البغيض ٠٠ ليس ثمة أمل فى أن تجد لك رزقا هنا ٠٠ فاننى حى مفعم بالحياة !»

٠٠ فعاد الى فحيحه المخيف وهو يزحف على فراشى ويضع ذراعه البيضاء الطويلة على كتفى ويهمس : « أتعلم الدافع الذى جعلك تشير على ابن عم الكونتة بالاعتكاف فى الفراش اسبوعا ووضع كيس من الثلج على رأسه ، وقربة من الماء الساخن على بطنه ٠٠ دون أى مبرر صحى ؟٠٠ انك لم تفعل ذلك لتنتقم للعصافير البريئة التى كان الشاب مولعا بصيدها وقتلها ، كما زعمت لنفسك ، وانما فعلته بدافع الغيرة ـ يا ربيب «عطيل» ـ

كي تحول بين الفتى وبين التنزه فى ضوء القمر مع جولييت !»

ــ ابعد مخالبك عنى أيها العنكبوت الخبيث ، والا قفزت من فراشي وانقضضت عليك ..

وبذلت مجهودا عنيفا لرفع ذراعي وجذعي للنهوض .. فأفقت من نومي لاجدنى أتصبب عرقا ، والغرفة يغمرها ضوء فضي ناعم .. وعندئذ سقط القناع عن عينى فرأيت القمر من النافذة المفتوحة فى أتم جلاله وسنائه ، يطل من سماء صافية لا تشوبها غيوم !

أيتها الآلهة العذراء ، أتستطيعين سماعى فى سكون هذا الليل ؟.. ما لطلعتك تبدو حزينة ساهمة .. أو تعرفين أنت أيضا الاحزان ؟ أو تملكين الغفران ؟ أو تعينين على النسيان ؟ أو فى مقدورك ابراء الجروح ببلسم نورك النقى الصافى ؟ تعالى أيتها الاخت العزيزة واجلسى الى جانبى ، فكم أنا متعب .. ضعى يدك الباردة على جبهتى الملتهبة ، لعلك تسكنين الافكار التى تبلبلنى .. اهمسى فى أذنى بما ترين أن أفعله والمكان الذى أقصده كى أنسى .. شبابى !

واتجهت الى النافذة فوقفت أرقب ملكة الليل تخطر بين النجوم ، التى كنت قد عرفتها جميعا خلال ليالى أرقى الطويلة. ولكن ، ما اسم هذه النجمة المضيئة فوق رأسى ، التى تومىء الى بنورها الثابت القوى ؟.. اننى أعرفها جيدا ، فكم من ليلة امتطيت فيها قاربى فى خضم البحار الغضبى يقودنى سناها.. وكم من نهار ضللت فيه طريقى بين غابات الجليد فى مسقط رأسى فهدتنى هى الى سواء السبيل ! انها .. النجمة القطبية !

وسمعت همسها فى أذنى : « هذا هو الطريق .. فاتبع نورى تصر فى أمان ! »

وفى اليوم التالى شددت رحالى الى القطب ، أنشد بين ثلوجه السحيقة زهرة السلوان ، عساها أن تنسينى .. شبابى !


TESLA
راديو تسلا
الراديو الصغير ذو المزايا الكثيرة
موديل تالسمان ٣٠٧ موديل ١٩٥٤
٤ لمبات
موجة متوسطة
موجتان قصيرتان
مكبر صوت قوى
مزود بايريال داخلى
تيارين ١١٠/٢٢٠ فولت
داخل عليه بلاستك الوان مختلفة
الثمن ١٧٫٥٠٠ جنيها
الوكيل والموزع الوحيد
عزيز بولس
مصر الاسكندرية

عزيزى القارئ ...

قرات معى فى الاعداد الماضية من « كتابى » ، القصص الآتية على التوالى :

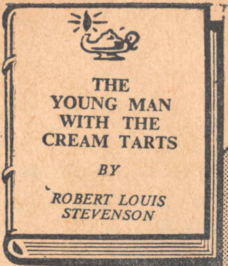
- أموك : لستيفان زفايج
- قلب عذراء : جون جالزوورثى
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- التلميذ : بول بورجيه
- أحدب نوتردام : فيكتورهوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المرأة : أونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكليرلويس
- الشيطان على الارض : برتراند رسل
- تاييس : أناتول فرانس
- رسالة من مجهولة : زفايج
- الحب الاول : ترجنيف
- بلاد العميان : هـ. ج. ويلز

واليوم اقدم لك فيما يلى هذه القصة من أدب الروائى المشهور روبرت لويس ستيفنسون

الحياة قصة



روائع القصص العالمى



روبرت لويس ستيفنسون

نادى الانتحار!



القصــــة ..

◆ **كان** اول عهدى بهذه القصة فى عام ١٩٣٧ ، حين شاهدتها على شاشة السينما ـ وقد مثل دور البطولة فيها يومئذ الممثل الامريكى المشهور «روبرت مونتجمرى» ـ ومنذ ذلك التاريخ يقترن اسم «روبرت لويس ستيفنسن» فى ذهنى بهذه القصة أكثر مما يقترن بقصصه الاخرى التى تفوقها شهـــرة وذيوع صيت (ومنها : دكتور جيكل ومستر هايد ، جزيرة الكنز ، الاختطاف .. الخ)

ذلك ان هذه القصة ـ التى قد تبدو لاول وهلة اقرب الى قصص المغامرات «البوليسية» التافهة ـ فيها من الفلسفة والعمق ، كما سترى، ما يزرى بالكثير من القصص الفلسفية الصريحة ـ وهذه هى الفلسفــة الحقيقية فى رأيى !.. استمع مثلا الى قول المؤلف فى احدى عبارات القصة الساخرة من الحياة وقيمها المادية المشينة :

ـ اية حياة لعينة هذه التى لا يستطيع المرء فيها ان يموت دون ان يدفــع نقـــودا !

أو قوله :

ـ لا يلقى بنقوده فى النار غير يائس .. أو مليونير !

أو قوله فى التنديد بطغيان النزعة المادية حتى على الحب ، الذى صار المجتمع الحديث يقومه بالمال ، شأنه شأن اية «بضاعة» ترقد فوق رفوف الحوانيـــت :

ـ هل فى وسع اى رجل يحترم نفسه ان يقع فى الهوى وهو لا يملـك سوى اربعمائة جنيه ؟

أو انظر قول ستيفنسن ، فى موضع اخر ، فى تحليل مغزى تقديم الهدايا والنظرة التى ينبغى ان ننظر اليها بها :

ـ لقد اعتدت ان لا اهتم بطبيعة الهدية قدر اهتمامى بالروح التى تحدو الى تقديمها !

ثم يتطرق المؤلف من هذه الافكار العابرة كلها الى الفكرة الرئيسية التى اعتقد انه هدف اليها من قصته ،وهى فكرة التنديد بالترف البالغ الذى تنعم به طبقة الملوك والامراء ومن اليهم .. الترف الى حد الضجر من الفراغ و« البطالة» الموجعين !.. الترف الى حد التحايل على تبديد هذا الضجر بكافة صنوف المغامرات الجنونية الشاذة ، وشتى ضروب المقامرة .. المقامرة بالمال ، بل وبالحياة ذاتها !

وهذا الضجر الذى يعانى منه الامير فلوريزل (بطل القصة) وسائر أترابه من الامراء ، ذوى الدم الازرق ، هو الذى ابتكر له ستيفنسن - فى سخرية مرة ! - علاجا حاسما ناجعا ، وفى الوقت ذاته خفيفا هينا ، هو الفرار من الحياة كلها !.. الفرار من الحياة ، ولكن من أيسر السبل .. وفى سبيل هذا التيسير انشأ صاحبنا «لاصحاب السمو» ذلك النادى الظريف اللطيف الذى أطلق عليه «نادى الانتحار» !

وهو يبرر فكرة انشاء النادى فى قصته تبريرا منطقيا رائعا حقا ، فى تسلسل خلاب !.. استمع اليه يشرح فكرته على لسان الشاب «صاحب الكعكات المحشوة بالقشدة» :

« اننا فى عصر المرفهات الحديثة ، وسأحدثكما عن آخر ابتكار من هذا النوع : ان لدى البشر اعمالا فى اماكن مختلفة ، وبوحى هذه الحاجة اخترعت السكك الحديدية .. ولكن السكك الحديدية حملتنا بعيدا عن اصدقائنا .. ومن ثم اخترع التلغراف لكى نتصل بسرعة بالمسافات البعيدة .. ولدينا مصاعد لتجنبنا مشقة ارتقاء مائة درجة من السلم .. ثم اننا نعرف ان الحياة ليست سوى مسرح نقوم عليه بدور الحمقى طالما كان الدور يروق لنا ! .. وهكذا لم يكن ينقص اسباب الراحة والرفاهية الحديثة ، سوى شىء واحد ، طريق سهلة لمغادرة المسرح .. باب يفضى الى الحرية .. أو - كما قلت منذ لحظة - باب سرى للموت .. وهذا ايها الزميلان المتمردان على الحياة ما ييسره ((نادى الانتحار)) !

« لا تظنا انكما وانا وحيدون ، او شاذون ، خارجون على المألوف ، فى رغبتنا المعقولة جدا فى مغادرة الحياة .. فان عددا كبيرا من زملائنا الذين سئموا من أعماق قلوبهم الدور الذى يرتقب منهم أن يؤدوه كل يوم طيلة حياتهم ، لا يمنعهم عن مغادرتها سوى سبب أو اثنين : فلبعضهم أسرات قد تصدم ، أو تلام ، اذا ما عرف الامر .. وفى البعض الاخر ضعف يجعلهم يخافون ظروف الموت .. وهذه حالتى انا ، لست اقوى على ان ارفع مسدسا الى رأسى ثم اطلق الرصاص ، فان شيئا اقوى منى يمنعنى !.. ومع اننى اكره الحياة الا اننى لم أوت القوة الكافية على ان اتشبث بالموت، وانتهى من كل هذا !

« ومن ثم فلامثالى ، ولكل من يرغبون فى التخلص من الدنيا دون فضيحة، أنشىء « نادى الانتحار » ! »

◆ فمن هو الشاب صاحب الكعكات ، وصاحب هذا الحديث ؟.. انه شاب وارث مدلل ، انحدر عن اجداده بالطريقة المعتادة ، وعنهم ورث بيتا انيقا وثروة كبيرة ، لكنهم اورثوه الى جانب ذلك شغفا جنونيا بالمرح ، والمغامرة، والمقامرة ، بما فى ذلك المبارزة لغير ما سبب على الاطلاق !.. وهكذا بدد

الفتى ثروته ، فلما التقى آخر الامر بالمرأة التى تجسمت فيها آماله واحلامه ، واوشك ان يقع فى هواها .. تذكر انه لم يبق له من ثروته غير مبلغ اربعمائة جنيه ، فنكص على عقبيه وقد هده اليأس وحطمه ! ولم يجد امامه سبيلا فى الحياة ، غير الفرار من الحياة ، فالتحق بنادى الانتحار ..!

على هذا النمط الرائع يمضى « روبرت لويس ستيفنسن » فى سخريته بعبيد الضجر والترف ، وسخريته بالاحياء عموما .. بل سخريته بالحياة والموت جميعا !

فتعال معى نقرأ الان النص الكامل لهذه القصة التى اطلق عليها ستيفنسن : «الشاب صاحب الكعكات المحشوة بالقشدة !» ، والتى نشرتها بعض دور النشر العالمية تحت عنوان «نادى الانتحار» .. ولعلك توافقنى على تفضيل هذا العنوان الاخير على العنوان الاول ، الاقرب الى العناوين «الامريكية» الهزلية !

المـؤلف

كان « روبرت لويس ستيفنسن » ـ الكاتب والروائى والشاعر الانجليزى ـ الابن الاوحد لمهندس مدنى يدعى «توماس ستيفنسن» . وقد ولد فى ادنبره سنة ١٨٥٠ ، وكان معلولا من حداثته ـ بل كاد يموت من حمى معوية وهو فى الثامنة ـ وحين بلغ مبلغ الشباب عكف على دراسة الهندسة فترة من الزمن ، ولكن ظروف الحياة القاسية اضطرته فى سنة ١٨٧١ الى التحول الى دراسة القانون ، فتخرج وسمح له بالترافع امام محاكم ادنبره فى سنة ١٨٧٥

وفى تلك الاثناء ، بدأ يكتب .. ونشرت مقالاته فى عدد من الصحف . وقد حالت صحته المعتلة دون ان يمارس المحاماة ، فقضى اربع سنوات متنقلا بين فرنسا والمانيا وسكتلندا ، وسجل رحلاته فى كتابين اسماهما « رحلة برية » ، و« اسفار مع حمار فى السافانا » ، وقد صدرا على التوالى فى سنتى ١٨٧٨ و١٨٧٩ . وفى هذا العام الاخير ، سمع بمرض سيدة كان قد قابلها فى فرنسا تدعى «مسز اوسبورن» ، فقرر ـ رغم قلة ما كان لديه من مال ـ ان يرحل لزيارتها فى «كاليفورنيا» بأمريكا .. وكان من نتائج الرحلة ان ازدادت صحته سوءا .. وان تزوج من «مسز اوسبورن» فى سنة ١٨٨٠ ، ثم صحبها الى سكتلندا .. وكانت وطأة المرض قد اشتدت عليه ، فنقل الى «دافوس» حيث مكث الى سنة ١٨٨١ ، ثم عاد مع زوجته الى سكتلندا ثانية . وفى صيف تلك السنة كتب «جزيرة الكنز» وهى من اشهر رواياته . وصار يقضى الشتاء من كل عام فى «دافوس» فتتحسن صحته ، غير ان الصيف فى سكتلندا كان لا يلبث ان يرده الى المرض .. وانتهى الى ان استقر فى



جنوب فرنسا فى سنة ١٨٨٣ . وفى ذلك العام نشرت «جزيرة الكنـز» وبعض مؤلفاته الاخرى فكانت بداية ذيوع صيته ..

وكانت له مشروعات عديدة للكتابة والتأليف ، ولكن صحته ازدادت سوءا فى سنة ١٨٨٤ ، فاكتفى بأن صار يكتب كلما ساعدته الظروف .. وفى سنة ١٨٨٥ نشر ديوانه «بستان شعر للاطفال» وعددا من رواياته . وفى سنة ١٨٨٦ وضع «حالـة الدكتور جيكل ومستر هايد الغريبـة » ، فحظيت برواج كبير ..

ثم ابحر مع زوجته الى نيويورك فى اغسطس سنة ١٨٨٧ ، ولم يعد الى اوربا بعد ذلك . واخذ يقضى وقته فى أمريكا بين الاستجمام والكتابة ، حتى اذا كانت سنة ١٨٨٨ رحل الى هونولولو ، ثم استقر فى العام التالى فى جزيرة «ساموا» ـ من جزر جبل طارق ـ بعد ان قضى ستة شهور فى البحر . وأقام فى الجزيرة اربعة أعوام تحسنت خلالها صحته بدرجة كبيرة ، وساهم بقسط وافر فى شئون الاهالى وفى مساعدة ملكهم على استرداد سلطانه الضائع ، كما كتب عددا من الروايات عن الحياة فى سكتلندا ، منها «كاتريونا» و «الاختطاف» ..

وفى سنة ١٨٩٣ مرض واسرته، فرحل فى الخريف الى جزر «سندويتش»، ولكن المرض عاوده ، فرجع الى ساموا . وفى سنة ١٨٩٤ ، عمل اصدقاء له على طبع جميع مؤلفاته فى ثمانية وعشرين مجلدا .. بينما واصل ستيفنسن كتابة المقالات وتأليف الروايات .. وفيما كان يملى رواية «سيد الاسماك فى هرميستون» ـ على مألوف عادته ـ سقط ميتا .. ودفن على قمة جبل «فاييا» المشرفة على المحيط الهادى ، تحقيقا لرغبته

وكان «ستيفنسن» ساحر الاسلوب والروح ، وهو ان لم يكن ارقى المؤلفين البريطانيين ، فانه من اكثر الروائيين والكتاب ـ فى عصره ـ حيوية ونشاطا ، وسيطرة على مشاعر القراء ..

- ١ -

◆ **اكتسب** أمير بوهيميا « فلوريزل » أثناء مقامه فى لندن حب جميع الطبقات ، بخلقه المتناهى فى الظرف ، وكرمه الذى أحسن توجيهه بحكمة ٠٠ كان رجلا فذا ، فى حدود ما عرف عنه ، وان لم يكن هذا سوى قسط ضئيل مما كان عليه حقا من صفات ٠٠ فقد كان وديعا الى درجة غير مألوفة ، واعتاد أن يتقبل الدنيا والحياة فى فلسفة كأى فلاح يحرث الارض ٠٠ الا أنه لم يعدم الميل في بعض الاحيان الى حياة أحفل بالمغامرات من حياة الامير الهادئة المستقرة !

وكان حين يشعر بالضيق - بين آن وآخر - أو تخلو مسارح لندن من مسرحية مضحكة تستحق المشاهدة ، أو يحين فصل من السنة غير ملائم لانواع الرياضة التى كان يتفوق فيها على كل من يتبارى معـــه ، يدعو الكولونيل جيرالدين - رئيس الركائب فى بلاط بوهيميا - ويسأله أن يتأهب لسهرة فى المدينة ٠٠ وكان رئيس الركائب ضابطا شابا ، ذا نفس جريئة ، محبا للمغامرات ، فكان يتلقى النبأ فى ابتهاج ويسارع الى التأهب لمرافقة مولاه ٠٠ وكانت كثرة المران ، وتباين معرفته بالحياة ، قد جعلاه بارعا جدا فى التنكر ، فلم يكن يبدل من وجهه ومشيته فحسب ، وانما كان يغير صوته أيضـــا حين يشاء - بل ويغير « أفكاره » ذاتهـــا ! - الى ما يتناسب وأية مرتبة ، أو شخصية ، أوأمة يرغب فى الانتساب اليها ! وبهذه الطريقة كان فى بعض الاحيان يكسب لكليهما حق الدخول فى الجماعات الغريبة ٠٠

ولم تكن السلطات الحكومية تحاط علما بشىء من هـــذه المغامرات ، فان شجاعة الكولونيل الشاب - التى لم تخنه

قط ـ وذكاء الامير ، الذى كان أبدا حاضرا ، أخرجاهما سالمين من عدد كبير من المآزق الخطرة ، فازدادا على مر الزمن اعتدادا بنفسيهما وامعانا فى لهوهما !

*

◆ **وفى** احدى أمسيات شهر مارس ، ألجأهما مطر مفاجىء الى حانة تدعى « حانةأويستر »، مجاورة تماما لميدان «ليسستر» .. وكان الكولونيل جيرالدين قد تنكر فى شكل وزى صحفى متواضع لم يصب نجاحا أو ثراء ، بينما غير الامير شكله ـ كالمعتاد ـ فأضاف الى وجهه لحية زائفة وحاجبين كثين زائفين مثلها ، مما أبداه خشن المظهر ، أسمر الطلعة .. وكان هذا خير استخفاء له ، اذ بغيره كان من السهل التعرف عليه .. وهكذا ، جلس الاثنان فى تنكرهما هذا يحتسيان نبيذهما فى أمان ..

وكانت الحانة مليئة بالرواد ، من الرجال والنساء ، ومع أن أكثر من واحد حاولوا مجاذبة بطلينا المخاطرين الحديث ، الا أن أحدا منهم لم يثر فيهما اهتماما يحملهما على توثيق التعارف معه ، لا سيما وان هؤلاء جميعا كانوا ينتمون الى أقل الطبقات مكانة فى لندن ..

وكان الامير قد بدأ يتثاءب ويشعر بالملل ، حين فتحت الابواب المتأرجحة بعنف .. وولج الحانة شاب يتبعه اثنان من الحمالين يحمل كل منهما طبقاكبيرا بهكعك محشو بالقشدة، تحت غطاء سرعان ما أزاحه الشاب ثم مضى متنقلا بين الجالسين في الحانة ، ملحا فى أدب جم على كل منهم بأن يتناول كعكة ! .. فكانت هديته تقبل أحيانا فى ضحك ، وترفض أحيانا فى حزم ، بل وفى خشونة .. وفى هذه الحالات الاخيرة كان الشاب يأكل الكعكعة دائما مع ابداء ملاحظة أو حركةمضحكة..

ووصل الشاب أخيرا الى الامير « فلوريزل » فقال له وهو يقدم اليه كعكعة مصحوبة بانحناءة كبيرة :

ـ سيدى ، هل تكرم شخصا غريبا عنك تماما بقبول هذه الكعكة منه ؟ اننى أضمن لك جودتها بعد أن أكلت منها سبعا وعشرين ، خلال أقل من خمس ساعات !

فأجاب الامير : « لقد اعتدت أن لا أهتم بطبيعة الهدية قدر اهتمامى بالروح التى تحدو الى تقديمها ! »

قال الشاب وهو ينحنى ثانية : « ان الروح هنا يا سيدى ، لون من السخرية ٠٠ »

فكرر فلوريزل كلمته متسائلا : «السخرية ؟٠٠ وممن تريدأن تسخر ؟ »

فأجاب الآخر : « لست هنا لاشرح فلسفتى ، وانما لاوزع هذا الكعك المحشو بالقشدة ٠٠ وأرجو أن تجد ترضية لكرامتك فى أن أقول لك اننى أعتبر نفسى فعلا بين الذين أحاول أن أسخر منهم !٠٠ فهلا قبلت واحدة ، والا اضطررتنى لان آكل كعكتى الثامنة والعشرين ، وان كنت أعترف اننى قد بدأت أتضايق من الكعك ! »

قال الامير : « اننى آسف من أجلك ، وراغب فى أن أنقذك، ولكن بشرط واحد : اذا أكلت وصديقى من كعكك ـ الذى لم يؤت أحدنا أى ميل طبيعى له ـ كان عليك أن تقبل العشاء معنا، كلون من المكافأة »

وبدا على الشاب انه يفكر فى الامر، ثم قال أخيرا: « لاتزال لدى عشرات من الكعك على أن أوزعها ، الامر الذى سيضطرنى الى المرور على عدد من الحانات الاخرى قبل أن أفرغ من مهمتى الكبيرة٠٠ وهذا يستغرق بعض الوقت، فاذا كنتما جائعين٠٠؟»

فقاطعه الامير فى أدب قائلا : « بل سأصحبك وصديقى ، لاننا بدأنا نشعر باهتمام عميق بطريقتك الطريفة فى قضاء

السهرة ·· أما وقد استقررنا على رأى ، فاسمح لى بأن أنفذ دورى فى الاتفاق »

والتهم الامير الكعكة فى أقصى أدب يمكن تصوره ، ثم قال: « انها لذيذة » ·· فأجاب الشاب : « أرى أنك تحسن تقدير هذه الاشياء » ·· ثم أكل الكولونيل جيرالدين بدوره كعكة ، وعلى أثر ذلك طاف الشاب بكل فرد فى الحانة ـ فقبل منهم هديته الحلوة من قبل ورفضها منهم من رفض ـ وحين فرغ منهم انتقل صاحبنا الى حانة أخرى مماثلة ، يتبعه مباشرة ـ كظله ـ الحمالان اللذان بدا أنهما قد ألفا مهمتهما السخيفة! ·· ثم تبعهما بدورهما الامير والكولونيل ، وقد تأبط كل ذراع الآخر وسارا يتبادلان الابتسام ·· وعلى هذا النظام زارت الجماعة حانتين أخريين ، حيث رفض بعض من فيهما هذا الكرم الغريب، وقبله بعض آخر ، وأكل الشاب كل كعكة رفضت !

واذ بارحوا الحانة الثالثة ، أحصى الشاب ما لديه ، فاذا ما تبقى لا يزيد عن تسع ، ثلاث فى احدى الصفحتين ، وست فى الاخرى ·· فقال مخاطبا زميله :

ـ أيها السيدان ·· لست أرغب فى أن أؤخر عشاءكما ، فانى متأكد من أنكما ولا بد جائعان ·· وأشعر أننى مدين لكما بتقدير خاص ، وانى لراغب ـ فى هذا اليوم العظيم من أيامى، اليوم الذى أختم فيه حياة طائشة بخاتمة أكثر طيشا ورعونة ـ فى أن أكون حسن المسلك ازاء كل من أبدوا صبرا معى ·· أيها السيدان ، لن أطيل انتظاركما ·· ومع أن كثرة الكعك المحشو بالقشدة قد أتلفت معدتى ، الا أننى أجازف بحياتى وألتهم ما تبقى ··

واذ نطق بهذه الكلمات ، دفع بالكعكات التسع الباقية الى فمه تباعا ، وازدرد كلا منها بحركة واحدة ·· ثم التفت الى الحمالين ، فأعطاهما جنيهين وقال :

ـ اننى لاشكر لكما صبركما البالغ ··

ثم صرفهما ·· وبقى بضع ثوان يحملق فى الكيس الذى دفع منه للرجلين أجرهما ، ثم طوح به الى منتصف الطريق وهو يضحك ، وأعلن استعداده للعشاء !

- ٢ -

◆ **وفى** غرفة خاصة بالطابق الثانى من مطعم فرنسى صغير فى حى « سوهو » ـ وهو مطعم كان قد حظى فترة من الزمن بشهرة انطوت على المبالغة ، ثم أخذ يستسلم للنسيان ـ أصاب الرفاق الثلاثة عشاء فخما ، وشربوا ثلاث أو أربع زجاجات من الشمبانيا ، وهم يتحدثون فى موضوعات عادية ·· وكان الشاب يتكلم فى لطف ومرح ، ولكنه كان يضحك بصوت أعلى مما ينبغى من شخص حسن التربية ·· كذلك كانت يداه ترتجفان فى عنف ، وبدا انه عاجز عن أن يسيطر على صوته فى بعض الاحيان ·· وكان الشراب قد رفع عن المائدة ، وأشعل كل من الثلاثة سيجارا ، حين وجه الامير الى الشاب هذه الكلمات :

ـ أعتقد أنك ستغفر لى فضولى ، ان ما رأيته منك قد سرنى كثيرا ، ولكنه كذلك زاد من حيرتى ·· ومع اننى أكره أن أبدو متطفلا ، الا أننى أرى أن أخبرك بأننى وصديقى شخصان جديران كل الجدارة بأن نؤتمن على أى سر ·· ولنا كثير من الاسرار الخاصة التى نرويها فى كل وقت لاكثر الناس بعدا عنا ·· **فاذا كانت قصتك رعناء ـ كما أظنها ـ فلا حاجة بك لان تشعر بالخجل منا ، فنحن من أرعن رجال انجلترا !·· ان اسمى « جودال » ·· تيوفيلس جودال ·· واسم صديقى « الميجر الفريد هامر سميث » ·· أو هذا ـ على الاقل ـ الاسم الذى يؤثر أن يعرف به ·· ونحن نقضى حياتينا بأسرهما فى البحث عن المغامرات الغريبة ·· فلا يوجد شئ غريب لا نهتم به ·· »**

فأجاب الشاب : « اننى أميل اليك يا مستر جودال ، فانك توحى لى بثقة طبيعية ، وليس لدى أدنى اعتراض على صديقك « الميجر » ، الذى أعتقد أنه نبيل متنكر »

وابتسم الكولونيل لهذه المجاملة ، بينما مضى الشاب يقول وقد ازداد حماسة :

ـ هناك أسباب جمة تحملنى على أن لا أروى لكما قصتى ٠٠ ولعل هذا هو السبب الذى من أجله سأرويها لكما برغم ذلك ٠٠ فانكما تبدوان مستعدين ـ على الاقل ـ لتسمعا قصة طيش، ولست أريد أن أخيب رجاءكما ٠٠ ان اسمى ـ على الرغم من المثل الذى ضربتماه لى بذكر اسميكما ـ سأستبقيه لنفسى ٠٠ وعمرى ليس ذا أهمية فى قصتى ٠٠ ولقد انحدرت عن أجدادى بالطريقة المعتادة ، وعنهم ورثت بيتا أنيقا للغـــاية ، لا أزال أشغله ، وثروة تدر ثلاثمائة جنيه فى السنة ٠٠

« وأظن أن أجدادى أورثونى أيضا نوعا من الشغف الجنونى بالمرح ، كانت ممارسته لذتى الكبرى ٠٠ وتلقيت تعليما طيبا، كما اننى أجيد الموسيقى الى حد ما ، وان لم أبلغ فيها الدرجة التى تمكننى من أن أكتسب المال منها بالعمل فى الفرق الرخيصة ٠٠ ولقد تعلمت من ألعاب الورق ما كان كافيا لان أخسر حوالى مائة جنيه فى العام ٠٠ ومعرفتى بالفرنسية كانت كافية لان تمكننى من أن أنفق المال فى باريس بنفس السهولة التى أنفقه بها فى لندن !٠٠ وبالايجاز ، أنا شخص ملىء بفضائل الرجولة ٠٠ وقد خبرت كل نوع من المغامرات ، بما فى ذلك المبارزة لغير ما سبب على الاطلاق !

« ولكن ٠٠ حدث منذ شهرين أن التقيت بسيدة شـــابة وافقت ذوقى تمـــاما ، فألفيت قلبى يذوب ٠٠ ورأيت اننى صادفت حظى ونصيبى أخيرا ، وأوشكت أن أقع فى الهوى ٠٠ غير اننى حين أحصيت ما تبقى من أصل مالى ، وجدت أنه يقل

عن الاربعمائة جنيه !٠٠ وانى لأسألكما : هل فى وسعأى رجل يحترم نفسه أن يقع فى الهوى وهو لا يملك سـوى أربعمائة جنيه ؟٠٠ وقررت أن هذا لا يجوز قطعا ، فانصرفت من حضرة السيدة الشابة ٠٠ وزدت قليلا من معدل انفاقى للمال ، حتى انتهيت فى هذا الصباح الى تبديد آخر ثمانين جنيها أملكها ، فقسمت هذا المبلغ الى شطرين متساويين : أربعين أبقيتها على حدة لغرض خاص ، والاربعين الباقية عزمت على انفاقها قبل المساء ٠٠ وقد قضيت نهارا ممتعا ومسليا للغاية ، وقمت بعدة مزح وألاعيب ، بجانب الكعك المحشو بالقشدة الذى أتاح لى متعة التعرف اليكما ٠٠

« ذلك لاننى كنت معتزما ـ كما أخبرتكما ـ أن أضع لهذه الحياة الطائشة نهاية أكثر طيشا ٠٠ وعندما رأيتمانى ألقى الكيس فى الطريق ، كانت الجنيهات الاربعون قد انتهت ٠٠ والآن ، أصبحتما تعرفاننى كما أعرف نفسى : طائشا ، سادرا فى طيشه ٠٠ وأرجو أن تصدقانى اذا قلت اننى لست جبانا ، ولا بالذى يحب الشكوى ٠٠ »

وكان واضحا من لهجة الشاب خلال حديثـــه بأسره انه كان عديم الثقة بنفسه !٠٠ **وأدرك المستمعان من قصته أن حبه كان أقرب الى قلبه مما ذكر ، وانه قد اعتزم أن يضع حدا لحياته ٠٠ فبدأت مزحة الكعك المحشو بالقشدة تبدو أشبه الاشياء بمأساة مستخفية !**٠٠ وقال الكولونيل جيرالدين وهو يرمى الامير فلوريزل بنظرة خاصة : « وى !٠٠ أليس من العجيب أن يقدر لثلاثتنا أن نلتقى بمحض الصدفة فى مدينة كبيرة مثل لندن ، وأن نكون فى حالة واحدة تقريبا ؟ »

فصاح الشاب : « كيف ؟٠٠ أو أنتما الآخران مفلسان ؟٠٠ وهل هذا العشاء مزحة رعناء مثل كعكى المحشو بالقشدة ؟ ٠٠ هل جمع الشيطان ثلاثة من أعوانه معا ليحتفلوا بآخر مأدبة لهم ؟ »

فأجاب الامير فلوريزل : « صدقنى اذ أقول ان الشيطان يأتى أحيانا أعمالا تتسم بكل شهامة ٠٠ وانى لمتأثر كل التأثر بهذه المصادفة حتى اننى ـ وان لم نكن فى نفس الحالة تماما ـ سأجعل مراكزنا سواء ٠٠ ولتكن بطولتك فى التخلص من آخر كعكاتك المحشوة بالقشدة مثالا لى ! »

واذ نطق الامير بهذه الكلمات ، أخرج كيسه فتناول منه حزمة صغيرة من الاوراق المالية ، واستأنف قائلا : « هل ترى كنت متأخرا عنك اسبوعا فى انفاق آخر مالى ؟ ٠٠ ولكنى عازم على اللحاق بك ! » ٠٠ وألقى باحدى الاوراق المالية على المنضدة قائلا : « هذه تكفى لدفع الحساب ٠٠ أما الباقى ؟ »

ورمى بالاوراق الباقية الى النار ٠٠ فاذا بها تستحيل الى سحابة من دخان تصاعدت فى مدخنة المدفأة !٠٠ وكان الشاب قد حاول أن يمسك بذراعه ، ولكن تدخله جاء بعد فوات الاوان ، اذ كانت المائدة تفصل بينهما ٠٠ فصاح به : « أيها الرجل التعس ٠٠ ما كان ينبغى أن تحرقها كلها ، بل كان يجب أن تستبقى على الاقل أربعين جنيها ! »



فردد الامير : « أربعون جنيها؟ ٠٠ ولماذا ـ بحق السماء ـ هذه الاربعون جنيها ؟ »

وصاح الكولونيل : « لماذا لا تكون ثمانين مثلا ؟ ٠٠ أعتقد ـ بما لى من معرفة وثيقة ـ أن الكيس كان يحوى مائة جنيه! »

لكن الشاب قال فى أسى : « انما كان فى حاجة الى أربعين جنيها فقط ، وبدونها لا يسمح له بالدخول ٠٠ فان القانون

صارم وينفذ بدقة ٠٠ أربعون جنيها لكل شخص ٠٠ أية حياة لعينة تلك التى لا يستطيع المرء فيها أن يموت دون أن يدفع نقودا ! »

وتطلع كل من الامير والكولونيل الى الآخر ، ثم قال ثانيهما: « أوضح ما تقصد ، فانى لا أزال أملك كيسى وفيه بعض النقود، وليست بى حاجة لان أصف مدى ابتهاجى بأن أقتسم ثروتى مع جودال ٠٠ على أننى يجب أن أعرف الغرض من هذا ٠٠ لا بد لك من أن تخبرنا ماذا تعنى ! »

فبدا على الشاب انه أفاق الى نفسه ، وأخذ ينقل بصره من أحدهما الى الآخر فى حيرة ، ثم تضرج وجهه وتساءل : « ما أراكما تعبثان بى ؟٠٠ هل أنتما يائسان مثلى حقا ؟ »

فأجاب الكولونيل : « اننى يائس فعلا »

وقال الامير : « أما فيما يتعلق بى ، فقد قدمت اليك الدليل منذ قليل ٠٠ منذا الذى يلقى بنقوده فى النار ، الا أن يكون يائسا ؟٠٠ ان التصرف نفسه ينطق بذلك »

فقال الشاب فى ارتياب : « أجل ٠٠ الا أن يكون يائسا ٠٠ أو مليونيرا ! »

قال الامير : « كفى يا سيدى ٠٠ لقد قلت ذلك ، ولست متعودا أن تكون كلمتى موضع تشكك »

قال الشاب : « أقانط أنت ؟٠٠ أيائس أنت مثلى ؟٠٠ هل بلغت ـ بعد حياة كنت تفعل فيها ما تشاء ـ مرحلة لم يعد لك أن تفعل فيها سوى شىء واحد ؟ » ٠٠ ثم استطرد يقول وهو يخفض من صوته : « هل ستقدم على ذلك الشىء الاخير ؟٠٠ هل ستقدم على تفادى تبعات رعونتك بانتهاج السبيل السهلة الوحيدة ؟٠٠ هل ستعمد الى الفرار من صوت ضميرك خلال الباب الاوحد المفتوح ؟ »

وأمسك فجأة محاولا أن يضحك ، ثم صاح وهو يفرغ كأسه:

« هذا فى صحتكما !٠٠ وعمـــا مساء يا صـــديقى اليائسين المرحين »

فأمسك الكولونيل جيرالدين بذراعه اذ هم بالنهوض وقال له : « أنت لا تأتمننا ٠٠ وانك لمخطىء ! لقـد أجبت عن كل أسئلتك ب « نعم » ، ولكننى لست عييا ولا خجولا ، بل أستطيع أن أتكلم في وضوح ٠٠ **اننا مثلك قد سئمنا الحياة وعزمنا على الموت ٠٠ فنحن مصران على أن نبحث عن الموت ان عاجلا أو آجلا ، على حدة أو معا ٠٠ أما وقد التقينا بك ، وأما وقضيتك أكثر استدعاء للعجلة ، فليكن موعدنا مع الموت الليلة ٠٠ وفى الحال !٠٠ ولنكن ثلاثتنا ـ ان شئت ـ معا ٠٠ ثلاثة مثلنا معدمون ، ينطلقون معا وقد تعاقدت أذرعهم ليعين كل منهم صاحبيه فى العالم الآخر ! »**

وكان جيرالدين موفقا كل التوفيق فى اختيـــار الكلمات الملائمة ، والمسلك الذى يناسب الدور الذى راح يؤديه ٠٠ حتى لقد شعر الامير نفسه بالقلق ، ونظر الى صـــديقه وفى نظراته ظل من الشك ! فازداد وجه الشاب تضرجا ، وأومضت عيناه ثم صاح فى مرح وحشى ضار : « أنتما الرجلان اللذان يروقان لى !٠٠ لنتصافح اذن تعزيزا للاتفاق ! »

وبدت يده باردة ، رطبة ٠٠ واستطرد قائلا :« انكما لا تعرفان أى زميل ستبدآن الطريق معه!٠٠ ولا تدريان أية لحظة سعيدة ـ بالنسبة اليكما ـ تلك التى قبلتما فيها كعكتى !٠٠ اننى أعرف الباب السرى للموت ، أعرفه حق المعرفة ، وفى وسعى أن أقودكما الى الخلود دون ما صـــعوبة ، ودون أن يلومكما الناس ! »

وسألاه فى شغف أن يوضح ما كان يعنى فسألهما : « هل تستطيعان أن تدبرا فيما بينكما ثمانين جنيها ؟ » ٠٠ فتظاهر جيرالدين بالبحث فى كيسه ، ثم قال انهما يستطيعان دفع

المبلغ . واذ ذاك صاح الشاب : « انكما لمحظوظان !.. فان رسم الدخول الى « نادى الانتحار » أربعون جنيها »

قال الامير: « نادى الانتحار؟.. أى ناد هذا بحق الشيطان؟»

.. فأجاب الشاب : « اسمعا .. اننا فى عصر المرفهات الحديثة .. وسأحدثكما عن آخر ابتكار من هذا النوع .. **ان لدى البشر أعمالا في أماكن مختلفة ، وبوحى هذه الحاجة اخترعت السكك الحديدية .. ولكن السكك الحديدية حملتنا بعيدا عن أصدقائنا .. ومن ثم اخترع التلغراف لكى نتصل بسرعة بالمسافات البعيدة .. ولدينا مصاعد لتجنبنا مشقة ارتقاء مائة درجة من السلم .. ثم اننا نعرف ان الحياة ليست سوى مسرح نقوم عليه بدور الحمقى طالما كان الدور يروق لنا !.. وهكذا لم يكن ينقص أسباب الراحة والرفاهية الحديثة ، سوى شيء واحد : طريق سهلة لمغادرة المسرح.. باب يفضى الى الحرية.. أو ـ كما قلت منذ لحظة ـ باب سرى للموت .. وهذا أيها الزميلان المتمردان على الحياة ما ييسره « نادى الانتحار » !**

« لا تظنا أنكما وأنا وحيدون ، أو شاذون ، خارجون على المألوف ، فى رغبتنا المعقولة جدا فى مغادرة الحياة .. فان عددا كبيرا من زملائنا الذين سئموا من أعماق قلوبهم الدور الذى يرتقب منهم أن يؤدوه كل يوم طيلة حياتهم ، لا يمنعهم عن مغادرتها سوى سبب أو اثنين : فلبعضهم أسرات قد تصدم ، أو تلام ، اذا ما عرف الامر .. وفى البعض الآخر ضعف يجعلهم يخافون ظروف الموت .. وهذه حالتى أنا ، لست أقوى على أن أرفع مسدسا الى رأسى ثم أطلق الرصاص ، فان شيئا أقوى منى يمنعنى !.. ومع اننى أكره الحياة ، الا أننى لم أوت القوة الكافية على أن أتشبث بالموت ، وأنتهى من كل هذا !

« ومن ثم فلأمثالى ، ولكل من يرغبون فى التخلص من الدنيا دون فضيحة ، أنشىء « نادى الانتحار » .. أما كيف حدث هذا ،

وما الذى أدى الى انشائه هنا ، وهل له فروع فى دول أخرى أو ليس له ، فهذا ما لا أدريه ٠٠ ولست فى حل من أن أنبئكما بما أعرفه من قوانينه !٠٠ أقصى ما أستطيع أن أفعلــه من أجلكما - اذا كنتما حقا قد مللتما الحياة - هو أن أقدمكما الليلة فى أحد الاجتماعات ٠٠ واذا لم يتم الامر الليلة ، ففى خلال هذا الاسبوع تستل منكما حياتاكما بسهولة ! »

وألقى نظرة على ساعته ثم قال : « انها الآن الحادية عشرة ، ويجب أن نبرح مكاننا بعد نصف الساعة على الاكثر ٠٠ ومن ثم فأمامكما نصف ساعة لتفكرا فيما عرضت » ٠٠ وأضاف مبتسما : « ان الامر أخطر من كعكة محشوة بالقشدة ٠٠ وأحلى، على ما أظن »

فأجاب الكولونيل جيرالدين : « انه أخطر بالتأكيد ٠٠ وما دام خطيرا بهذه الدرجة فهل تسمح لى بخمس دقائق أتحدث فيها على انفراد مع صديقى المستر جودال ؟ »

ورد الشاب قائلا : « هــذا عدل ٠٠ وسأنسحب اذا سمحتما » ٠٠ فقال الكولونيل : « ستكون هذه مكرمة منك »

- ٣ -

◆ **وما** أن أصبح الاثنان على انفـراد ، حتى قال الامير فلوريزل : « ما نفع هذا الجدل يا جيرالدين ؟٠٠ اننى أراك مضطربا ، فى حين أن رأيى قد استقر فى اطمئنان ، وبصفة نهائية : سأشهد هذه المسألة حتى نهايتها ! »

فقال الكولونيل وقد شحب لونه : « دعنى أرجوك يا صاحب السمو أن تقدر قيمة حياتك ، لا من أجل أصدقائك فحسب ، ولكن للمصلحة العامة ٠٠ فلو أن نكبة مروعة ألمت بسموك الليلة ، فدعنى أسائلك كم يكون يأسى ويأس أمتك العظيمة ؟»

فكرر الامير فى لهجته الهادئة : « سأمضى فى هذه المسألة حتى نهايتها ، وأرجو يا كولونيل جيرالدين أن تصون عهدك

كرجل مهذب ٠٠ أرجو أن تتذكر أنه لا ينبغى لك أن تشى بحقيقة شخصيتى دون اذن منى ، مهما كانت الظروف ٠ هذه هى الاوامر التى أصدرتها لك ، وانى لاكررها الآن ٠٠ والآن، أرجو أن تستدعى الخادم لتنقده الحساب »

وأطاع الكولونيل جيرالدين ، ولكن وجهه كان شديد الشحوب عندما دعا الشاب صاحب الكعك المحشو بالقشدة ، وأصدر تعليماته الى خادم المطعم ٠٠ أما الامير ، فقد ظل فى حالة هادئة ، وراح يصف للشاب المزمع على الانتحار ، فى مرح واستمتاع ، مسرحية شهدها أخيرا !٠٠ وكان أثناء ذلك يتفادى عينى الكولونيل اللتين راحتا تبذلان ما فى وسعهما لحمله على أن يعدل عن رأيه ٠٠ واختار سيجارا بعناية أكثر مما اعتاد ٠٠ والواقع انه كان الوحيد بين الثلاثة الذى احتفظ بسلطانه على أعصابه !

ودفع الحساب ٠٠ ومنح الامير كل ما تبقى من الورقة المالية للخادم ، الذى تولته الدهشة ٠٠ **ثم انطلق الجميع فى عربة سارت بهم مسافة قصيرة ٠٠ ثم استقرت أمام مدخل ساحة تكاد تكون معتمة ، فهبطوا جميعا ٠٠ وبعد أن دفع جيرالدين للحوذى أجره ، تحول الشاب فقال للامير فلوريزل :**

ـ لا يزال ثمة وقت يا مستر جودال كى تنجو عائدا الى العبودية ٠٠ وكذلك بالنسبة لك يا ميجر هامر سميث ٠٠ فكرا فى الامر مليا قبل أن تقدما على خطوة أخرى ٠٠ فاذا عصاكما قلباكما ، فهذا فراق بينى وبينكما ٠٠

فقال الامير : « امض بنا يا سيدى ٠٠ لست الرجل الذى يرجع عن رأى رآه ! »

فأجاب الدليل : « ان هدوءك يفيدنى ، فانى لم أر قط شخصا لم يتأثر عند هذه النقطة ٠٠ ولستما أول من أحضرت الى هذا الباب ، فقد سبقكما أكثر من واحد من أصدقائى ، الى

حيث أرجو أن أذهب سريعا ، بدورى ٠٠ ولكن هذا لا يهمكما ٠٠ انتظرانى هنا لبضع لحظات فقط ، ولسوف أعود بمجرد أن أدبر الامر لتقديمكما »

ثم لوح الشاب بيديه لزميليه ، وتحول الى الساحة فولج الباب واختفى ٠٠ فقال الكولونيل جيرالدين فى صوت خفيض:

ــ هذه أكثر حماقاتنا جميعا جموحا وخطورة !

فأجاب الامير : « أعتقد ذلك حقا »

فاستطرد الكولونيل : « لا زالت أمامنا لحظة نخلو فيها معا ، فدعنى أسائل سموك فى الحاح أن تنتهز الفرصة وتنسحب ٠٠ ان تبعات هذه الخطوة غامضة ، وقد تكون خطيرة ، حتى اننى لاشعر أن من حقى أن أتحدث الى سموك بصراحة أكثر مما عودتنى سموك أن تسمح لى حين نكون على انفراد »

فقال صاحب السمو وهو ينزع سيجاره من بين شفتيه ويحدق فى وجه الآخر بامعان : « هل معنى ذلك أن الكولونيل جيرالدين خائف ؟ »

فأجاب الآخر فى أنفة : « من المؤكد أن خوفى لا ينصب على شخصى ٠٠ وان سموك لتثق من ذلك »

قال الامير فى مرح لم يعكره الموقف : « هكذا ظننت ٠٠ ولهذا السبب لم أرد أن أنبهك الى تباين مركزينا » ٠٠ ثم أضاف اذ رأى جيرالدين قد بدأ يعتذر : « كفى ٠٠ كفى !٠٠ لقد صفحت عنك ! »

وأخذ يدخن فى هدوء وهو مستند الى الجدار ، الى أن عاد الشاب ، فسأله : « هل تم تدبير استقبالنا ؟ » ٠٠ فكان الجواب : « اتبعانى ، فسيستقبلكما الرئيس ٠٠ ودعونى أنذركما بأن عليكما أن تقولا له صدقا ، فقد ضمنتكما ، ولكن النادى يطلب تحريا شاملا قبل قبول أى عضو ٠٠ لان عضوا

واحدا لا يكتم السر كفيل بأن يسبب انهيار الجمعية كلها الى الابد ! »

وتهامس الامير وجيرالدين معا لحظة ٠٠ واتفقا فى هذه اللحظة على أن يؤيد كل منهما ما يقوله الآخر ، وأن ينتحل شخصية يعرفها كلاهما ٠٠ وهكذا تأهبا لمتابعة دليلهما الى غرفة الرئيس ٠٠

ولم تكن ثمة عقبات عسيرة ليذللاها ، فقد كان الباب الخارجى مفتوحا ، وكذلك باب غرفة الرئيس ٠٠ وفى حجرة صغيرة ، ولكنها شاهقة الارتفاع ، تركهما الشاب مرة أخرى، وقال وهو يختفى : « سيكون هنا فى الحال »

- ٤ -

◆ **وكانت** ثمة أصوات تسمع خلال الباب الذى كان يؤلف أحد طرفى الحجرة ٠٠ وبين آن وآخر ، كانا يسمعان فرقعة سدادة زجاجة الشمبانيا وهى تنزع من مكانها ، تتبعها قهقهة عالية ، تقطع حبل الحديث٠٠ ولم يكن ثمة سوى نافذة واحدة، طويلة ، تطل على النهر ٠٠ ومن شكل أضواء الشارع الممتد تحت النافذة ، قدرا أنهما ليسا بعيدين عن محطة « تشيرنج كروس » ٠٠ وكان أثاث الحجرة متواضعا ، وأغطية المقاعد بالية ٠٠ ولم يكن ثمة شىء قابل للنقل من مكانه ، سوى ناقوس يدوى فى منتصف منضدة مستديرة ٠٠ وكانت قبعات ومعاطف عدد كبير من الناس معلقة فى مشاجب ثبتت حول الجدران ٠٠

قال جيرالدين : « أى مكان هذا ؟ » ٠٠ فأجاب الامير : « هذا ما جئت لاتبينه ٠٠ فلو انهم كانوا يحتفظون هنا بشياطين حية ، لازداد الامر متعة وتسلية »

وفى تلك اللحظة انفتح الباب الموارب عن ثغرة لا تزيد عن

الفراغ الكافى لجسد آدمى كى يمر ، ودخل رئيس نادى الانتحار !

كان شكل الرئيس يوحى بالرهبة والرعب ٠٠ وكان يبدو فى الخمسين من عمره ، أو تجاوزها ، ضخم الجسم ، غير متزن المشية ، ذا لحية كثة غير معتنى بها ، وصلعة تعلو رأسه، وعينين رماديتين تكادان تكونان نصف مغمضتين دائما ٠٠ وكان فمه ـ الذى علق به سيجار كبير ـ لا يفتأ يتحرك حول السيجار ، أو يحرك السيجار من أحد جانبيه الى الآخر ، بينما كان يحدق فى حدة وفتور فى الغريبين ٠٠ وكان يرتدى بزة خفيفة ، وقميصا ترك ياقته مفتوحة عن آخرها ، كاشفة عن عنقه ٠ وكان يحمل كتابا صغيرا تحت ذراعه ٠٠ وقال بعد أن أغلق الباب وراءه :

ـ سعدتم مساء ٠٠ قيل لى انكما تريدان أن تتحدثا الى ٠٠

فأجاب الكولونيل : « ان بنا رغبة يا سيدى فى الانضمام الى نادى الانتحار »

فأدار الرئيس السيجار فى فمه وقال فى حدة : « ماذا ؟ »

أجاب الكولونيل : « معذرة ، ولكنى أعتقد انك خير شخص يقدم لنا معلومات فى هذا الصدد »

فصاح الرئيس : « أنا ؟ ٠٠ ناد للانتحار ؟ ٠٠ كفى ، كفى ! ٠٠ اننى لادرك أن هذه ليست ولا بد سوى مزحة ، وانى لاصفح عن السادة الذين يستخفهم المرح اذا ما تناولوا بعض الشراب ، ولكن هذا يجب أن ينتهى عند حد ! »

قال الكولونيل : « سموا منتداكم ما تشاءون ، ولكن لديكم وراء هذه الابواب جماعة من الناس ، ونحن نصر على الانضمام اليهم ! »

فأجاب الرئيس فى فتور : « لقد أخطأتما ٠٠ فهذا بيت خاص ، ويجب أن تبرحاه فورا »

وكان الامير قد التزم الصمت خلال هذه المحـــادثة ، لكن الكولونيل نظر اليه عند هذا الحد من الكلام ، وكأنه يقول له : « ليكن هذا جوابا شافيا ، ولنخرج ٠٠ بالله ! » ـ وعنـدئذ انتزع الامير السيجار من فمه وقال :

ـ لقد جئت الى هنا بدعوة من أحد أصدقائكم ، وهو قد أنبأك بلا شك بنيتى حين أخبرك بأننى أريد أن أنضم لهذه الجماعة ٠٠ **فدعنى أذكرك بأن شخصا فى مثل موقفى ، لم يعد لديه ما يأسف على فقده ، غير مستعد لتقبل أية خشونة أو جفاء ٠٠ اننى رجل مفرط الهدوء عادة ٠٠ غير انك ، يا سيدى العزيز ، اما أن تفعل ما أبغى فى هذه المسألة البسيطة التى تعلمها ، والا فلسوف تأسف أمر الاسف على أنك تركتنى ألج هذه الغرفة !**

واذ ذاك قهقه الرئيس وقال : « هكذا يجب أن يكون الحديث ٠٠ فأنت رجل حق ٠٠ ولقد عرفت كيف تصل الى قلبى ، فلك أن تفعل ما شئت معى ٠٠ هل٠٠ » ـ والتفت الى جيرالدين ، وهو ماض فى حديثه : « هل لك أن تخرج من الحجرة لبضع دقائق ؟٠٠ سأفرغ أولا من زميلك ، فان بعض اجراءات النادى يجب أن تستوفى فى السر »

واذ نطق بهذه الكلمات فتح الباب ، فاذا حجرة أخرى صغيرة ، دخلها الكولونيل ثم أغلق الباب دونه٠٠ وما أن غدا وفلوريزل على انفراد ، حتى بادره قائلا : « اننى أثق فيك ، ولكن ٠٠ هل تراك مطمئنا الى صديقك ؟ »

فأجاب فلوريزل : « لست مطمئنا اليه قدر اطمئنانى الى نفسى ، وان كانت لديه أسباب أوضح مما لدى ٠٠ غير اننى واثق منه الى الدرجة التى تجعلنى أحضره هنا دون خوف ٠٠ فلقد فصل من الجيش منذ أيام قلائل لانه كان يغش فى لعب الورق ! »

قال الرئيس : « هذا سبب وجيه حقا ٠٠ ولدينا عضو آخر فى نفس الحال ، وانى لاشعر بالاطمئنان اليه ٠٠ ترى هل كنت أنت الآخر فى الجيش ٠٠ ان جاز لى أن أسأل ؟ »

وكان الجواب : « أجل ، كنت ٠٠ ولكنى مفرط الكسل ، فتركت الخدمة مبكرا »

ومضى الرئيس متسائلا : « وما السبب الذى يجعلك تمل الحياة ؟ »

فأجاب الامير : « نفس السبب الذى تركت الجيش من أجله، على قدر ما أرى : الكسل المطلق »

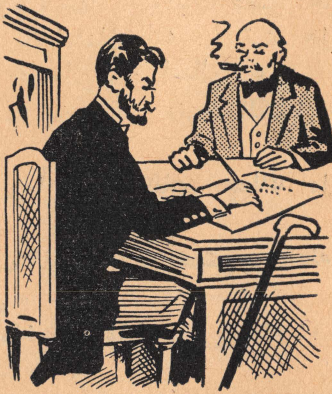
فاعتدل الرئيس فى مجلسه مأخوذا ، وقال : « ياللعنة !٠٠ لا بد أن ثمة سببا أخطر من هذا ٠٠ »

فأضاف فلوريزل : « لم يعد لدى مال ٠٠ وهذا أيضا من المنغصات بلا شك٠٠ فهو يرهف شعورى بالكسل أكثر من ذى قبل ! »

راح الرئيس يحرك سيجاره حول فمه بضع ثوان ، وهو يحدق فى عينى هذا الرائد الجديد الشاذ الذى وفد على منتداه، ولكن الامير احتمل هذا الاختبار بروح طيبة لم تتبدل ٠٠ وأخيرا ، قال الرئيس :

ـ لو لم تكن لى خبرة ضافية ، لرفضتك ٠٠ ولكننى أعرف الدنيا ، وأعرف أن ما يبدو كأسخف الاسباب للانتحار ، كثيرا ما يكون هو السبب الذى لا ينكر أبدا ٠٠ وأنا اذا شعرت بميل أكيد لرجل ـ كما أشعر نحوك يا سيدى ـ فاننى أؤثر أن أتغاضى عن قوانين النادى على أن أطرده ! »

ثم وجهت الى الامير والكولونيل ـ واحدا بعد الآخر ـ أسئلة عديدة ومسهبة٠٠ فسئل الامير أولا على حدة، ثم سئل جيرالدين فى حضور الامير ، حتى يراقب الرئيس وجه أحدهما بينما تنهال الاسئلة على الآخر !٠٠ وكانت النتيجة مرضية للرئيس،



فبعد أن كتب بعض البيانات عن كل ، أحضر ورقة قد طبع عليها يمين الانضمام - (**فقد كان على العضو الجديد أن يقسم على الطاعة التامة ، وأن يأخذعلى نفسه عهدا بأن يطيع ما يؤمر به بحذافيره وفى أشد الظروف ٠٠ وأى رجل ينكث فى يمينه يغدو مجردا تقريبا من كلشرف وكل دين !**) - ووقع فلوريزل الورقة ، وهو لا يملك قمع رجفة خفية تولته !٠٠ وحذا الكولونيل حذوه ، وقد تجلى على وجهه أسى جم ٠٠ ثم تسلم الرئيس رسوم الالتحاق ، وقاد الصديقين ، دون ما ارجاء ، الى غرفة الجلوس فى نادى الانتحار ٠٠

- ٥ -

◆ **وكان** ينير الحجرة عدد من المصابيح المثبتة فى السقف ، ونار بهيجة فى المدفأة ٠٠ وبدخول الامير وتابعه ارتفع عدد الحضور الى ثمانية عشر ، كان معظمهم يدخنون ويحتسون الشمبانيا ، وقد سادهم ابتهاج محموم ، قلق ، كانت تتخلله فترات صمت رهيبة ٠٠ فتساءل الامير :

- هل العدد مكتمل فى هذا الاجتماع ؟

فقال الرئيس : « تقريبا ٠٠ وبهذه المناسبة ، تقضى العادة بأن تقدم بعض الشمبانيا اذا كانت لديك نقود ، فانها تساعد على رفع الروح المعنوية بين الاعضاء ، كما أنها أحد الموارد الضئيلة التى أعتمد عليها فى الدخل ٠٠ »

فقال فلوريزل : « أدع أمر الشمبانيا لك يا همر سميث »

وما أن قال ذلك حتى تحول مبتعدا ، وأخذ يجوس خلال الحضور ٠٠ واستطاع – لما اعتاده من أداء دور المضيف فى المجتمعات الراقية – أن يسحر كل من اتصل به وأن يستولى على مشاعره ٠٠ كان فى مسلكه شىء قاهر ، ذو سلطان لا يقاوم، وكان هدوؤه الفذ يهيىء له امتيازا آخر فى هذه الثلة من أنصاف المجانين !

واحتفظ بعينيه وأذنيه مفتوحة وهو يتنقل من واحد الى آخر ، وسرعان ما بدأ يكون فكرة عامة عن القوم الذين وجد نفسه بينهم : كان ثمة طراز واحد يغلب عليهم ٠ **كان أغلبهم اناسا فى شرخ الشباب ، تلوح عليهم كل مظاهر الذكاء والحس المرهف ، ولكن تعوزهم القوة أو الصفة التى تمكنهم من النجاح ٠٠ كان قليلون منهم فوق الثلاثين ، ولكن أكثرهم كانوا لم يبلغوا العشرين !**

وكانوا يقفون حول المناضد ، منحنين عليها ، يحركون أقدامهم فى قلق ، وكانوا أحيانا يسرعون فى التدخين فتتلاحق أنفاسهم بسرعة غير عادية ، وأحيانا يشعلون سيجارهم ثم يتركونه حتى ينطفىء !٠٠ ومع ان بعضهم كان يحسن الكلام ، فان أحاديث البعض الآخر كانت بلا ريب نتيجة توتر عصبى ، لا تنم عن ذكاء ، ولا لها هدف !٠٠ وكان ثمة تحسن واضح فى مرح القوم كلما فتحت زجاجة جديدة من الشمبانيا ٠٠

ولم يكن بينهم جلوس سوى اثنين : أحدهما فى مقعد فى ركن قريب من النافذة وقد أحنى رأسه ، ودس يديه فى أعماق جيبى سرواله ، وبدا وجهه الشاحب مندى بالعرق ٠٠ لكنه لم ينبس بكلمة ٠٠ كان محطم النفس والجسد !

أما الآخر فقد جلس فى أريكة قريبة من المدفأة ، وكان يجتذب الانتباه بما كان يبدو عليه من اختلاف تام عن الباقين ٠٠ كان قد تجاوز الاربعين ، لكنه بدا أكبر من سنه بعشر

سنوات كاملة !٠٠ وخيل الى فلوريزل أنه لم ير قط رجلا أقبح منه خلقة ، ولا امرؤا تجلت على مظهره آثار الامراض والانفعالات المدمرة !٠٠ لم يكن يزيد عن هيكل من جلد وعظم ، وقد أصيب بشلل جزئى ، ووضع على عينيه منظارين سميكين للغاية ٠٠ وفيما عدا الامير والرئيس ، كان هذا الرجل الشخص الوحيد بين الحاضرين الذى احتفظ بهدوئه ٠٠

وكان الاحتشام بين أعضاء النادى ضئيلا ٠٠ كان بعضهم يزهو بتصرفات مخزية ، دفعتهم تبعاتها الى أن ينشدوا الموت ! وكان الآخرون يصغون دون استنكار ، وقد بدا عليهم أنهم جميعا موافقون على تجنب الحكم على أى تصرف بأنه « طيب » أو « سيىء » ٠٠ فكأنما كل من دخل النادى كان يستمتع - فيما ظهر - ببعض الحريات التى لا تتاح الا فى القبر !

وكان كل يشرب الانخاب لذكريات الآخر ، ولاشهر الانتحارات التى وقعت فى الماضى !٠٠ وكانوا يقارنون ويشرحون آراءهم المختلفة عن الموت ٠٠ بعضهم يعلن أنه لا يعدو أن يكون ظلاما ، ونهاية ٠٠ وسواهم يملأه الامل فى أن يمسى فى نفس الليلة فى السماء ، حيث يلتقى بموتى الماضى الجبابرة ٠٠

وصاح واحد : « نخب الذكرى الخالدة للبارون « ترنك » المثل الاعلى للمنتحرين ٠٠ لقد غادر هذه الدنيا الضيقة الى صندوق أضيق ، لكى يخرج من هذا ثانية الى الحرية ! »

فقال ثان : « أما بالنسبة لى ، فلست أرجو أكثر من عصابة على عينى وقطن فى أذنى ٠٠ لولا أنهم لم يؤتوا فى هذه الدنيا قطنا سميكا ! »

وكان ثالث يشرح آراءه عن الحياة بعد الممات ٠٠ وأقر رابع بأنه ماكان ليلتحق بالنادى أبدا ، لو لم يستدرج الى الايمان بمستر داروين - (صاحب نظرية النشوء والارتقاء ، الذى زعم أن الانسان ينحدر من أصل القردة) - واستطرد هذا

المنتحر العجيب قائلا : « لم أحتمل أن أكون منحدرا من القرود ! »

وعلى العموم ، فان الامير استاء من سلوك الاعضاء وحديثهم ، فحدث نفسه : « انها لا تبدو لى مسألة تستحق كل هذا التحمس والانفعال ٠٠ فاذا قرر رجل أن يقتل نفسه ، فليقتلها ـ بالله ـ كما يفعل السيد المهذب ، أما هذا الزهو والكلام الطنان ، فلا داعى له ! »

وفى تلك الاثناء ، كان الخوف قد روع الكولونيل جيرالدين ٠٠ فان النادى وقوانينه كانت ما تزال تبدو لغزا غامضا ، فراح يبحث فى الغرفة عن شخص يستطيع أن يطمئنه ٠٠ واذا بعينيه تقعان على الرجل المشلول ذى المنظارين السميكين ، فلما رآه فى ذلك الهدوء الذى كان مخلدا اليه ، سأل الرئيس ـ الذى كان لا يفتأ يلج الغرفة ويغادرها استجابة لضغط أعماله ـ أن يقدمه الى ذلك السيد الذى كان يجلس على الاريكة !

فبين له الرئيس عدم الحاجة الى كل هذه الكلفة والرسميات فى داخل النادى ، ولكنه مع ذلك قدم الكولونيل همرسميث الى « مستر مالتس » ٠٠ وتطلع مستر مالتس الى الكولونيل فى فضول ، ثم سأله أن يتخذ مجلسا الى يمينه ، وقال له : « أنت وافد جديد ٠٠ لعلك اذن تبغى معلومات ؟٠٠ لقد جئت الى المصدر الصحيح ، فلقد انقضى عامان مذ زرت هذا النادى الفاتن لاول مرة ٠٠ »

وتنهد الكولونيل مرة أخرى : اذا كان المستر مالتس يتردد على المكان منذ عامين ، فان الخطر على الامير من قدومه ليلة واحدة ، لا بد ضئيل ! على أن دهشة الكولونيل جيرالدين لم تخف ، بل أخذ يرتاب فى أن ثمة شرا يترصده ٠٠ فصاح : « ماذا !٠٠ سنتان !٠٠ ظننت ٠٠ ولكنى أرى الآن أننى صرت هدفا لدعابة أو مزحة ! »

أجاب مستر مالتس فى ليونة : « أبدا ٠٠ فان حالتى تختلف ٠٠ اننى ـ بصريح العبارة ـ لست راغبا فى الانتحار اطلاقا ، وانما أنا عضو فخرى ٠٠ ونادرا ما أزور المنتدى أكثر من مرة فى الشهر ٠٠ ولقد وفر لى مرضى وكرم الرئيس بعض الحريات البسيطة التى أدفع من أجلها رسما أكثر من المعتاد ٠٠ بل ان حظى ـ مع ذلك ـ غير عادى ٠٠ »

قال الكولونيل : « أخشى أن أكون مضطرا لان أسألك أن تكون أكثر ايضاحا ٠٠ وعليك أن تذكر اننى لم ألم بعد بقوانين النادى ٠٠ »

أجاب المشلول : « ان العضو العادى الذى يأتى هنا سعيا وراء الموت ـ مثلك ـ يتردد على النادى كل مساء حتى يوافيه الحظ فيأتى دوره ٠٠ بل انه يستطيع ـ اذا لم يكن لديه مال ـ أن يحصل على مسكن من الرئيس ، حسن ، ونظيف ، وان لم يكن فخما بالطبع ـ فليس فى الوسع أن يكون كذلك ، نظرا لضآلة رسم الاشتراك ـ ثم ان صحبة الرئيس متعة فى حد ذاتها »

فصاح جيرالدين : « أحقا ؟ ٠٠ ولكنى لم أجده جذابا الى هذه الدرجة ! »

قال مستر مالتس : « آه ! ٠٠ انك لا تعرف الرجل ! ٠٠ انه أمتع زميل ! ٠٠ أى قصص يرويها ! ٠٠ أى كفر لاذع بكل شىء ! ٠٠ انه يعرف الحياة معرفة رائعة ، وبينى وبينك أقول : لعله أعظم وغد سيقدر لك أن تصادفه ! »

فتساءل الكولونيل : « وهل هو الآخر عضو « دائم » مثلك ، ان جاز أن أقول لك ذلك دون أن أجرح شعورك ؟ »

أجاب مستر مالتس : « هو عضو دائم فعلا ٠٠ ولكن من نوع يختلف عنى ٠٠ اننى جنبت الموت بفضل الحظ ، ولكن لابد لى من الانتحار يوما ٠٠ أما هو فلا يلعب أبدا ٠٠ انه يرتب

الاوراق ويوزعها فى النادى ، ويقوم بكل الاجراءات اللازمة ٠٠ **ان لهذا الرجل يا عزيزى المستر همرسميث أعظم عقل مبتكر ٠٠ لقد قضى فى لندن ثلاث سنوات منهمكا فى هذا العمل النافع ، والفنى ـ كما أظن أن من حقى أن أصفه ـ ولم يحدث قط أن ارتابت السلطات فى سبب وفاة واحد من الاعضاء !**

« وأنت تذكر ولا ريب القضية المعروفة التى أثيرت منذ ستة شهور ٠٠ قضية السيد الذى مات بالسم عفوا وصدفة فى احدى الصيدليات !٠٠ كانت هذه واحدة من أبسط أفكاره ٠٠ ما كان أبسطها ٠٠ وأسلمها ! »

قال الكولونيل : « انك تدهشنى ٠٠ أو كان ذلك الرجل التعس أحد الـ ٠٠ (وأوشك أن يقول « الضحايا » ولكنه أمسك لسانه فى الوقت المناسب وقال بدلا منها) : أحد أعضاء النادى ؟ »

وفى الوقت ذاته ، خطر له أن مستر مالتس نفسه لم يتكلم قط بلهجة الراغب فى الموت ، فأضاف بسرعة : « ولكننى لا أفهم ٠٠ انك تتحدث عن ترتيب وتوزيع أوراق اللعب ، فلأى غرض ؟٠٠ ولما كنت تبدو أكثر نفورا من الموت منك من الحياة ، فلا يسعنى الا أن أعترف بأننى لا أرى مايدعوك للحضور الى هنا على الاطلاق ! »

فأجاب مستر مالتس فى مزيد من الحماسة : « انك صادق فى قولك انك لم تفهم بعد ٠٠ ان هذا النادى يا سيدى العزيز ، هو معبد نمارس فيه أعنف درجات الانفعال ٠٠ ولو كانت صحتى المعتلة تتحمل ، فصدقنى اننى ما كنت أحجم عن أن أكثر من التردد على هذا المكان ٠٠ وانى لاحتاج الى كل ماأوتيت من شعور بالواجب غرسه فى نفسى اعتيادى اعتلال صحتى ، لكى أصد نفسى عن الاكثار من الاستمتاع بهذا اللون من اللهو الذى أستطيع أن أقول انه أمتع ألوان اللهو عندى ٠٠ فلقد جربتها جميعا يا سيدى »

واستطرد وقد وضــــع يده على ذراع جيرالدين : « **جربت جميع ألوان اللهو وما تثير من انفعالات ، وانى لاصـــارحك - بشرفى - بأن ليس بينها لون لم يصور للناس على أنه أكثر أهمية مما هو !٠٠ ان الانفعال الحقيقى الوحيد هــو الخوف ، فالخوف عاطفة قوية ، ينبغى أن تذوقها ان شئت أن تشعر بأعظم مباهج الحياة٠٠ فلتحسدنى٠٠ احسدنى يا سيدى٠٠ (وأضاف ضاحكا) ٠٠ فاننى جبان !** »

وكاد جيرالدين أن يعجز عن منع نفسه من ابداء اشمئزازه من تصريحات محدثه ، لولا أن سيطر على نفسه بجهد ، ومضى فى أسئلته قائلا : « وكيف ياسيدى يطول أمد الانفعال بالوسائل المصطنعة ؟٠٠ لا سيما حين يكون ثمة أى عنصر من القلق ؟ »

فأجاب مستر مالتس : « لكى تفهم ما أعنى يجب أن أبين لك كيف تختار الضحية فى كل ليلة ٠٠ بل وكيف يختار العضو الآخر الذى يتولى تنفيذ حكم « الاعدام ! »

فقال الكولونيل : « يالله !٠٠ أفيقتل كل منهما الآخر اذن؟»

فأجاب مالتس وهو يهز رأسه : « ان عناء الانتحار يتجنب بهذه الطريقة »

صاح الكولونيل : « يا للسماوات الرحيمة !٠٠ وهــل من المحتمل أن تختـــار أنت ٠٠ أو أنا ٠٠ أو صــديقى ٠٠ أو أى منا فى هذا المساء ، كى يغتال جسد رجل آخر ونفســه المحرم قتلها ؟٠٠ هل مثل هـــذه الامور محتملة ؟٠٠ أواه ، يا للعار الذى ما بعده عار ! »

وكاد يهم بالنهوض مشمئزا مذعورا ، حين رأى الامير يرمقه فى غضب من أقصى الحجرة ، فاذا جيرالدين يعود الى دوره فى لحظة واحــــدة ٠٠ فيضيف قائلا : « ومع ذلك ، فلم لا ؟٠٠ وما دمت تقول ان اللعب ممتع ، فاننى ولا شك سأنضم الى اللاعبين ! »

وكان مستر مالتس قد استمتع بمرأى دهشة الكولونيل واشمئزازه استمتاعا عظيما ٠٠ كان دنيئا فى اثمه ، فسره أن يرى شعورا كريما لدى رجل آخر ، فى حين كان يحس – فى غمرة خبثه – انه فوق مثل هذه المشاعر ٠٠ فقال :

– الآن تستطيع – بعد أن ولت أولى لحظات دهشتك – أن تفهم ملذات العضوية فى جمعيتنا ٠٠ تستطيع أن ترى كيف أنها تجمع بين انفعالات المقامرة، والمبارزة، والمصارعة الرومانية مع الوحوش الكاسرة !٠٠ لقد خلق الرومان الوثنيون كثيرا من ألوان الانفعال ، وانى لاوليهم صادق اعجابى لهذا ، ولكن كان على احدى الدول المسيحية أن تمضى حتى هذا الأوج ٠٠ هذا الانفعال البالغ العنف ، الذى تتضاءل الى جانبه متعة جميع الملاهى الاخرى !

ومضى فى الحديث قائلا : « ان اللعبة التى نلعبها فى منتهى البساطة ٠٠ مجموعة كاملة من أوراق اللعب ، تختار من بينها ٠٠ ولكنى أرى أنك ستشهد الآن اللعب وهو يدور ٠٠ هل لك أن تعيرنى ذراعك أتكىء عليه ؟٠٠ فاننى لسوء الحظ مشلول!»

وفعلا ٠٠ فى اللحظة التى هم فيها مستر مالتس بأن يبدأ الوصف ، انفتح مصراعان من النوع الذى يطوى ويبسط ، وبدأ جميع أعضاء النادى يلجون الحجرة المتصلة بقاعة الجلوس ٠٠ فى عجلة ظاهرة !

وكانت الحجرة شبيهة بالاولى فى كل شىء ، وان اختلف الاثاث بعض الشىء ، اذ احتلت وسطها مائدة خضراء طويلة ، جلس اليها الرئيس ينسق مجموعة من أوراق اللعب فى عناية ٠٠ وكان مستر مالتس يسير فى مشقة كبيرة رغم استعانته بعصا، وبذراع الكولونيل، حتى أن الكل اتخذوا لانفسهم مجلسا قبل أن يدخل هذان الاثنان والامير الذى انتظرهما٠٠ وكان من جراء ذلك أن احتلوا ثلاثة مقاعد متلاصقة عند الطرف الادنى للمائدة ٠٠

وهمس المستر مالتس : « هذه المجموعة تتألف من اثنتين وخمسين ورقة ، فانتبه الى « الآس البستونى » ، لانه يرمز للموت ٠٠ والى « الآس السباتى » لانه يعين الشخص الذى سيتولى التنفيذ ٠٠ يا لكما من شابين سعيدين ، غاية السعادة، فان لكما عيونا قوية تتبع اللعب ٠٠ أما أنا فلا أستطيع أن أميز عبر المائدة أى « الآسين » عن الآخر ٠٠ »

ولبس نظارة أخرى ، وهو يقول : « يجب أن أشاهد الوجوه ٠٠ على الاقل »

واطلع الكولونيل صديقه فى عجلة على كل ما عرفه من المستر مالتس ، وعلى الاحتمالات الرهيبة التى تنتظرهما ٠٠ فأحس الامير فجأة ببرودة مميتة ، وبقبضة خفية تعتصر قلبه ٠٠ وازدرد ريقه فى عناء ، وهو يتلفت من جانب الى آخر كرجل ضال حائر ، فهمس الكولونيل :

ـ حركة فجائية واحدة ، قد تضمن لنا أن نجد سبيلا للخروج !

غير أن كلماته جعلت الامير يشعر بالقوة من جديد فقال :

ـ صه !٠٠ برهن لى على أنك تلعب كأى رجل نبيل ، بصرف النظر عن أية خسارة أو مكسب !

وتلفت حوله مرة أخرى وقد بدا هادىء البال ، وان كان قلبه قد مضى يدق بعنف ، وأخذ يحس بحرارة خانقة ٠٠ وكان جميع الاعضاء ساكنين يراقبون اللعب بنظرات متيقظة ، حادة، وقد شحب لون كل واحد منهم ، وان لم يبلغ أى منهم درجة مستر مالتس من الشحوب ، والانفعال ٠٠ فقد كانت عيناه تومضان ببريق محموم ، ورأسه مائل الى الامام فى ارتخاء ٠٠ وقد سعت يداه ، واحدة بعد الاخرى ، الى فمه فأخذتا تضغطان شفتيه المرتجفتين ٠٠ كان من الواضح أن العضو الفخرى قد استغرق فى اللعبة الى درجة بعيدة !

وقال الرئيس : « انتباه ‥ أيها السادة ! » ‥ ثم شرع يوزع الورق حول المائدة فى بطء ، متريثا ريثما يكشف كل فرد عن ورقته ‥ وكان كل واحد ـ تقريبا ـ يتردد ‥ وكنت ترى أحيانا أصابع لاعب تتيبس حتى ليظل لبضع لحظات عاجزا عن أن يقلب الورقة التى فى يده !‥ واذ اقترب دور الامير ، أحس بانفعال مطرد ، خانق ، ولكنه كان يمتلك شيئا من طبيعة المقامر ، فتبين فى مشـــاعره ـ لدهشته ـ قدرا من السرور والمتعة !

وسحب « التسعة السباتى » ‥ فى حين كان من نصيب جيرالدين « الثلاثة البستونى » ، وجاءت ورقة ثالثة « بريئة » من نصيب مستر مالتس ، الذى أفلتت منه صرخة ارتياح ‥

*

أما الشاب صاحب الكعك المحشو بالقشدة ، فقـد كشف ورقته بعد ذلك مباشرة ، فاذا بها « الآس السباتى » ! فسمر فى مكانه ذعرا ، وجمدت أصابعه على الورقة ‥ فما جاء ليكون قاتلا ، وانما ليكون قتيلا !‥ وأحس الامير بأسف شديد من أجله ، حتى لقد نسى أن الخطر ما يزال يحوم فوق رأسه ورأس صديقه ، اذ كان التوزيع يقترب منهما ثانية ، ولما تظهر بعد ورقة الموت !

وأمسك اللاعبون أنفاسهم ‥ وتلقى الامير ورقة أخرى من « السباتى » ، ونال جيرالدين ورقة من نوع آخر ، حتى اذا قلب مستر مالتس ورقته ، انبعث من فمه صوت رهيب ، كصوت شىء يتحطم !‥ ودون وعى منه نهض عن مقعده ثم جلس ثانية ، وقد تلاشى كل مظهر لشلله ‥ كانت ورقته « الآس البستونى » ، المرادفة لحكم الاعدام !‥ لقد لعب العضو الفخرى لعبة الخوف هذه مرارا من قبل ، ولكن آن له أن يكف عنها آخر الامر !

وارتفعت الاصوات بالحديث مرة أخـــرى ، وقد ارتاحت أعصاب اللاعبين فبدأوا ينهضون عن المائدة ويعودون أزواجا

وثلاثا الى غرفة الجلوس · وبسط الرئيس ذراعيه وتثاءب كرجل فرغ من عمله اليومى · ولكن مستر مالتس ظل جالسا فى مكانه ورأسه بين يديه ، غائبا عن الحس ، بلا حراك ·· كشىء مسته صاعقة !

ونهض الامير وجيرالدين لفورهما ·· وازداد شعورهما بالذعر مما شاهداه حين لفحهما هواء الليل البارد ·· فهتف الامير :

ـ تصور أن تكون مقيدا بيمين فى أمر كهذا !·· وأن تكون مضطرا لان تدع هذا الاتجار فى القتل بالجملة يستمر بربح ، وبلا عقاب !·· ليتنى أجرؤ على أن أنكث فى قسمى !

فأجابه الكولونيل : « هذا مستحيل على سموكم ، لان شرفكم هو شرف بوهيميا ·· ولكن من السهل على أنا أن أنقض عهدى »

ـ اسمع يا جيرالدين ، لو ان شرفك أهين فى أى مغامرة من المغامرات التى تصاحبنى فيها ، فاننى لن أرفض أن أغفر لك فحسب ·· بل لن أغفر لنفسى أيضا ، وهذا ما أعتقد أنه أكثر ايلاما لك

ـ انى انما أعمل بأوامر سموكم ·· هل نبارح هذه البقعة اللعينة ؟

ـ أجل ·· ادع عربة بحق السماء ، ودعنى أحاول أن أنسى فى نومى ذكرى عار هذه الليلة !

ولكنه قرأ بدقة الاسم الذى على مدخل الساحة قبل أن يبرحها ·· وفى الصباح التالى ، لم يكد الامير يستيقظ ، حتى حمل اليه الكولونيل جيرالدين احدى الصحف ، وقد وضع علامة عند هذه الفقرة فيها :

حادث محزن

« بينما كان المدعو مستر بارتلميو مالتس ـ القاطن فى ١٦ ميدان تشيبستو ، بضاحية ويستبورن جروف ـ فى طريقه الى داره بعد انصرافه من حفلة فى منزل صديق له، حوالى

الساعة الثانية من صباح اليوم ، حدث أن وقع من فوق قضبان السلم القائم فى ميدان ترافلجار ، فتهشم رأسه ، وكسرت احدى ساقيه واحدى ذراعيه ‥ وقدتوفى فى الحال ‥ وكان مستر مالتس وقت الحادث المشئوم يبحث عن عربة ، وبصحبته صديق له ‥ ولما كان مستر مالتس مشلولا ، فان الظن يتجه الى أن وقوعه ربما كان ناشئا عن هجوم شخص آخر عليه ! وقد كان السيد التعس معروفا فى أرقى الاوساط المحترمة ، وسوف تقابل خسارته ولا شك بحزن شامل عميق »

وقال جيرالدين فى لهجة جادة : « لو قدر لروح أن تذهب الى الجحيم مباشرة ، فهى روح هذا الرجل المشلول ! »

ودفن الامير وجهه فى راحتيه ، وظل صامتا ‥ بينما استطرد صاحبه : « أكاد أشعر بسرور اذ أعرف انه مات ‥ ولكنى أعترف بأن قلبى يدمى من أجل صديقك الشاب صاحب الكعك ‥ »

فرفع الامير وجهه قائلا : « جيرالدين ‥ لقد كان هذا الفتى التعس بريئا ليلة أمس ، مثلك ومثلى ، فاذا وزر الدم يلطخ روحه فى هذا الصباح !‥ ان قلبى ليشمئز عندما أفكر فى رئيس ذلك النادى ‥ ولسوف أجعل هذا المجرم يندم على ما فعل ‥ لست أدرى كيف سيتسنى ذلك ، ولكنى واثق من أننى سأفعله ، ثقتى بوجود آله فى السماء ‥ يا للعبة الورق القاتلة تلك من تجربة ‥ ويا لها من درس ! »

ـ انها تجربة يجب ألا تتكرر أبدا !

*

وظل الامير وقتا طويلا لا يحير جوابا ، حتى جزع جيرالدين ، فقال له : « ما أراك تعتزم العودة ، فقد عانيت بنفسك الكثير من الهول ‥ وان واجبات مركزك السامى لتحرم عليك تكرار مثل هذه التجربة الخطرة ! »

فأجاب الامير فلوريزل : « هذا صحيح الى حد بعيد ، ولست فى الواقع مسرورا من القرار الذى ارتأيته ٠٠ ولكن فى ثياب أعظم الحكام ، هل تجد غير انسان ؟٠٠ ان الحافز لاقوى منى يا جيرالدين !٠٠ **أترانى أستطيع أن أمتنع عن أن أشغل نفسى بمصير الشاب الشقى الذى تناول العشاء معنا منذ ساعات ؟ ٠٠ هل أستطيع أن أدع الرئيس يواصل عمله الاجرامى وهو مطمئن ؟٠٠ هل أستطيع أن أبدأ مثل هذه المغامرة الرائعة ثم لا أمضى فيها حتى النهاية ؟٠٠ لا يا جيرالدين ، انك تطلب من الامير فوق ما فى طاقة الانسان ٠٠ سنتخذ مجلسينا الليلة ـ مرة أخرى ـ حول مائدة نادى الانتحار !** »

فركع الكولونيل جيرالدين على ركبتيه وهتف : « هل تتكرم سموك فتقضى على حياتى !٠٠ يا آلهى، ان حياتى ملكه٠٠ ملكه دون مقابل ، ولكن لا ٠٠ آه ، لا !٠٠ لا تدعه يطلب الى أن أحتمل مثل هذه التجربة الفظيعة !٠٠ لا تدعه يذهب يا آلهى ! »

فأجاب الامير فى شىء من الترفع والشمم : « ان حياتك ملك لك دون منازع يا كولونيل جيرالدين ٠٠ لقد كنت أنشد الطاعة، ولكنها اذا منحت عن غير رضى ، فلن أرجوها٠٠ وأضيف كلمة الى هذا ٠٠ لا حاجة بك الى أن تزعج نفسك بهذه المسألة بعد الآن ٠٠ »

فنهض رئيس الركائب فى الحال وقال : « هل تعفينى يا صاحب السمو من الخدمة فى عصر اليوم ؟٠٠ اننى لا أجرؤ على الذهاب الى بيت الموت ذاك ـ كرجل شريف ـ ما لم أرتب أمورى على أتم وجه ٠٠ وانى لاعد صاحب السمو بأنه لن يجد بعد ذلك أدنى معارضة من جانب أكثر خدمه ولاء وعرفانا بالجميل »

فأجاب الامير : « يا عزيزى جيرالدين ٠٠ اننى دائما أندم حين أضطرك الى أن تذكر مركزى ٠٠ افعل اليوم ما يحلو لك،

ولكن ٠٠ كن هنا قبل الساعة الحادية عشرة ، فى نفس مظهر الامس التنكرى ! »

- ٦ -

◆ **لم** يكن النادى فى تلك الليلة الثانية حافلا كما كان في سابقتها ، فعندما وصل جيرالدين والامير لم يكن فى غرفة الجلوس أكثر من ستة أشخاص ، فانتحى صاحب السمو بالرئيس جانبا ، وهنأه بحرارة على ميتة مستر مالتس ٠ ثم قال : « اننى أحب أن التقى بالكفاءات ، وقد وجدت فيك بالتأكيد الكثير منها ٠٠ ان مهنتك دقيقة بطبيعتها ، ولكنى أرى انك قادر على تنفيذها بنجاح وتكتم ! »

وتأثر الرئيس بعض الشيء بهذه المجاملات من شخص له أخلاق صاحب السمو الرفيعة ، فتقبلها فى تواضع ، وقال : « يا لمالتس المسكين !٠٠ لن يعود النادى كما كان بدونه !٠٠ ان معظم عملائى فتيان يا سيدى ٠٠ فتيان شاعريون ، لا تلذ لى صحبتهم ٠٠ ولا يعنى هذا أن مالتس كان عديم الشاعرية ، ولكن خياله كان من نوع أستطيع فهمه واستساغته ٠٠ »

فقال الامير : « أفهم بوضوح انك كنت تحب مستر مالتس ٠٠ وقد بدا لى بالفعل رجلا جديرا بالاعتبار والاعجاب »

وكان الشاب - صاحب الكعك المحشو بالقشدة - فى الحجرة ، ولكنه كان مفعما بالاسى ، مهموما ، صامتا ٠٠ وعبثا حاول صديقاه الجديدان أن يحملاه على الكلام ، فقد صاح : **« ما أشد ما أتمنى لو اننى لم أحضركما أبدا الى هذا المكان المخزى ٠٠ أخرجا ، وأنتما ما تزالان طاهرى الايدى ٠٠ ليتكما سمعتما العجوز يصرخ وهو يهوى ، وصوت عظامه تتهشم على الرصيف !٠٠ فلتتمنيا لى « الآس البستونى » الليلة ، اذا كانت لديكما ذرة من عطف على مخلوق ضائع مثلى ! »**

واذ تقدم المساء ، وصل بعض أعضاء آخرين ، ومع ذلك فلم يكن هناك أكثر من اثنى عشر حين اتخذوا مجالسهم حول المائدة!

٠٠ وأحس الامير مرة أخرى بمتعة أكيدة ، مازجت انفعال الخوف الذى انتابه بلا ريب ٠٠ ولكنه دهش اذ رأى جيرالدين أكثر هدوءا وسكينة منه فى الليلة السالفة ، فقال فى نفسه : « من العجيب الخارق أن تؤثر العزيمة ـ سواء كانت صادرة عن رغبة أو عن غير رغبة ـ على مزاج شاب الى هذه الدرجة العظيمة ! »

وقال الرئيس : « انتباه ٠٠ أيها السادة ! » ، ثم شرع يوزع الورق ٠٠ ودار التوزيع حول المائدة ثلاث مرات ، دون أن تظهر الورقتان المعينتان ٠٠ وكان الانفعال فظيعا حين بدأ الرئيس الدورة الرابعة للتوزيع ٠٠ وكان ثمة أوراق تكفى للتوزيع مرة خامسة على الجلوس جميعا ٠٠ وكان مقدرا للامير ـ الذى جلس الى جانب الجالس الى يسار الموزع مباشرة ـ أن يتلقى ثانى ورقة من الدور الاخير ٠٠ وكشف اللاعب الثالث ورقته فاذا بها « آس » أسود ٠٠ كانت الآس « السباتى » !٠٠ وتلقى الذى يليه ورقة من النوع « الديناري » ٠٠ والذى بعده ورقة من النوع « الكوبه » ٠٠ وهكذا ٠٠ وبقى « الآس البستونى » لم يوزع ٠٠ وأخيرا كشف جيرالدين ـ الذى كان يجلس الى يسار الامير ـ ورقته ، فاذا بها « آس » ٠٠ ولكنه كان « الآس الديناري » !

وعندما رأى الامير مصيره على المائدة أمامه ، كاد قلبه يكف عن الوجيب ٠٠ كان رجلا شجاعا ، ومع ذلك فقد تفصد العرق من جبينه ٠٠ كان ثمة خمسون فرصة من مائة ، لان تكون ورقته « الآس البستونى » !

٠٠ وكشف الورقة ، فاذا بها « الآس البستونى » !

وساد الغرفة ضجيج مرتفع ، ورأى الامير المائدة تتماوج أمام عينيه ٠٠ وسمع العضو الذى الى يمينه يقهقه عاليا ، بصوت جمع بين السعادة وخيبة الامل ٠٠ ورأى كل فرد ينصرف عن المائدة ، ولكن رأسه كان يزخر بأفكار أخرى ٠٠ فلقد تبين كيف

كان أرعن ، وكيف كان مجرما ٠٠ لقد قامر ـ وهو شاب في مكتمل الصحة ، ووريث عرش ـ بمستقبله ومستقبل دولة باسلة ركنت اليه !

وهتف : « يا الهى !٠٠ اغفر لى يا الهى ! » ٠٠ وبهذه الصيحة انجلى عنه الارتباك ، وعادت اليه السكينة فى لحظة ٠ ولدهشته ، فطن الى أن جيرالدين قد اختفى ٠٠ لم يبق فى قاعة اللعب سوى الشخص الذى قدر أن يكون جزاره ـ وقد انهمك فى الحديث مع الرئيس ـ والشاب صاحب الكعك ، الذى اقترب من الامير وهمس فى أذنه : « اننى على استعداد لان أدفع مليونا ـ لو كنت أملكه ـ لانال حظك »

وقال صاحب السمو لنفسه ـ اذ انصرف الشاب ـ انه يتمنى لو باع فرصته مقابل مبلغ أقل من ذلك بكثير !

وآن للكلمات المتبادلة همسا بين الرئيس والشخص المكلف بالقتل ، أن تنتهى ٠٠ وغادر حامل « الآس السباتى » الغرفة وقد بدا عليه انه أدرك مهمته تماما ، بينما اقترب الرئيس من الامير المنكود ، وبسط له يده قائلا « **اننى مسرور اذ قابلتك يا سيدى ٠٠ ومسرور لاننى استطعت أن أؤدى لك هذه الخدمة البسيطة ٠٠ انك على الاقل لا تستطيع أن تشكو من أى ارجاء ، فقد واتاك المصير فى الليلة الثانية ٠٠ يا له من حظ !** »

وعبثا حاول الامير أن يرد عليه بشىء ، فان حلقه كان جافا ، وبدا لسانه معقودا ٠٠ فتساءل الرئيس متظاهرا بالقلق : « أتشعر بشىء من التوعك ؟٠٠ معظم السادة يشعرون بذلك ٠٠ هل لك فى قليل من (البراندى) ؟ »

فقبل الامير ، وفى الحال صب الآخر قدرا من السائل فى كأس ٠٠ وقال الرئيس اذ أفرغ الامير كأسه : « يا لمالتس المسكين ٠٠ لقد شرب كأسين مترعتين ، ومع ذلك فقد بدا أنهما لم تفيداه كثيرا ! »

فقال الامير وقد استرد شيئا من نشاطه : « اننى أستجيب لمفعول الشراب بدرجة أكبر ٠٠ لقد عدت الى حالتى العادية كما ترى ٠٠ والآن ، دعنى أسألك عما لديك من أوامر لى ! »

ـ ستسير فى طريق «ستراند» متجها الى حى الاعمال بالمدينة ، ملتزما الرصيف الايسر ، حتى تلتقى بالسيد الذى غادر الغرفة منذ قليل ، وأرجو أن تتكرم بالصدوع لتعليماته من تلك اللحظة ، فان سلطة النادى تكون فى يد الشخص المختار فى كل ليلة ٠٠ والآن أتمنى لك نزهة بهيجة !

وأجابه فلوريزل على تمنياته بشىء من الجفاء ، ثم انصرف ، مارا عبر غرفة الجلوس حيث كان معظم اللاعبين لايزالون يشربون الشمبانيا التى كان قد طلب بنفسه بعضها ودفع ثمنها ٠٠ وأدهشه أن وجد نفسه يلعنهم من صميم قلبه !

ثم ارتدى قبعته ومعطفه ، وتناول مظلته من أحد الاركان ، وضحك بصوت بدا لاذنيه منكرا ، اذ فكر فى أنه يفعل هذه الامور العادية للمرة الاخيرة !٠٠ وأحس بعزوف عن مبارحة المكان ، فاتجه الى النافذة بدلا من الباب ٠٠ ورد اليه منظر المصابيح فى الظلمة بعض الاعتداد ، فقال لنفسه : «هيا ، هيا ٠٠ يجب أن أكون رجلا ، وأنتزع نفسى من هذه الحال »

وعند منعرج ساحة «بوكس كاورث» ـ حيث يقع النادى ـ انقض على الامير فلوريزل ثلاثة رجال ، ألقوا به فى غير ترفق داخل عربة انطلقت مسرعة به فى الحال ٠٠ وسمع صوتا مألوفا يخاطبه : « هل يغفر لى سموكم تهورى ؟ »

وألقى الامير بنفسه على صدر الكولونيل فى ارتياح عجيب ، هاتفا : « كيف أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر ؟٠٠ ولكن كيف دبرت هذا ؟ »

ومع أنه كان مستعدا لان يسلم نفسه للموت ، الا أنه كان أكثر سرورا بأن يسلم نفسه لعنف صديقه ، فيرتد مرة أخرى الى الحياة والامل !

وأجابه صاحبه : « تستطيع أن تعبر عن شكرك بمافيه الكفاية بأن تتجنب فى المستقبل كل الاخطار التى من هذا القبيل !٠٠ أما بشأن سؤالك الثانى فقد دبر كل شىء بأبسط الطرق : اذ قابلت عصر اليوم مخبرا سريا شهيرا ، وعدنى بالتكتم ، وتقاضى أجره لقاء ذلك ٠٠ والرجال الذين استخدموا فى انقاذك هم فى الاصل خدمك الخصوصيون ، وقد حاصروا المبنى الذى فيه النادى منذ هبط الليل ، وظلت هذه العربة ـ وهى احدى مركباتك الخاصة ـ رابضة فى انتظارك حوالى الساعة »

فتساءل الامير : « والمخلوق التعس الذى كان مكلفا بقتلى ٠٠ ماذا جرى له ؟ »

ـ لقد قبض عليه وهو يغادر النادى ، وهو الآن يرتقب حكمك عليه فى القصر ، حيث لن يلبث أن يلحق به زملاؤه فى الاجرام !

ـ لقد انقذتنى ياجيرالدين على عكس أوامرى الصريحة المحددة ، وقد أحسنت بذلك ٠٠ ولست مدينا لك بحياتى فحسب ، وانما أنا مدين لك أيضا بدرس ، ولن أكون جديرا بمكانتى ما لم أظهر عرفانى بفضل أستاذى ٠٠ فليكن لك اختيار ما ينزل بأولئك القوم !

وشملهما صمت كانت المركبة خلاله منطلقة بسرعة فى الطرقات ، وقد أخذ كل من الرجلين يتابع أفكاره ٠٠ ثم قطع الكولونيل جيرالدين حبل الصمت قائلا :

ـ لقد اجتمع لدى سموكم الآن عدد كبير من الاسرى ٠٠ وبين العدد مجرم واحد ـ على الاقل ـ يجب أن تتولاه العدالة ٠٠ وان قسمنا ليحرم علينا أن ندعو البوليس ، وكذلك يحرم مركزك ذلك ، حتى لو غدونا فى حل من القسم ٠٠ فهل لى أن أسأل سموكم ماتعتزمون عمله ؟

ـ لقد انتهيت الى قرار ٠٠ يجب أن يجبر الرئيس على أن يدخل فى مبارزة ٠٠ ولم يبق الا اختيار من ينازله !

ـ لقد سمح لى سموكم بأن أختار جزاءهم ·· فهـل يسمح لى بأن أرجو تعيين أخى غريما للرجل ؟·· انه منصب فخرى ، ولكننى أؤكد لسموكم أن الفتى سيضطلع بهذه المهمة على خير وجه !

ـ انك تسألنى صنيعا لا يروق لى ، ولكننى لا أرفض لك طلبا ··

فقبل الكولونيل يده فى حب بالـــغ ·· وفى تلك اللحظة وصلت العربة الى قصر الامير المنيف ··

- ٧ -

◆ **بعد** ساعة استقبل فلوريزل ـ فى زيه الرسمى ، وقد ازدان صدره بكل أوسمة بوهيميا ـ أعضاء نادى الانتحار ·· فقال لهم : « **أيها الحمقى الخبثاء ·· ان الذين استدرجوا منكم الى الالتحاق بالنادى لحاجتهم الى المال ، سيعينون فى أعمال ، ويتقاضون من رجالى نقودا ·· أما الذين يعانون مرارة الشعور بالذنب ، فيجب أن يحالوا الى سلطان أسمى منى ·· اننى أحس برثاء لكم جميعا ، أعمق مما تتصورون ·· غدا ستروون لى قصصكم ، وكلما عمدتم الى الصراحة ، كنت أقدر على مساعدتكم ··** »

ثم التفت الى الرئيس قائلا : «أما أنت ، فان أى عرض للمعونة انما يجرح شعور شخص فى كفاءتك ·· فبدلا من ذلك ، أقدم لك شيئا قد يروق لك ·· »

وألقى يده على كتف الاخ الاصغر للكولونيل جيرالدين وقال : « هذا أحد رجالى ، وهو يتوق الى القيام بجولة قصيرة فى أوربا ، وانى لأسألك ـ كجميل منك ـ أن تصحبه ·· »

ثم استطرد وقد بدل من لهجته : « هل ·· هل تحســن الرماية بالمسدس ؟·· انك قد تحتاج لذلك ، فعندما يســافر رجلان معا ، يحسن أن يكونا متأهبــين لكل شىء ·· ودعنى أضيف الى ذلك انك اذا فقدت مستر جيرالدين الشاب أثنــاء الطريق ـ فى أية مصادفة ـ فستجد دائما أحد رجالى يعــرض

عليك صحبته ٠٠ وقد عرف عنى ، ياسيدى الرئيس ، اننى بعيد النظر ، طويل الذراع »

وبهذه الكلمات ـ التى نطق بها الامير فى أقصى صرامة ـ اختتم حديثه !

وفى الصباح التالى ، عين أعضاء النادى فى أعمال مناسبة ، وزودوا بالمال بفضل سخاء الامير ، بينما انطلق الرئيس فى رحلته تحت اشراف مستر جيرالدين الشاب ، واثنين من أوفى خدم الامير وأكثرهم خبرة ومرانا ٠٠

وفوق هذا ، عين مندوبون ـ يمكن الركون اليهم فى كتمان السر ـ فى دار النادى القائمة فى «بوكس كاورث» ، وأصبحت جميع الخطابات الواردة الى نادى الانتحار تفحص بواسطة الامير فلوريزل شخصيا ، وجميع زائرى النادى وموظفيه يستجوبون أمامه كلما اقتنص واحد منهم !

الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

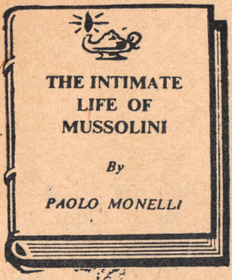
فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : « ديفاليرا » .. و « غاريبالدى » .. و «لويس باستير» .. و«اميل زولا» .. و«ماركونى» .. و«تشايكوفسكى» .. «فمصطفى كمال» .. ثم «شوبان» .. و«جى دى موباسان» و«مختار» و «تشارلس ديكنز» وأخيرا «بيتهوفن» .. وهم من هم من العظماء فى السياسة، والطب ، والادب ، والاختراع .. والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى سيرة زعيم ايطاليا الفاشية السابق «موسولينى» بما له وما عليه ، وفى حياته العامة والخاصة !

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، شيللى ، براوننج، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه ، ارسطو .. بوذا ، كونفشيوس .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، جوته ، اديسون ، فورد .. بلزاك ، والتر سكوت ، ديماس ، دستويفسكى .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، رفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

حياة

موسوليني



للكاتب الإيطالي المعاصر

"پاولو مونيللي"



زعيم .. فى الميزان

◆ أيا كان حكمك له أو عليه ، فالذى لا ينكره على موسولينى منكر انه خلق ايطاليا الحديثة ونقلها من دولة صغيرة من دول المرتبة الثانية أو الثالثة ، الى دولة كبرى وقفت مع ألمانيا وانجلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة موقف الند للند أكثر من عشر سنوات قبل هزيمتها فى الحرب الاخيرة !

ولن يغض من عظمة موسولينى أو مكانته فى التاريخ أنه أخطأ فزج ببلاده فى الحرب التى أفقدتها كل ما كان قد كسبه لها من مجد ، وسؤدد ، ورخاء .. ومستعمرات ! فما كان هو بأول سياسى يخطىء - مخلصا - ولن يكون الاخير ! .. ولقد أخطأ هتلر مثل خطئه فلم ينكر أحد عليه عظمته .. وأخطأ من قبلهما نابليون فلم يقل انسان أن هزيمته تغض من عظمته أو تمحو أمجاده !.. ولو شاءت الاقدار أن يهتز ميزان النصر والهزيمة فى يدها هزة بسيطة فيتغير وجه التاريخ ، وينتهى ذلك الصراع الجبار الى نتيجة عكسية .. لما استطاع أحد أن ينكر على أقطاب الحلفاء أو قوادهم الافذاذ نواحى عظمتهم التى أظهروها واستحقوها فى ماضيهم القريب أو البعيد ..

الكتاب ومؤلفه ..

◆ والكتاب الذى أقدم لك ملخصا وافيا له فى الصفحات التالية هو أحدث وأكمل دراسة لموسولينى نشرت منذ دخل فى ذمة التاريخ .. وقد تناولته بالتعليق أقلام نقاد الصحف العالمية جميعا طيلة الاشهر الثلاثة الماضية التى انقضت على صدوره .. وهو وان توسع فى تأريخ حياة موسولينى « الخاصة » وتحليل شخصيته ، أكثر مما تناول حياته العامة - ولا سيما فى النصف الثانى من سنى عمره - الا أنه لم يغفل مراحل جهاد الزعيم الايطالى وماضيه الوطنى الطويل الحافل بالتضحيات ..

ومؤلف الكتاب - « باولو مونيلى » - صحفى ايطالى ولد سنة ١٨٩٤ ، وعمل محررا فى صحيفة « جازيتا دل بوبولو » ، ثم مراسلا حربيا لصحيفة « ال كوييرى ديلا سيرا » .. وقد استقى مادة الكتاب من جميع المصادر التى كانت على اتصال بموسولينى فى مختلف مراحل حياته ، فجاء بحثه جامعا ممتعا بحيث استحق من « جمعيـــة الكتاب » الانجليزية BOOK SOCIETY المعروفة أن تزكيه لقرائها !

أحلام الدوتشي بدخول مصر !

◆ وقد صدر المؤلف كتابه بمقدمة أشار فيها الى آخر مرة رأى فيها موسولينى ـ فى يوليه سنة ١٩٤٢ ـ وكان ذلك فى ليبيا ، حين كان هو يمثل صحيفته كمراسل حربى لها يرافق جيوش المحور أثناء زحف روميل الى العلمين، وعلم ذات يوم بوصول الدوتشى سرا الى احدى قرى برقة ، واقامته فيها فى انتظار شن الهجوم النهائى على الاسكندرية ودخوله مصر ظافرا ! وكان قد سبقه الى (درنة) مندوب الحكومة الايطالية الرسمى الذى أعد ليعين حاكما على مصر بمجرد دخولها ٠٠ تصحبه حاشية من ستين شخصا صدر أمر الى (ترزى) بالجيش ليعد لهم ـ فى ظرف ٢٤ ساعة ! ـ سترات بيضاء تناسب طقس مصر !

ومن الطريف انه بمجرد وصول موسولينى الى برقة توقف كل استعداد للهجوم الجديد (نتيجة لازدياد نشاط غواصات الحلفاء واغراقها لاكثر ناقلات البترول التى كانت فى طريقها الى جيش روميل) ٠٠ على أن غرابة هذه المصادفة جعلت الجنود يتناقلون شائعة مؤداها أن موسولينى ذا « عين شريرة » ولا شك ، وان هذه « العين » هى المسئولة عن تحول دفة الموقف فجأة من النقيض الى النقيض !٠٠ واستدلوا على نظريتهم وايمانهم بنحس الطالع الذى أصابهم منذ وصول الدوتشى ، بحادث حلاقه الخاص الذى حضر فى ركابه والذى اصطدمت طائرته بالارض عند هبوطها فمات لساعته !

٠٠ وبعد أن قضى موسولينى فى برقة ثلاثة أسابيع ـ تبخر خلالها كل أمل فى دخول مصر ولاحت نذر الهزيمة المحتومة ـ عاد الدوتشى الى روما كسير الفؤاد ، وبلغ من كمده أنه سقط صريع المرض على أثر عودته فلازم الفراش أياما !

والآن تعال معى نطالع الكتاب من أوله :

ابن الحداد

◆ **ولد** « بنيتو موسولينى » فى الثامن والعشرين من شهر يوليو سنة ١٨٨٣ (بقرية « دوفيا » الملحقة ببلدة « بريدابيو » فى ظلال جبال « ابنين ») لام كانت مدرسة ، وأب كان حدادا ٠٠ ولكن حداد لم تشغله حرفته عن أن يكتب للصحف الاشتراكية المحلية ! وقد سمى ابنه « بنيتو » تيمنا باسم « بنيتو جواريز » الثائر المكسيكى المشهور !

ولعل الشظف الذى أحاط بحياة موسولينى فى صغره ، يفسر الكثير من تصرفاته فى كبره ٠٠ كانت مدرسة أمه الصغيرة ، وحانوت أبيه ، ملحقين بغرفتين صغيرتين كانت الاسرة تنام ، وتعد طعامها ، وتأكله فيهما !٠٠ وكان الاقارب من الفلاحين الثراة يعجزون عن فهم حذلقة المعلمة ، وجهود الحداد فيما لا علاقة له بعمله ، ولكنهم لم يكونوا يبخلون بدعوة أفراد الاسرة الى مآدب يظلون يذكرون لذة ما يقدم فيها من طعام شهى ، أمدا طويلا !

ذلك لان الخمسين ليرة التى كانت تكسبها أم موسولينى فى الشهر ، لم تكن تهيىء للاسرة طعاما يستمرأ ٠٠ فكان حساء الخضر قوام وجبة الغداء ، والفجل قوام وجبة العشاء ٠٠ اما اللحم فلم تكن الاسرة تحظى به الا فى يوم الاحد من كل اسبوع، حين تشترى الام نصف كيلو جرام منه ، فتسلقه لتجعل من المرق لونا من الطعام !

وعندما التحق « بنيتو » بمدرسة للرهبان فى « فاينيزا » ، عانى من شدة النظام الذى كان يفرض على الطلبة ، وتعود أن يكره أبناء الاغنياء ويحسدهم لانهم كانوا يحظون بمعاملة أفضل !٠٠ ولم يتخذ من الاصدقاء سوى صبى اشتهر برواية فاحش القصص والاشاعات ، واعتاد أن يزهو بضخامة رأسه وصلابته ، فكان بنيتو يلهو بدق رأسه بحجر٠٠ على أن الصبيين عقدا فيما بينهما ميثاقا : أن يعين من يصيب منهما توفيقا صاحبه ، ويأخذ بيده ٠٠ وفعلا ساعد موسولينى ـ حين صار على رأس الحكومة ـ صاحبه فأتاح له عملا وأمده بالمال ٠٠

ومع ان « بنيتو » كان ينفر من النظام الا انه كان طموحا ، تواقا الى الرقى والظهور ٠٠ فكان فى العطلات يتأنق فى ملبسه ـ بقدر ما تسمح له ظروفه المحدودة ـ ليلفت أنظار الفتيات ! ٠٠ وكان ـ قبل أن تحمله السياسة على أن يزهو بنشأته

المتواضعة ـ مثالا لابناء الطبقة المتوسطة ، ولوعا بأن يبدو فى ثياب المدرس المحترم ٠٠ الميسور الحال

وكان منذ طفولته يحلم بالمجد والسلطان ٠٠ حتى لقد قال لامه مرة : « لسوف أهز العالم بأسره ! » ٠٠ فاستمعت اليه فى سرور مازجه اليأس والاسى ٠ وكان يحلو له أن يصف نفسه بأنه « وغد قلق ، شرس ، محب للعدوان ٠٠ ولص ريفى جرىء » ! ٠٠ ولا يزال رفاقه يذكرون كيف كان يسعى دائما لان يكون له نصيب الاسد مما يصيبون من غنائم فى غزوات السرقة ٠٠ وكيف كان يتشاجر معهم اذا لم ينل بغيته !

شغفه بالنساء منذ حداثته !

◆ **واذ** بلغ « بنيتو » السادسة عشرة ، التحق بمدرسة للمعلمين ، وكان لا يزال متمردا على النظام ، وقد شغف بمغازلة الحسان ، وراح يقضى أمسياته فى المراقص الرخيصة ٠٠ ولكنه مع ذلك كان مجدا ، مقبلا على العلم ، حتى انه كان يعتبر من خيرة طلبة فصله ٠٠ وكان مشغوفا بالقراءة ، يلتهم كل ما يقع تحت يده من كتب وصحف ٠٠

وكان يهيم بالنساء من تلك السن ، وقد تمادى فى علاقته بفتاة من صويحباته تدعى « فرجينيا » ، وصفها فى مؤلفه عن حياته بأنها كانت كريمة ، ذات جمال متوسط ٠٠ ثم وصف زلته معها بقوله :

« ٠٠ وفى ذات يوم ، اصطحبتها الى غرفتى ، فدفعتها الى ركن خلف الباب ، واعتديت عليها ٠٠ فنهضت كسيرة النفس ، دامعة ، وأخذت بين شهقاتها الباكية تسبنى ، قائلة اننى اعتديت على شرفها ٠٠ وقد يكون هذا محتملا كل الاحتمال ، ولكن ٠٠ أى شرف ؟ »

ولم يدم سخط الفتاة طويلا ، فما لبثت أن صارت خليلته لمدة أشهر ثلاثة ٠٠ ومع ذلك فقد كانت له فى تلك الفترة غراميات

أخرى عديدة ، ويبدو أنه كان فى كسب ود الفتيات يستغل الحيلة الابدية المألوفة : الوعد بالزواج !٠٠ فلقد كتب فى كتابه « سيرتى » ـ الذى سرد فيه تاريخ حيـــاته ـ انه حين عين كمدرس مؤقت فى مدرسة ريفية ببلدة « جوالتييرى » ، هجر « خطيباته » ٠٠ بالجملة !

وتهامست فتيات « جوالتييرى » عند وصوله : « ها قد جاء الرجل الاسود » ، اذ كان يرتدى قبعة سوداء واسعة الحواف ، وربطة عنق سوداء عقدها على شكل « فيونكة » ٠٠ وراقبتـه الفتيات فى استمتاع وخوف ـ فى آن واحد ـ ورحن يتهامسن : « انه يحمل دائما سكينا ! » ٠٠ أما هو فقد أعرض عنهـــن وجفاهن ٠٠ ولكنه سرعان ما وقع على خليلة ارتاح اليهـــا ٠ وكانت شابة فاتنة ، ممتعة ، فى العشرين من عمرها ٠٠ زوجة لجندى كان واجبه قد حمله بعيدا عنها ٠٠ فلم تنقض أسابيع قلائل حتى كان هذا الهوى الآثم حديث البلدة كلها ، وسرى الى أذنى الزوج ٠٠ فأرسل لاهله يسألهم أن يلقوا بالزوجة الخائنة خارج داره !

وبعثت الفضيحة فى الشاب الذى لم يتجاوز الثامنة عشرة ـ « بنيتو » ـ غرورا واعتدادا برجولته ٠٠ ومما كتبه عن هذا الغرام : « كان هوانا مطبوعا بالعنف والغيرة ٠٠ وكنت أفعل بها ما شئت » ٠٠ فكان يقسو فى معاملتها ، ويعذبها ، ويجرب معها شهوته الى السلطان والحكم ٠٠ حتى لقد غرس يوما نصل مديته فى لحمها حتى المقبض !

وكان فى أيام الآحاد يذهب للرقص ، وما لبث أن انضم الى جماعة من « البلطجية » كانوا يجتاحون مراقص القـــرية ويحملون الغنائم قسرا ، ويخوضون فى سبيل ذلك المعارك ٠٠ واعتاد موسولينى أن يشق طريقه وســـط العراك بالركل و « ضرب الكراسى » !!

الجوع ٠٠ والمرض ٠٠ والحرمان !

◆ **وعندما** انتهى عقد عمله فى « جوالتييرى » - فى يونيو سنة ١٩٠٢ - قرر أن يهاجر الى سويسرا ، حيث أقام حتى سنة ١٩٠٤ ، اقامة متصلة لم يقطعها الا فى فترات قلائل ٠٠

وكان هذان العامان حافلين بمغامرات ممتعة للشاب ، راق له أن يكسوها بالخيال والمبالغة ٠٠ فخلق من بضعة أيام تعرض فيها للجوع ، وليلة نامها تحت أحد الجسور ، وأسابيع قلائل اشتغل فيها كعامل ثم كصبى يحمل طلبات عملاء أحد تجار الخمور والبدالة ٠٠ خلق من ذلك قصة راحت تنمو وتتضخم فى ذاكرته ، حتى انقلبت « زمنا طويلا حافلا بالجوع والاسى ، والمرض ، والحرمان ، والنبذ ، والقسوة على النفس! » ٠٠ الخ - والواقع انه لم يكد يقضى بضعة أسابيع فى سويسرا حتى كان قد وفق الى كسب قوته من الكتابة للصحف والعمل فى احدى نقابات العمال ، كمنظم وداعية ٠٠ وقد وصفته الكاتبة «انجليكا بالابانوف » - التى التقت به فى جنيف سنة ١٩٠٤ - بأنه كان متهوسا ، شديد الانفعال ، زنديقا ٠٠ ومع كراهيته الشديدة لكل نوع من الامتيازات التى تفرق بين الطبقات ، الا أنه كان يأبى أن يعتبر من العمال أو الطبقة الكادحة ، بل كان يؤمن بأنه مثقف ، وزعيم ٠٠ وكان الفارق الكبير بين حاله وأحلامه يوحى اليه بالمغالاة فى الرثاء لنفسه ، وبالمبالغة فى تصوير انعدام العدالة الاجتماعية !٠٠ **وشعرت الكاتبة بأن اشتراكيته، ونزعته الثورية ، وعداءه لرجال الدين ، وتطرفه ، ليست سوى نتائج لبيئته الاولى ٠٠ فهى جماع التأثر بأبيه ، والشعور بالنقص ، والرغبة فى أن يثأر لنفسه من آلاف العوامل - الشعورية واللاشعورية - التى كانت تحز فى أعماقه ، ومنها نقمته على جده الذى كان موسرا ثم بدد أراضيه ٠٠ وعلى ناظر مدرسته الذى كان يضحك منه فى سخرية قاسية ٠٠ وعلى**

رئيسه ـ فى أحد الاعمال التى مارسها ـ اذ كان لا يفتأ يتهمه بالكسل ٠٠ وعلى مواطنيه الذين كانوا يتأففون حين يبذلون له المساعدات ٠٠ وعلى الحراس الذين ألقوا القبض عليه يوما لانه كان ينام تحت أحد الجسور !

وفى أواسط نوفمبر سنة ١٩٠٤ عاد الى وطنه ، مقصيا عن سويسرا بأمر رسمى ٠٠ فلم يلبث أن دعى للخدمة العسكرية ٠٠ ولحق به ملف خدماته ، فاعتبر من الفوضويين الحمر ـ الشيوعيين ـ بيد أنه لم يلبث أن برهن على استعداده لتقبل النظم العسكرية والانصياع لها ٠٠

وعند تسريحه فى سنة ١٩٠٦ عاد الى « بريدابيو » ، حيث التقى ثانية بأصدقائه الاشتراكيين ، وأقبل على الحركة الاشتراكية متحمسا ـ حتى لقد قبض عليه مرة ، وقضى عليه بالسجن لعشرة أيام ، ثم وضع تحت رقابة البوليس ٠٠

افراطه فى الشراب والمجون !

◆ **وفى** خريف ذلك العام ، كانت له فضيحة جديدة مع احدى المدرسات ـ فقد كان يهيم دائما بالمدرسات ، ولعل ذلك انعكاس لتأثره بشخصية أمه ! ـ على أنه لم يلبث أن عين مدرسا باحدى المدارس الاولية فى « تولميتزو » ٠٠ ولكنه فشل فى عمله كمدرس ، فآمن بأنها ليست المهنة التى خلق من أجلها ٠٠ لا سيما بعد أن أخفق فى أن يؤدب غلاما اعتاد أن يهدد زملاءه بالضرب ، ويرميهم بسنون ريش الكتابة !

وأخذ موسولينى يفرط فى الشراب ، ويوغل فى مغامراته الغرامية العنيفة ، حتى لقد كان يتعرض دائما لمشكلات وفضائح حين تدفع الغيرة عشيقاته الى الثورة على « لويجيا » صاحبة النزل الذى كان يقيم فيه ، وصاحبة الاثرة لديه !

وكان يجتذب أنظار الفتيات والنساء ـ كما كان حاله فى « جوالتييرى » ـ بثيابه السوداء ، وبانطلاقه فى الشوارع عارى

الرأس ، هائما ، وفى يده كتاب أو صحيفة يلتهم سطورها٠٠ وكان يتسلى بأنواع من العبث الصبيانى : كالتربص فى الخرابات لاخافة المارة ، وتشويه الاشعار المكتوبة على القبور ! ٠٠ ولم يكن ليحجم عن أن يتعرض لاية امرأة مليحة تصادفه٠٠ كما كان يخيف تلاميذه بالدق على المكتب بقبضته ، والتحديق فيهم بنظرات فظيعة ، وسبهم بأقذع الشتائم ، حتى صاروا يسمونه : « الطاغية » !٠٠ وقد وصف الفترة التى قضاها فى « بولميتزو » بأنها « عام من التداعى والانهيار الخلقى ! » ٠٠ فقد كان خلاله يعيش ثملا من يوم السبت الى يوم الاثنين من كل اسبوع ، متنقلا من حانة الى حانة ، معاقرا الخمر أينما حل ٠٠ وكان يهيم فى الطرقات يغنى ويصرخ ٠٠ ولا يفيق غالبا الى نفسه الا وهو ملقى فى مدخل احدى الدور ، أو فى قسم البوليس !

رفضته لتتزوج حفارا للقبور !

◆ **وفى** أواخر سنة ١٩٠٧ عاد الى أبيه ، الذى كان قد أنشأ نزلا مع أرملة تدعى «سنيورا جويدى» ٠٠ وكان للارملة بنات أخذت تضمهن الى كنفها واحدة بعد أخرى ، فبدأت «بأوجستا» أولا ، ثم «بينا» ، ثم «راشيل» ــ التى غدت فيمابعد زوجة لموسولينى ! ــ على أنه هام فى البداية ، فى صيف سنة ١٩٠٨ ، بحب أختها «أوجستا» ، فكان يوزع وقته بين خدمة رواد حانة أبيه ، وبين العكوف على القراءة فى مكتبة البلدة ، وبين التغزل فى الفتاة !٠٠ ولكن «أوجستا» أعلنت للاشتراكى «نزيل السجون» صدودها ٠٠ فكانت كلما ألح فى مطاردتها ، ازدادت تمنعا واعراضا ، حتى انتهى بها الامر الى أن تزوجت من عامل زراعى اضطر للعمل كحفار للقبور ، كى تتخلص من العاشق اللحوح !

وغاظه هذا التصرف من «أوجستا» فتحول الى أختها الصغرى «راشيل» ، التى لم تكن قد تجاوزت السادسة عشرة ، ولكنها

كانت ناضجة الفتنة ٠٠ وعارض والد بنيتو وأم «راشيل» فى زواجهما ، ولكن الشاب عمد الى حيلة تمثيلية ظريفة ، اذ صحب الفتاة لمشاهدة احدى المسرحيات ، حتى اذا عادا فى نهاية السهرة ، شهر مسدسا فى وجوه المعارضين وصاح مهددا : « اذا لم تزوجونى اياها ، ففى هذا المسدس ست طلقات ٠٠ واحدة لها وخمسا لى » !

وأثمرت الحيلة ثمرتها ٠٠ وهكذا انتقل الشابان الى مسكن منفصل ، عاشا فيه : «دون رباط رسمى ، مدنيا كان أو دينيا» ، كما اعترف موسولينى فى سيرة حياته !٠٠ ويقول « آلدو بارينى » ــ وكان من أقرب أصدقائه ــ ان المسكن كان يتألف من حجرتين فى الطابق الارضى تنضحان بالرطوبة ، احداهما للنوم والجلوس ، والاخرى للمطبخ ٠٠ وكان «بارينى» كثيرا ما يجد «راشيل» فى ساحة الدار تغسل الثياب ، فاذا سألها عن زوجها ، أجابته فى أغلب الاحيان : « ان السيد فى الخارج» ٠٠ ويسألها : الى أين يذهب ؟ فتجيبه : « لست أدرى ٠٠ فهو لا ينبئنى قط بما يفعل » .

اشتغاله بالصحافة والسياسة ٠٠

◆ **وفى** تلك الآونة عين موسولينى سكرتيرا لفرع الحزب الاشتراكى فى اقليم «فورلى» ، ورأس تحرير صحيفة « لوتا دى كلاسى » ــ أو صراع الطبقات ــ وهى صحيفة اشتراكية كان شعارها : « الاشتراكية حرب ، وفى الحرب لا مجال لذوى العواطف الانسانية » !

ورزق « موسولينى » بابنته ايدا فى سنة ١٩١٠ ٠٠ **ثم انغمس فى النشاط الاشتراكى ، وأخذت ميوله الثورية تشتد ٠٠ حتى اذا أصرت الحكومة على احتلال ليبيا ، أثار معارضة شديدة ضدها ، وكتب مقالات نارية ، أخذ يردد فيها أن ايطاليا فى حاجة الى « حرب الطبقات » لا الى « حروب استعمارية » ،**

وان هدف الاشتراكيين أن تكون ايطاليا « راقية ، غنية ، حرة » ، لا أن تكون مترامية الاطراف ، شاسعة الرقعة !٠٠ ثم ازداد عنفا فى حركته ، فقاد العمال من ٢٥ الى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١١ فى اضرابات واضطرابات ٠٠ انتهت بأن سجن خمسة أشهر !

وفى مؤتمر الحزب الاشتراكى سنة ١٩١٢ ، سادت الغلبة للمتطرفين اليساريين ، وتوطد مركز موسولينى كزعيم لهم ٠٠ كما تولى فى أول ديسمبر من ذلك العام رئاسة تحرير صحيفة « افانتى » ـ لسان حال الحزب الاشتراكى ـ فاذا مقالاته النارية تكسبها رواجا وازدهارا ، وتكسبه شهرة أغرته فى سنة ١٩١٣ بأن يصدر مجلة « يوتوبيا » ٠٠ وفى الصحيفة والمجلة ، راح يقول أن ايطاليا فى حاجة الى « حمام من الدماء » يتولى الحكم بعده الاشتراكيون !

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، أخذ « موسولينى » يدعو الى حياد ايطاليا ، ويهدد الحكومة بالثورة اذا انضمت الى النمسا أو ألمانيا ٠٠ حتى اذا رأى أصدقاءه النقابيين ينحازون الى صف الحلفاء ، بدأ يتنحى عن رأيه فى الحياد ، ثم انقلب يدعو للحرب فى صفوف الحلفاء ٠٠ ولكنه اضطر فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٤ الى ترك رئاسة تحرير « افانتى » ، ثم الى ترك الحزب الاشتراكى الذى أبى أن يقره على أن دخول ايطاليا الحرب كفيل بأن يعجل بالانقلاب الاشتراكى ٠٠

ولم ينقض عشرون يوما حتى كان قد أصدر الجريدة التى قدر لاسمها أن يلصق باسمه فى التاريخ : « البوبولو ديتاليا » ـ أو الشعب الايطالى ـ وكانت اشتراكية ، جعل شعارها « من كان عنده الحديد، توفر له الخبز »، و « الثورة فكرة وحربة ! » ٠٠ وفى جريدته الجديدة واصل دعوته لدخول ايطاليا الحرب فى صف الحلفاء ، اقتناعا منه بأن الحرب ستساعد على تخفيف الفوارق بين الطبقات ، واتاحة الفرص للعمال والكادحين ٠٠

وتبعه نفر من الاشتراكيين ، أنشأ معهم أول جمعية فاشية ثورية ، هى « فاشى داتسيونى ريفوليو تسيوناريا » ٠٠ وفى اجتماع كبير للجمعية عقد فى ٢٥ يناير سنة ١٩١٥ راح يهيب بايطاليا أن تعلن الحرب ضد ألمانيا والنمسا ، وازداد عنفا فى اثارة الخواطر حتى ألقى القبض عليه بعد ثلاثة شهور ٠٠ ولكنه لم يسجن سوى أيام معدودة ، عاد بعدها الى نشاطه ٠٠ فألقى فى ١٥ مايو خطابا قال فيه : « اذا لم يقد الملك ايطاليا الى الحرب ، فلن تلبث أن تشب نار ثورة جمهورية ! » ٠٠ وأثمرت الصيحة ثمرتها ، فلم تمض تسعة أيام حتى دخلت ايطاليا الحرب فى صف الحلفاء !

زواجه من خليلته ٠٠

ودعى موسولينى الى الخدمة العسكرية ، فقضى فيها ثمانية عشر شهرا ٠٠ ولكنه لم يشترك فى القتال قط ، اذ جرح أثناء التدريب ، فقضى شطرا من المدة تحت العلاج ، وشطرا فى النقاهة ٠٠ وأتاح له ذلك أن يكثر من التردد على داره ٠٠ وفى احدى زياراته – فى أواخر سنة ١٩١٥ – عقد زواجه مدنيا على « راشيل » ، وهى حامل فى ثانى أطفالهما !!

وفى سنة ١٩١٧ انفجرت فى يده قنبلة ، فأصيب بجراح بالغة ، سرح من أجلها من الجيش ٠٠ فعاد يرأس تحرير « البوبولو ديتاليا » ، وأخذ يشن حملات عنيفة على الحزب الاشتراكى الذى كان يدعو الى السلام ٠٠ واذ كان الحزب يناصر العمال فى اضراباتهم ، فقد رأى بعض الموسرين فى « موسولينى » خير أداة لهدمه ، فساعدوه على أن ينشىء فى ميلان « الحركة الفاشية » التى كانت تدعو الى دستور جديد ، والى عدم قبول مشروع « عصبة الامم » ما لم يكن لمطالب الشعوب الفقيرة اعتبار لدى الشعوب الغنية ٠٠ ولكى يجتذب العمال من الحزب الاشتراكى ، دعا موسولينى الى الاعتراف بحق

العمال والفنيين فى الاشتراك فى ادارة المصانع ·· ولكنه لم يفلح فى اجتذاب النقابيين ، وفشل حين رشح نفسه لعضوية البرلمان فى ميلان ، على مبادىء الحركة الفاشية ··

وعندما احتل « دانونزيو » فيومى فى سنة ١٩١٩ ، ناصره موسولينى في صحيفته وفى خطبه · ولكنه رفض أن يساعده بقوات مسلحة فى سنة ١٩٢٠ ، حين نتج عن القلاقل والازمات التى أعقبت الحرب أن اشتدت الاضطرابات ، وعمد العمال فى شمال ايطاليا الى احتلال المصانع ، فراح موسولينى يؤازرهم، ومع ان الحكومة استطاعت أن تخمد الحركة ، الا أنه استغل الذعر الذى استولى على رجال الصناعة والزراعة من جهـة ، والرغبة التى تملكت العمال لهدم الحكومة وبرلمانها من جهة أخرى ·· وهكذا استطاع بأموال الفريق الاول أن ينظم فرقا مسلحة من الفريق الثانى ، أخذ يوجهها الى مهاجمة منظمات الاشتراكيين · واذ كانت الحكومة بدورها تسعى للخلاص من هؤلاء ، رأحت تساعد هذه الفرق الفاشية المسلحة !

الزحف على روما !

◆ **واستطاع** موسولينى و٣٥ من أعوانه الفـاشيين أن ينجحوا فى الانتخابات فى سنة ١٩٢١ ، فقلب جمعيته ـ أو حركته كما كان يطلق عليها ـ الى حزب ·· وانضم الى الحكومة حين حاول مجلس النقابات والحزب الاشتراكى وعمال السكك الحديدية أن يسقطوها فى سنة ١٩٢٢ ، بأن سلط على المضربين فرقه المسلحة ·· وبذلك عزز جانب هذه الفرق · ثم زادها تعزيزا حين اكتسب ود الجيش بنزوله عن فكرة الانقـلاب الجمهورى !

واذ اطمأن الى قوته ، عمد فى مؤتمر للحزب الفـاشى في نابولى ـ فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٢ ـ الى تسيير فرقه المسلحة للزحف على روما !·· وهرب الى حدود سويسرا يترقب النتيجة،

مسلما القيادة لاقرب أصدقائه اليه ، وهم : «بالبو» و «بيانكى» و « دوبونو » ٠٠

ولم يقابل الزحف بمقاومة تذكر ٠٠ ورفض الملك الاستجابة للحكومة حين أرادت اعلان الاحكام العرفيـة ، فاستقالت ٠٠ ودعى موسولينى فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٢ الى تأليف الوزارة!

واذ بلغت الانباء « راشيل » ، هتفت فى دهشة : « يا له من شخصية ! » ٠٠ فما كانت تدرى شيئا عن نشاط زوجها !

وضمت الوزارة الاولى لموسولينى عددا من غير الفاشيين ، ولكنه احتفظ لنفسه بسبع وزارات تركزت فيها أهم الشئون الحيوية ٠٠ ثم أخذ على مر السنين يقصى ذوى الميول الاستقلالية من وزارئه ، ليحيط نفسه بنفر من المتقاعسين الذين يجيدون قول : « موافقون » !٠٠ وهكذا جمع السلطة كلها فى يديه ٠٠ وما لبث أن أنشأ فى سنة ١٩٢٣ « المجلس الفاشى الاعلى » فعين أعضاءه بنفسه ، وجعله أعلى هيئة فى الدولة ٠٠ كما جعل القوات الفاشية المسلحة قوات رسمية للامن فغدت جيشا خاصا له ٠٠

ورويدا ، رويدا ، نصب نفسه رئيسا للهيئتين التشريعية والقضائية الى جانب رئاسته للهيئة التنفيذية ، فانمحى الفصل بين السلطات فى الدولة ٠ ولم تأت سنة ١٩٢٦ حتى كان قد قضى على كل معارضيه ، وحقق حلمه الاكبر ، اذ صار الحاكم الاوحد الحقيقى لايطاليا ٠٠ ولم يعد للملك أى نفوذ فعلى أو سلطان !

يجعل من بيته عشا للهوى !

◆ **وكان** موسولينى يقيم فى الاعوام الاولى من الحكم بمفرده فى روما ، تاركا أسرته فى ميلان ، مستغلا فى ذلك قناعة زوجته « راشــــيل » وعدم شكواها أو تذمرها ، وكان قد بدأ يراها لا تليق ــ بثيابها الريفية ــ للظهور معه فى المجتمع !٠٠ وتملكه

فى تلك الاثناء ولع غريب بارتداء الثياب الرسمية ، كالردنجوت والسموكنج ، حتى فى أبعد المناسبات عن الصفة الرسمية ..

وقد حدث أن استدعى ذات ليلة شابة متزوجة ، كان على ود معها ، لتوافيه فى مسكنه على عجل .. فلما لبث الامر ، ألفته قد استعد للذهاب الى حفلة ديبلوماسية ، وقد أخذ يروح ويغدو أمام المرآة بسترة السهرة التى ازدان صدرها بعدد كبير من الاوسمة .. ثم ابتدر المرأة قائلا : « أردت أن أسألك رأيك فى أناقتى » .. وقبل أن تجيب ، حملها ـ وهو فى زيه الرسمى ـ وأسرع بها الى الفراش وهو يقول : « تذكرى انك فى أحضان ابن العم الريفى للملك ! »

وكان يقيم فى مسكن واسع أنيق بالطابق العلوى من بيته يطل على ميدان « تيتونى » ، لا تشاركه اياه سوى خادم فى حوالى الاربعين من عمرها ، قوية العزيمة والنفوذ ، مستبدة برأيها ، جافة الطبع .. حتى لقد أغلقت مرة باب المسكن فى وجه زوجته « راشيل » !

وأحال « موسولينى » هذا البيت الى عش للهوى ، فكان يصطحب النساء الى هناك .. ومع ذلك ، فقد كان فى البيت ركن حشد فيه مجموعة كبيرة من الرموز الدينية ، اذ كان رغم مروقه ومجونه يتشاءم من القاء ما يهدى اليه من الصلبان والتمائم والصور الدينية ..

ولم يكن بالمسكن مطبخ ، فكان الطعام يأتيه ـ اذا رغب فى تناوله فى المسكن ـ من البارون فاسينى صاحب الدار .. وكان موسولينى من قبل أكولا، شرها، ولكنه بدأ يعانى من الحموضة والقروح المعوية ، فأخذ يقتصد فى طعامه وشرابه ، ويزهو بهذا الاعتدال ، متخذا منه فرصة للدعوة الى بساطة المأكل والزهد فى الشراب !

صلف وخيـــلاء

◆ **وظلت** أخلاق موسولينى جافة ، نابية ، حتى النهاية ٠٠ فقد كان لا يخاطب وزراءه وزعماء حزبه الا كما يخاطب الخدم، وفى غير ما تلطف أو أدب !٠٠ وازدادت جفوته وتعاظمـــه بازدياد سلطانه ، حتى قل اتصاله بالناس ، وتضاءل عـــدد أصدقائه ٠٠ ولكنه لم يتسم قط بالقسوة والطغيان الا فى بعض الاحيان ، بعد سنة ١٩٤٣ ٠٠ وانما كان عديم الذوق أكثر منه قاسيا ٠٠ مؤذيا أكثر منه شريرا ٠٠ وقحا أكثر منه خبيثا ٠٠ لا سيما مع أولئك الذين يقر فى نفسه بأنهم أعداء له !٠٠ أما مع المقربين اليه فكان لطيفا ، سهل الرضى ، وان أباح لنفسه حق زيارتهم فى دورهم فى أية ساعة من الليل أو النهار !٠٠ **وكذلك كان مع الغرباء ومع الجماهير ، ودودا ، بشوشـــا ، سخيا ٠٠ وان كان سخاؤه على حساب خزانة لحكومة !٠٠ فهو مذ صار رئيسا لتحرير « البوبولو ديتاليا » لم يكن يحمل مليما واحدا فى جيبه ، اذ كان مرتبه من الصحيفة يرسل الى زوجته ٠٠ بينما كانت نفقاته الصغيرة تدفع من قروض يحصل عليها من أصدقائه ، أو من المصاريف النثرية للصــحيفة** ٠٠ وقد استمر على هذا النهج ــ تقريبا ــ بعد توليه رئاسة الحكومة ، وأخذ شعوره بالسلطان يزداد ويستفحل حتى غدا يعتقد أنه الدولة ، وان أموالها أمواله ، وان نفقاته الخاصة يصح أن تعتبر من نفقات الحكومة ٠٠ وهكذا ظل ــ حتى بعد سقوطه ــ لا يدفع شيئا من جيبه لمأكل أو مشرب أو أى شىء !

يطمع فى الحبشة

◆ **وفى** تلك الاثناء ، بدأت تتملكه الافكار الاستعمارية ٠٠ لا سيما عندما اشتدت الازمة العالمية فيما بين سنتى ١٩٢٩ و١٩٣٢ ، اذ آمن بأن الضائقة والاضطرابات الاشتراكية كفيلة

بأن توهن الدول الديموقراطية فتنهار ، واذ ذاك تصبح مستعمراتها لقمة سائغة ..

.. حتى اذا كانت سنة ١٩٣٢ ـ وكان قد غدا يرى نفسه فوق البشر ، بل نصف آله ـ تملكته الرغبة فى الاستيلاء على الحبشة .. وفى تلك الايام استفحلت ديكتاتوريته ، حتى كان يترفع عن الاتصال بالبشر خارج نطاق مهامه الرسمية .. بل كان يأنف حتى من أن يقترب منه حراسه فى رحلاته !.. فلم يكن يسمح لاحد بأن يقربه اللهم الا « شيانو » ـ سكرتير الحزب وزوج ابنته ـ ووصيفه الخاص الذى كان يخلع حذاءيه عن قدميه حين يأوى الى فراشه ..

وفي تلك الفترة أيضا ، بدأت حياته الخاصة تخضع لعوامل عاطفية لم يكن له قبل بها من قبل .. فكان حبه لكلاريتا بيتاتشي حبا مشبوبا ، صادقا ، لا يشبه فى شيء غرامياته السابقة .. ولادراك ذلك ، يحسن أن نستعرض طرفا من علاقات موسولينى مع النساء ..

طوفان من النساء

على الرغم من كثرة ما قيل عن شهوة موسوليني الجارفة نحو النساء ، الا أنه كثيرا ما كان يرعى الوفاء ، فيخلص للعشيقة التى يصطفيها أمدا من الزمن .. على أنه الى جانب ذلك ، كان يستقبل عددا لا حصر له من النساء اللائى يسعين اليه لينصفهن أو يعينهن أو ليستعطفنه فى أمر من الامور .. وكان يستقبلهن فى العادة دون أن يتأثر بعاطفة ما .. ولكنه كان يصادف بينهن أحيانا امرأة ذات فتنة غير عادية، فكان ذلك يستثير شهوته الى درجة تجعل المرأة غير قادرة على المقاومة لفرط دهشتها ، وذعرها ، وخوفها من منصبه ونفوذه !

كذلك كانت تسعى للقائه نسوة يطمعن فى اجتذابه عامدات! ولكنه نادرا ما كان يحفل بهن ، على العكس مما كان يخيل لكلاريتا فى سويعات الغيرة .. وان كان يحلو له أحيانا أن

يزهو ويتفاخر أمامها بانتصاراته فى الهوى « ليوقفها عند حدها » !

وكان فى تلك الايام يستقبل زائراته فى غرفة الخرائط بقصر « فينتسيا » ٠٠ وهى غرفة ليس فيها من أثاث سوى بضع وسائد كست مقعدا حجريا تحت النافذة ، وسجادة ، ومكتب ، وحامل يعلوه أطلس للخرائط ، ومقعدين وثيرين كبيرين ٠٠ وكان يحتفظ بسجل دقيق لهذه الزيارات ، ويحدد موعدها بالدقيقة ٠٠ وكان يعطى العشيقة الاثيرة لديه رقم تليفونه السرى ، فاذا ملها ، غير الرقم دون أن يخطرها ٠٠ واذا زارته احداهن على غير موعد ، وكانت لديه غيرها ، قال لها : « لا بأس ٠٠ ولكن ، يجب أن تنتظرى فى الخارج » !

ولقد اشتهر موسولينى بأنه بدائى ، همجى ، فى غرامياته الجنسية ٠٠ فكان يبدى كل صنوف القسوة والوحشية ، ويسب ويلعن ٠٠ لكنه يمزج فى كل ذلك بحنان وغزل رقيقين !!

وكان يحب من النساء أن يتعطرن ، وان لم يفتأ يقول لكلاريتا: « أحب فى النساء أن يكن على حالهن الطبيعية »٠٠ كما كان يكره من النساء أن يدخن أمامه ٠٠ ولم يعرف عنه انه كان يمنح عشيقاته هدايا ما ، اللهم الا من كن يطلبن منه نقودا ٠٠ فكان يحتفظ ببعض النقود فى درج للطوارىء !٠٠ كذلك لم يكن يميل للراحة فى أويقات الهوى ، ويكره أن يرقد ناعما فى أحضان امرأة ٠٠

وكان يحب جميع أنواع النساء ٠٠ سواء كن معتدلات الجمال أو فاتنات ٠٠ وكانت بنات الطبقة الوسطى مفضلات لديه على الارستقراطيات ، وان اتخذ من بعض هؤلاء الاخيرات عشيقات ٠٠ كذلك كان أكثر شغفا بالمثقفات ، الذكيات ٠٠

وكانت جميع عشيقاته ــ تقريبا ــ ممن تجاوزن الخامسة والعشرين ، ان لم نقل ممن بلغن أوسط العمر ٠٠

« المرأة التى ذهبت معه الى القبر !



◆ **جرت** كل المقابلات الاولى بين « موسولينى » و « كلاريتا بيتاتشى » فى غرفة الخرائط بقصر « فينيتسيا » حيث اعتاد أن يقابل سواها – ولكنها كانت مقابلات « شاعرية » ، فكانا يجلسان على المقعد الحجرى تحت النافذة ، يشهدان الشفق عند الغروب ، ويتبادلان الاحاديث العاطفية ، الرقيقة ..

وكانت «كلاريتا» اذ ذاك – فى سنة ١٩٣٦ – فى الرابعة والعشرين ، وقد انفصلت عن زوجها .. وكانت جميلة ، رشيقة ، مجعدة الشعر ، سوداءه ، يمتزج فى عينيها اللونان الاخضر والرمادى .. وكانت أسنانها قصيرة ، فكانت اذا ابتسمت حرصت على أن لا تنفرج شفتاها الا قليلا ، كى لا تبدو لثتها .. وكانت ممشوقة القوام ، فائرة الصدر ، جميلة الساقين ، ذات جسم ناعم ، ينضج بالانوثة .. وصوت خافت، دافىء ، تشوبه بحة خفيفة ، فكأنما هو ضراعة وتجرد وتعبد !

وكانت مفتونة بموسولينى من صغرها .. كان رجل أحلامها، وكانت تحتفظ بصورته تحت وسادتها ، وتحرص على أن تشبع عينيها بنظرة اليه فى الحفلات العامة والمواكب .. وتقرأ كل ما يقع فى متناولها عنه .. وبعبارة أخرى كان أول حب حقيقى لها ، وما كانت لتضن فى سبيله بحياتها !

وكذلك كانت هى بالنسبة لموسولينى امرأة غير كل النساء

٠٠ كان قد بلغ الرابعة والخمسين ، وعلى الرغم من صحته الظاهرة فان جراحه القديمة عادت تخزه ، والقرحة المعوية أخذت تؤلمه ٠٠ فرأى فى شباب كلاريتا ومرحها ٠٠ وضحكتها الحاضرة ٠٠ وسرعة بديهتها ٠٠ واستسلامها له فى سهولة ، ورقة ، وذلة ، واستكانة ٠٠ رأى فى هذه كلها تعويضا له عن شعوره بالكبر ، وتبديدا لوحشة السن وأنيسا يملأ عليه حياته التى خلت من الاصدقاء ٠٠

وكان لا يفتأ يدعوها اليه ، ويصر على أن يراها كل يوم ، ويأمرها أن تذهب الى الحفلات العامة التى يكون ذاهبا اليها ، ليراها على مقربة منه ويتبادل معها الاشارات !٠٠ وما لبثت كلاريتا أن أصبحت ضيفة دائمة ـ ثم عشيقة فعلية ـ فى مسكنه الخاص ٠٠ وكانت فى المسكن غرفة ذات سقف أزرق ، نقشت عليه علامات التقويم الفلكى ، وقد وضع فى تلك الغرفة سرير منخفض ، اعتادت « كلاريتا » أن تستلقى عليه ، تقرأ ، وتسبح فى أحلام اليقظة ، فى انتظار مولاها !٠٠ وكان يكفيها منه القليل ، أما هو فقد ظل معها ـ كما مع سواها من الخليلات ـ وضيعا كالعهد به !

وتحولت العلاقة بين العشيقين على مر الايام الى ما يشبه الزواج ٠٠ صارا بمثابة زوجين تحول ظروف ما دون أن يقيما معا فى بيت واحد ٠٠ وأخذ أصحاب محال الازياء ، والتجار ، وذوو المصالح والرجاوات ، يغرقون « كلاريتا » بهداياهم ، وشكاواهم ، ظنا منهم أن لها على موسولينى نفوذا ٠٠ وكانت تهتم بالشكاوى التى تتلقاها بالبريد ، وتعتقد أن الله قد أرسلها لتعين الديكتاتور على أن يفعل الخير ويتجنب الشر ٠٠

وعلى الرغم من الخصام الذى كان يدب بينهما أحيانا ، ومن تظاهر كل منهما بأنه سيهجر الآخر ، فان موسولينى لم يكن

يقوى على بعادها ٠٠ وكان يستشعر طمأنينة الى جوارها ٠٠ والذى يدرس حياة موسولينى فى تلك الفترة الحافلة بالاحداث ـ بين سنتى ١٩٣٦ و١٩٤٠ ـ يشعر أنه بازاء شخصيتين : أولاهما شخصية ابن الطبقة المتوسطة الذى صقله وألانه حب شابة ساذجة ، مخلصة ، يستطيع من أجلها أن يترك أهم زواره مكانة قابعا فى انتظاره ، وأن يقطع حبل أهم المؤتمرات ليزجى اليها أحاديث الهوى خلال التليفون !

أما الشخصية الثانية ، فشخصية الديكتاتور الذى تملكته فكرة الغزو والحرب ، فهو أبدا فى زى عسكرى ، لا يفتأ يأمر بتنظيم حفلات العرض العسكرى ، ويقود طائرته ـ وهى من طراز قاذفات القنابل ـ بنفسه ٠٠ ويجند كل أبناء وطنه ، حتى الاطفال منهم ، وفقا للنظام الفاشى !

بين مهام الدولة ٠٠ ومهام الغرام

◆ **وأخذ** موسولينى ، بعد دخول ايطاليا الحرب فى سنة ١٩٤٠ يحيا حياة « كئيبة » ـ كما وصفها ـ فهو لا يكاد يغادر داره الا ليزور بعض وحدات الجيش ، أو ليتخفف من وطأة الصيف فى مصيفه الخاص ٠٠ وازداد عزوفا عن مقابلة الناس ٠٠

وكانت عشيقته تنتظره فى « عش الغرام » يوميا من الساعة الرابعة بعد الظهر ، حتى الليل ٠٠ وكانت أحيانا لا تجنى ثمرة للانتظار ٠٠ وأحيانا يواتيها ليحييها على عجل ، ثم يسرع الى قصر « فينيتسيا » ، مقره الرسمى ٠٠ على أن الصيف كان أسعد الاوقات لديهما ، اذ كانا يسبحان معا ، يفصلهما عن العالم حجاب من رجال البوليس السابحين على بعد منهما ٠٠ كما كانا يلتقيان فى السيارة فى الاماكن النائية غير المطروقة ٠٠ أو يتواعدان على اللقاء خلسة على « البلاج » عند الفجر والناس نيام !٠٠ **واذ ذاك ، كان موسولينى يستشعر نفس الوجد والعواطف الشاعرية التى كانت تتولاه فى مقابلاتهما الاولى ٠٠**

وقد روت « كلاريتا » انه كان يقف أحيانا فى لباس السباحة ، ويهتف بالبحر : « اننى أحب هذه الفتاة ٠٠ أعبدها ٠٠ فلتعرف هذا يا بحر ، فانني لا أخجل من المجاهرة به ٠٠ انها ربيعى ٠٠ شبابى ٠٠ أحب شىء فى حياتى » ٠٠ أو يغنى بصوت جهورى أغنية مطلعها : « أقسم أمام البحر ، وأمام الشمس الموشكة على الشروق » !

٠٠ على أنه كانت تمر بهما أيام طوال لا يكاد يتاح لاحدهما فيها أن يرى الآخر ، فكانت « كلاريتا » تتحرى تنقلاته ، وتهرع الى الطريق التى يمر فيها لتلوح له بمنديلها !

ولم تكن « راشيل » تدرى شيئا عن هذا الهوى ٠٠ ولكنها لم تلبث أن فطنت الى أن « كلاريتا » كانت دائما حيث كان يوجد زوجها ، فبدأت تتساءل عنها وعن مدى صلة بنيتو بها !

وفي روما كانت « كلاريتا » لا تملك ـ بين تواتر الحياة اليومية العادية ، وطول انتظارها لموسولينى فى الامسيات ، الا أن تشعر بغيرة من النساء الاخريات اللاتى كان يعرفهن ٠٠ ولم تكن تقوى على هجره ، ولا على فقدان حبه ، فكانت تتعزى بأنها الوحيدة التى تستطيع أن تهدىء أعصابه ، وتدخل السكينة على نفسه ٠٠ وبأنها الوحيدة التى تخلص له فى ولاء حقيقى !

فضيحة قومية !

ولم تأت سنة ١٩٤٢ حتى كانت علاقتهما على كل لسان ٠٠ ووصفها « شيانو » فى مذكراته بأنها غدت « فضيحة قومية »، اذ لم يكن الشعب ليخال سوى أن زعيمه منصرف كل الانصراف الى عشيقته ، مغدقا عليها الهدايا على حساب الخزانة ٠٠ خزانة الدولة !٠٠ ولم يكن الشعب ينقم على « كلاريتا » شيئا ، اللهم الا أنها فى سذاجتها وطيبتها أحاطت نفسها بنفر من الاوغاد الذين راحوا يستغلون نفوذها لدى رئيس الحكومة !

وانتهى الامر بموسولينى أن قرر أن يضع لغرامهما حدا !

.. وهكذا فوجئت وهى تلج قصر « فينيتسيا » فى أول مايو سنة ١٩٤٣ ، بالبوليس يصدها ، معتذرا ـ لدهشتها ـ بأن « الدوتشى » أمر بعدم السماح لها بالدخول !.. وفى عنفوان الغضب ، دفعت الجندى عن طريقها ، وأسرعت تنهب السلم نهبا .. وراحت تتذلل الى عشيقها فى يأس ، وتذكره بحبها وولائها ، ولكنه لم يجبها بغير : « أعتقد أن الدورة قد انتهت » .. وتنبهت الفتاة فى جزع الى أن موسولينى يستعمل معها نفس الاسلوب الذى كان قد استعمله مع سواها ، كما روى لها .. ومع ان دموعها وضراعاتها شفعت لها أخيرا ، الا أن اقباله عليها بدا فاترا !

وتكرر صد موسولينى مرتين .. ولكن الفتاة كانت تقول له وقد استمدت من يأسها شجاعة : « أذا كنت لا تبغى رؤيتى ثانية فى النهار ، لتتجنب الفضيحة ، فاننى أستطيع أن أوافيك فى الليل .. تكفينى بضع دقائق أراك فيها وأقبلك » .. وكان موسولينى ينزل عند رجائها ليتخلص من الحاحها ودموعها ..

الاقدار تنتقم للعاشقة المنبوذة

◆ **وكأنما** كانت الاقدار تستنكر فجيعة العاشقة المنبوذة ، فشاءت أن تكيل لموسولينى بنفس الكيل .. فاذا بعض قادة الفاشية يتمردون عليه فى اجتماع المجلس الاعلى فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٣ .. واذا هذا التمرد يقوى من شجاعة الملك ، فلم يحن اليوم التالى حتى أصدر أمره بالقبض على موسولينى واقالته واحلال « بادوليو » محله .. وانحازت ايطاليا الى جانب الحلفاء !

على آن جنود المظلات من الفدائيين النازيين لم يلبثوا أن اختطفوا موسولينى من أسره ، فأقام حكومة جمهورية فاشية فى شمال ايطاليا ..

وفى تلك الاثناء ، كانت عشيقته وأسرتها قد اعتقلوا فى قلعة « نوفارا » ، فلما بلغتها أنباء اختطاف موسوليني ، اشتد انفعالها وأخذت تردد : « لن يلبث أن يرسل من يحررنا » ٠٠ ولكن موسوليني لم يجد وقتا للتفكير فيها على ما يظهر ، فظلت وأسرتها فى الاسر حتى حررهم الالمان ٠٠ ولم ينقض شهر حتى كانت « كلاريتا » فى « جاردوني » بأمر من هتلر الذى دفعه شعور العاشق الى أن يحمل موسوليني على الرجوع عن هجران محبوبته التى عانت أهوال السجن من أجل حبه !٠٠ على أن العلاقات بينهما لم تعد قط كما كانت، من حيث الوجد المشبوب، والهوى الشاعرى ٠٠

يذكر زوجته ٠٠ وهو على عتبة الموت !

◆ **وفى** ٢٥ أبريل سنة ١٩٤٥ ، وصل « موسوليني » الى مقاطعة «كومو» تتبعه خمس وثلاثون سيارة تقل جميع زعماء « جمهوريته الاشتراكية » ، فبادر الى كتابة خطاب لزوجته ، بدا كأنه صرخة اليائس القنوط :

« عزيزتي راشيل : لقد بلغت آخر مراحل حياتى ٠٠ آخر صفحة فى كتابى ٠٠ وانى لأبعث لك بهذا الخطاب لاننا قد لا نلتقى ثانية ، فأسألك الصفح عن كل ماسببت لك - عن غير قصد - من أذى ٠٠ وانك لتدركين أنك الوحيدة التى أحببت ٠٠ وأقسم على ذلك بالله وبابنك «برونو» فى هذه اللحظة الرهيبة ٠٠»

وفى الساعة الثالثة صباحا انطلق الى «منادجيو» ، وقد بدا أنه اعتزم التسلل الى سويسرا ، حيث نصح «راشيل» أن تلجأ ٠٠ ولكنه لم يكد يبلغ «جراندولا» حتى علم أن الوطنيين يسدون الطريق الى الحدود ، فقرر الرجوع الى «منادجيو» حيث كانت «كلاريتا» قد وصلت مع أخيها ٠٠ وفى الفجر ، رحل الجميع فى اتجاه «كوليكو» يصحبهم عشرون سيارة نقل محملة بالجنود الالمان ٠٠

وكان مارسيلو بيتاتشى يقود بنفسه السيارة التى ضمت موسولينى وكلاريتا وأسرتها ·· لكن موسولينى لم يلبث بعد أن بارحوا «مانادجيو» بقليل ، أن قبل الانتقال الى سيارة مصفحة كانت تضم ثلاثة من أتباعه وفتاة شقراء - (قيل انها ابنته من احدى عشيقاته !) - وكانت الوحيدة التى نجت من هذه القافلة المنكودة فيما بعد !

وما لبث موسولينى أن نقل مرة أخرى الى أحد «لوريات» الجيش الالمانى ، وأعطى معطفا من معاطف الجيش فارتداه ·· حتى اذا أوقفت الفصيلة الثانية والخمسون من قوات الوطنيين الايطاليين القافلة فى ممر ضيق بين الجبال وبحيرة «كومو» ، لمح أفرادها فى ثالثة سيارات القافلة شخصا يغالب النعاس الى جوار السائق ، وقد ارتدى معطفا عسكريا ألمانيا وأمال خوذته على رأسه ، وأخفى عينيه وراء نظارة سوداء كبيرة ، ووضع بين ساقيه مدفعا رشاشا !·· وكان من الممكن أن لايستلفت الانظار أكثر من ذلك ، لولا أن خيل لاحد الوطنيين أن الرجل يغمز له بعينه ، فاقترب منه وأخذ يتفرس فى وجهه ، ويلفت اليه انتباه زملائه ·· واحتج الالمان بأن زميلهم ثمل ، ولكن أحد الوطنيين تقدم فنزع عن الرجل نظارته وخوذته وصاح فى رفاقه : « انه ·· هو»

ورفع موسولينى يديه فى استسلام وهو يرتجف ، وقد تولاه اعياء ووهن ·· وترك الوطنى - الذى سدد مسدسه اليه - ينتزعه من مكانه ، بينما تقدم زميل له فأخذ منه مدفعه ·· وبعد أربع ساعات - أى فى الساعة السابعة مساء - ساقوه الى ثكنات الحرس فى « جرماسينو » ، وأوقد الحراس نارا - تلبية لرغبته - وأعدوا له طعاما من الخضر ، بينما شووا لانفسهم حملا قدموا له قطعة منه فتقبلها ، وشرب بعضا من النبيذ وقدحا من الشاى ··

ورجا ـ حوالى الساعة الحادية عشرة ـ أن يستريح ، فقادوه الى غرفة فى أعلا الثكنات ، كان بها سرير من النوع الذى تجهز به السجون ٠٠ وأوصدوا الباب دونه بالمزلاج !

على أن « موسولينى » حرص قبل ذلك على أن يهمس الى جندى من الوطنيين يدعى « بيدرو » برجاء : أن يحمل تحياته الى « كلاريتا » التى كانت سجينة فى مبنى المجلس البلدى بجرماسينو !

وأدى « بيدرو » المهمة ٠٠ وكانت كلاريتا حتى تلك اللحظة تتظاهر بأنها أخت أحد الدبلوماسيين الاجانب ٠٠ وبلغ بها اتقان دورها أن سألت بعض القرويات اللاتى كن على مقربة منها قبل أن تساق الى غرفتها : « ترى ماذا يفعلون بابنة بيتاتشى اذا قبضوا عليها ؟ »

لقاء عاصف ٠٠

ولكن تمثيلها انهار أمام « بيدرو » ، فجثت عند قدميه ، وراحت تضرع اليه أن يأخذها الى حيث كان « موسولينى » اذ « لا بد انه بحاجة الى ! » ٠٠ وصحبها « بيدرو » فى سيارته حتى التقى بالسيارة التى كانت تحمل موسولينى ساعية به الى « سان موريتزيو دى بروناتى » ٠٠ والتقت السيارتان على الجسر القائم على نهر « البانو » ٠٠ وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل ، والظلام دامسا ، والجو ممطرا عاصفا ٠٠ ثم انطلقت السيارتان معا تحت المطر الدافق ، فى الطريق الملتوية على ضفة البحيرة ٠٠ وكانتا من حين الى آخر تضطران الى الوقوف فجأة ، حين يسد الحراس الوطنيون طريقهما ٠٠

وعند « انزانو » ، غادر موسولينى سيارته ، فانضمت اليه كلاريتا وتشبثت بذراعه ٠٠ وكان يحيط كتفيه ببطانية من أغطية الجيش ، تقيه المطر المنهمر ٠٠ وما لبثا أن اقتيدا الى بيت فى طرف القرية ، حيث تلقاهما « جياكومو دى ماريا »

ـ صاحب الدار ـ وزوجته « ليا » ٠٠ وتهالك موسولينى على مقعد خشبى بقرب مائدة فى مطبخ الدار ٠٠ وجلست كلاريتا الى جواره ، ممسكة بيده ٠٠

وانصرف الحراس عدا شابين من صائدى الاسماك مفتولى العضلات ، عهد اليهما بحراسة السجينين ٠٠ وسأل صاحب الدار « كلاريتا » ـ التى كانت ترتجف فى معطفها الفرائى المبتل ـ عما تحب أن يقدم لها ولزميلها من طعام أو شراب ٠٠ لكن موسولينى رفض أن يتناول شيئا ، بينما تناولت كلاريتا قدحا من القهوة ٠٠ وفى تلك الاثناء كانت « ليا » قد أيقظت ابنيها الصغيرين من نومهما ، لتفرد غرفتهما للضيفين الاسيرين ٠٠ وما لبثت أن هبطت الى المطبخ الذى ساده صمت رهيب ، فدعتهما الى الصعود الى الغرفة ٠٠ وظل موسولينى جامدا ، لم يفطن الى شىء ، حتى نبهته كلاريتا فنهض ، وصعد معها الى الغرفة ذات السرير الخشبى الكبير ، والاثاث المتواضع ٠٠

همسات ٠٠ وشكوك

وبادرت كلاريتا الى السرير تتحسسه لتستوثق من أنه مريح ، ثم طلبت وسادة ثانية ، لان موسولينى اعتاد أن يريح رأسه على وسادتين ٠٠ وفيما كانت كلاريتا تصلح من نظام الفراش ، جلس موسولينى الى جوارها جامدا ٠٠ وتلفتت كلاريتا حولها فى ارتياب ، ثم أبدت رغبتها فى الاغتسال ٠٠ فقادتها « ليا » الى الحمام فى الطابق الاسفل ٠٠ حتى اذا عادت ، ألفت موسولينى متدثرا بالاغطية ٠٠ فاحتمت خلف السرير وأخذت تخلع ملابسها وهى متضايقة، اذ كان الحارسان يسترقان النظر من خلال الباب الذى ترك مواربا ٠٠ **ثم اندست الى جانب موسولينى ، وراحا يتهامسان ، مما أثار شكوك الشابين الحارسين ، ففتحا الباب على مصراعيه ٠٠ واذا موسولينى يجلس فى الفراش بادى الاعياء والهم والتداعى ٠٠ بينما سحبت كلاريتا الاغطية حتى قمة رأسها ٠٠**

وصاح موسولينى فى الشابين : « أخرجا أيها الولدان ، ولا تتصرفا بهذا الشكل •• لا تكونا متعبين »

وخجل الفتيان فأسرعا بالانسحاب ، وأغلقا البـاب ، وأن ظلا يتسقطان السمع •• وما لبثا أن سمعا أنفاس الرجل تتردد بانتظام ، وقد استغرق فى النوم •• وانطفأ النور !

دموع على الوسادة !

وعندما رحل الضيفان فى اليوم التالى ، لاحظت « ليا » مكان رأس « كلاريتا » من الوساة آثردموع عزيرة•• فقدقضت الليل باكية ، والرجل نائم !•• وقد ظل فى نومه حتى الساعة الحادية عشرة صباحا •• وعندما صعدت اليهما « ليا » ، استقبلتهـا « كلاريتا » مبتسمة ، بينما كان موسولينى يجلس الى جوار النافذة فى ثياب النوم وقد بدا شاحب الوجه ، نامى اللحية ، محتقن العينين •• وطلبت « كلاريتا » فطورا مما اعتاد أهل الجبال أن يتناولوه ، والتفتت الى موسولينى تشجعه •• وعلى صندوق خشبى غطى بمفرش موشى ليبدو كالمائدة، تناول العشيقان فطورهما ، والحارسان خارج الغرفة يغالبان النعاس ، ويفتحان الباب من آن الى آخر فيتبادلان بضع كلمات مع « كلاريتا » ، التى مالا اليها ! ــ وقد صرح الشاب الذى صحبـها فى ليلة الامس الى الحمام ــ وكان الحمام بمعزل عن مبني البيت الريفى ــ انه كاد يصعق لجمالها حين رآها نصف عارية !

ومع ان كلاريتا كانت فى غاية التعب ، الا انها لم تنم ، بل اكتفت بالاستلقاء على السرير ، بينما جلس موسولينى الى جوار النافذة يطل على البحيرة ••

وبعد الساعة الرابعه ــ عصرا ــ فتح الباب فجأة ، وأقبل شاب طويل فى ثياب مدنية ، وقد حمل سلاحا •• وخلفـه عسكريان •• وجال الشخص المدنى ــ وكان ضـابطا بفرق الوطنيين يدعى « فاليريو » ــ بنظرات سريعة فى الحجرة ، ثم

تحول الى موسولينى قائلا بلهجة حادة : « أسرع ، فقد جئت لاحرسكما »

وبدا فى صوته ومنظره ما جعل موسولينى وكلاريتا يشعران بأن وراء كلماته معنى آخر ٠٠ ورفعت كلاريتا رأسها عن الوسادة لتنظر اليه والى زميليه ، ثم ارتمت ثانية ، وولت وجهها شطر الحائط ، فأهاب بها قائلا « هيا ٠٠ أسرعى ٠٠ أسرعى ! »

وخرجوا ٠٠ ويقول بعض الذين شاهدوهم ان « كلاريتا » كانت تحمل معطفها على ذراعها ٠٠ ومن المؤكد انها نسيت حقيبتها أو خلفتها وراءها ، اذ تحققت من أنها لن تكون فى حاجة اليها حيثما كانت ذاهبة ٠٠ ورسمت « ليا » علامة الصليب على صدرها ، اذ أدركت هى الاخرى الى أين يساق ضيفاها اللذان لم تعرفهما على حقيقتهما الا فى لحظة انصرافهما ٠٠

اللحظات الاخيرة

◆ **وكانت** الدموع تجرى على خدى كلاريتا وهى تسير الى جانب موسولينى ، دون أن تحاول تجفيفها ، فقد تركت مناديلها فى الحقيبة ٠٠ وكانت تتشبث بذراع موسولينى الذى سار بخطى متثاقلة ، وترنح فى بعض سيره فاعتمد بيده على جدار قريب ٠٠ وهمت كلاريتا ان تساعده ، ولكنه نحاها عنه !

وأقبلوا على مفترق للطرق أقيم فيه حوض حجرى عكفت النسوة على غسيل الثياب فيه ٠٠ ولم تعرف احداهن شخصية الرجل ولا المرأة ، ولكنهن لا حظن اليأس الذى استبد بقسمات وجه الرجل ٠٠ والدموع التى كانت تنثال على وجنتى المرأة !

وعرج الموكب الى اليسار ، وانحدروا الى الطريق العامة ، فمروا تحت بوابة طويلة كأنها النفق، ألفوا بعدها سيارة سوداء فى انتظارهم ، والى جوارها السائق ورأت النسوة ــ اللائى كن يغسلن الثياب ــ الموكب يقف ٠٠ ولمحن مدفعا رشاشا مع أحد الرجال ٠٠ ثم رأين المرأة تطوح ذراعيها فى يأس ، ثم تحيط عنق رفيقها ، بينما دفعهما الباقون الى داخل السيارة ٠٠ وقفز أحد الرجال المسلحين الى جانب السائق ، بينما وقف الباقون

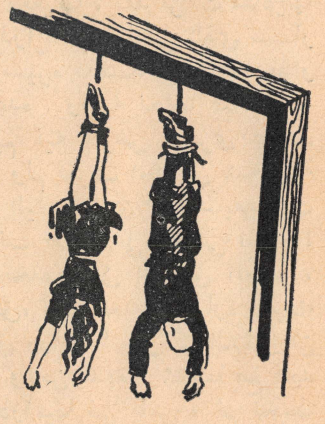
على سلم السيارة التى تحركت وئيدا الى فسحة من الطريق ، بعيدا عن الانظار ٠٠ وهناك أنزل الحراس أسيريهما !

وأوقف موسوليني وكلاريتـا أمام جدار ٠٠ وقال سائـق السيارة ـ أو أحد الحراس الوطنيين ـ لاهل القرية فيما بعد ، انه سمع كلاريتا تهمس لموسوليني وهما يهبطان من السيارة : « أمغتبط أنت لانني تبعتك الى النهاية ؟ »

جثتان تحت وابل من المطر !

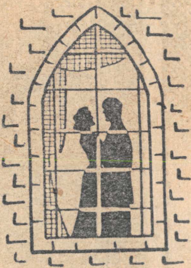
◆ **وأعدم** العاشقان ٠٠ وظلت جثتاهما فى الطريق تحت وابل المطر زهاء ساعتين ، ثم حملتا فى سيارة نقل كانت قد حملت ببعض الموتى من الفاشيين من « دونجو »

وفى الصباح التالى ، أفرغت السيارة حمولتها ـ وكانت سبع عشرة جثة ـ فى حظيرة للسيارات بنابولى ٠٠ وهى حظيرة كان الفاشيون والنـازيون قد قضوا فيها على خمسة عشر من المواطنين عندما كانوا يفرضون الارهاب !٠٠ وما لبثت الجثث أن علقت فى السـقف وتركت معرضة لنقمة الجماهير ٠ وكان من بينهـا جثتا موسوليني وكلاريتا ٠٠



وكان وجه المرأة يبدو هادئا ، جميلا ، عن بعـد ٠٠ وعيناها مغلقتين ٠٠ وعلى شفتيهـا آثار ابتسامة تنم عن رضى وقناعة !

خلف النوافذ المغلقة



عباقرة الإنسانية
فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السنة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة لفيكتور هوجو ، كما كتبها اديب من اسرته وذوى قرباه هو «اليون دوديه»

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب «اعترافات جان جاك روسو» ، وهو الكتاب الذى فتح فى الادب «الشخصى» فتحا جديدا ، اذ كان أول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، «فيشرح» عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

وفى الاعداد الاربعة الماضية من كتابى قدمت لك الفصول الاولى من الكتاب الممتع الذى أصدره الاديب العالمى «أندريه موروا » منذ أسابيع ، وروى فيه حياة الاديبة والملهمة الخالدة « جورج صاند »، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيلى .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم أقدم لك الفصل الخامس من هذا الكتاب الشائق الذى سوف نتابع فصوله التالية فى أعداد كتابى القادمة باذن لله

خلاصة ما نشر

◆ انحدرت جورج صاند من سلالة عجيبة ، كان بين أفرادها الملوك ، والقواد العظام ، والراهبات الذائعات الصيت ، والممثلات الشهيرات .. الخ - وكان لكل نساء الاسرة أبناء وعشاق ، وكن مولعات بالابناء أكثر من ولعهن بالعشاق! .. وتقاطر سيل الابناء غير الشرعيين فى العائلة بغير حساب ، لكن آباءهم كانوا يعترفون بهم ، فينشأوا فى ترف ورفاهية ، كأبناء الملوك !

وعن هذه السلالة العجيبة ورثت جورج صاند تحديها الجرىء للحياة ، وتعلقها بالارضيات ، وشراهتها الجنسية .. حتى ليمكن القول بحق ان تاريخ أسرتها فيه الكثير من عناصر قصص ألف ليلة وليلة !

وكان أبوها - موريس دوبان - ضابط أركان حرب فى الجيش الفرنسى ، فالتقى أثناء الحملة الايطالية بحسناء فاتنة الطرف ضاحكة السن ، تدعى صوفى ديلابورد - وكانت عشيقة قائده ! - وقد كتبت جورج صاند فيما بعد تصفها بقولها : « كانت أمى من النوريات الغجر ، سليلة جنس منحط متشرد .. وقد كانت - فى فتـــرة من حياتها - راقصـــة ، أو بالاحرى شيئا أحط من راقصة ، فى ملهى من أقذر ملاهى باريس سمعة !.. حتى قيضت لها الاقدار رجلا موسرا أنقذها من هذا الوحل ، ولكن ليفرض عليها حياة أكثر وحلا ! وحين التقى أبى بها كانت فى الثلاثين ، تعيش فى دوامة من الفوضى الضارية .. لكنه كان ذا قلب كبير ، وقد أدرك أن الحسناء التعسة ما تزال قديرة على أن تحب ، وتهب قلبها مخلصا لمن تحب »

لكن موريس أشفق من مصارحة أمه - الوقورة المتزمتة - بحبه لتلك المرأة ذات العفة الجريحة ، وبتفكيره فى الزواج منها .. فلبث يرجىء «الازمة» حتى حملت صوفى منه ، فاضطرا الى عقد زواجهما سرا فى ١٦ ابريل سنة ١٨٠٤ .. وفى مساء أول يوليه من نفس العام وضعت صوفى مولودتها «أورور» التى سنرى نجمها يلمع فى التاريخ باسم « جورج صاند » !

بين بيت جدتها .. والدير !

◆ وحين بلغت « أورور » عامها الرابع فقدت أباها ، على أثر سقوطه من على ظهر جواده ، وتزايد النفور بين أمها وجدتها - وكانت الاخيرة قد عارضت فى زواج الاولى من ابنها الراحل - فاضطرت الام الى الرحيل الى باريس ، تاركة طفلتها فى كنف جدتها الارستقراطية الثرية ، كى لا تحرمها من هذا الترف ! وجلبت لها الجدة من علمها الموسيقى ، واللغة اللاتينية ، والعلوم الطبيعية

٠٠ فقرات الصبية « الياذة » هوميروس وهى فى هذه السن الباكرة !٠٠ لكن الجدة أخطأت ذات يوم فصارحت حفيدتها بماضى أمها الملوث ، فأحدث ذلك فى نفسية أورور أزمة عنيفة جعلتها ترفع منذ ذلك اليوم راية العصيان والتمرد ٠٠ حتى لم تجد الجدة بدا آخر الامر من ادخالها أحد أديرة باريس كى تتم علومها بين جدرانها !

لكن حرص العجوز على الاطمئنان على مستقبل حفيدتها ، قبل موتها ، جعلها تخرجها من الدير كى تعدها للزواج ٠٠ غير ان منية الاولى حانت قبل أمنيتها ، وكانت أورور ما تزال فى السابعة عشرة ، فأخذتها أمها لتعيش معها فى باريس ٠٠ لكن جنون الام المتزايد كاد يفرض على المسكينة زواجا اجباريا ، فأوشك الكمد أن يقتلها ٠٠ بحيث اضطرت أمها الى أخذها لتقضى أياما فى ضيعة أسرة من أصدقاء زوجها القدامى ، بغية تبديل الهواء ٠٠

زواج ٠٠ وخيبة أمل !

◆ وعن طريق هذه لاسرة تعرفت أورور الى الضابط الشـــاب « كازيمير دوديفان » ، فلما فاتحها فى الزواج قبلته مرحبة ٠٠ ولم تلبث أن زفت اليه ٠٠ غير انها سرعان ما تبينت ـ ولا سيما بعد انقضاء النشوة الاولى وبعد أن رزقت بطفلها الاول « موريس » ـ أن بين طباعها وطباع زوجها تنافرا كبيرا ، فبقدر ما كانت هى تتذوق الادب والفن والموسيقى ، كان هو يجهل هذه كلها ولا يعبأ بغير ما يشغل الرجال التافهين ٠٠ وحتى المتعة الجنسية كان يشوبها التنافر أيضا بين شهوانية الزوج ، وبرود الزوجة ! كان هو ينشد فيها المرأة، وهى تنشد فيه العاشق « الروحى » الذى يحقق لها أحلام صباها ٠٠ بالحب !

حب عـــذرى

◆ وفى غمرة هذه العزلة النفسية الموحشة التى كانت تعانيها أورور ، التقت بالمحامى الشاب « أوريليان دى سيز » ، وكان مرهف الحس ، ذواقة للشعر ، فوقع من فوره أسير هواها ٠٠ لكنه كان عفيف النفس فلم يسألها أكثر من الصداقة الخالصة ، وان اعترفت هى لصديقاتها بأنه لو طالبها بالمزيد لعجزت عن التضحية بنفسها ، وباخلاصها لزوجها !

وكان أقصى ما ناله أوريليان منها أن ضمها الى صدره ، فى عناق عذرى ٠٠ وذات يوم فاجأهما الزوج فى موقف عاطفى مشابه ، لكنها أقنعته ببراءتها ٠٠ واستمرت على صلتها بفتى أحلامها ، بعد أن جددا العهد بأن يتبادلا الحب دون أن تشوبه صلة جسدية ٠٠ فقد كانا يؤمنان بامكان قيام صداقة طاهرة بين الزوجة الوفية ، و « صديق العائلة » !

والآن تستطيع أن تتابع القراءة :

*

◆ **كان** ذلك الميثاق العذرى بين أورور وأوريليان فاتحة فترة سعيدة عامرة بالعواطف السامية والسلام النفسى المبارك .. واستمر العاشقان يتراسلان بعد عودة الزوجة الى (جييرى) ، كما سجلت هى فى مفكرتها الخاصة التى كانت تدون فيها يومياتها وتسر اليها بدخيلة نفسها دون ما زيف أو نفاق .. (وقد تضمنت المفكرة أنباء غزوات أورور « غير الارادية » لقلوب الكثيرين من سادة البلدة الذين ظلوا يلاحقونها بغزلهم .. وكان من بينهم رجل الدين « الاب كانديلوت » ، الذى دس مرة فى يدها قصيدة غزل ، وقد احمر وجهه خجلا !)

ونعمت أورور بقراءة رسائل الحب التى كان يرسلها أوريليان اليها فى تلك الفترة ، واستعادة سطورها المرة بعد المرة .. **ورسائل الحب لها القوة على بعث ساعات الصفاء السعيدة بعد انقضائها ، من فرط ما تخلق من غياب الحبيب حضورا أكمل وأعذب من كل حضور !.. وقد أحست أورور أنها تستطيع استعادة سطور تلك الرسائل دون أن يخالجها أى شعور بالاثم أو وخزة ضمير ، ولن يكف العاشقان عن أن يحب أحدهما الآخر .. لكنهما لن يكون أحدهما للآخر قط ! وحسبهما من الثمل أن يسكرا بخمرة هذه العواطف السامية الرفيعة ..**

وهكذا لم يعد أحدهما يغيب عن ذهن الآخر وأفكاره لحظة .. فحيثما كانت أورور تذهب ، وأيا كان ما تفعله ، كان أوريليان يشاركها حركاتها وسكناتها .. ولا يبرح خيالها ! لقد وجدت أخيرا رجلا يستطيع أن يحب حبا مجردا من الانانية، يحب فى تواضع ورقة ودماثة .. ان جيرانها من أهل غسقونيا يتحدثون عن الحب فى ابتذال وشبق ، ويتفاخرون باحتقارهم للعواطف السامية ! أما هى ، فلكم يطوق عنقها عرفانها بفضل

أوريليان عليها ومعاونته لها على اجتياز طريق الفضيلة الضيق ٠٠ وانها لتكرر الاعتراف لنفسها فى كل مناسبة بأنه لو كان أكثر الحاحا عليها فى الانحراف عن ذلك الطريق ، لكان أهون عليها أن تنحرف عنه ٠٠ من أن تفقد صاحبها !

أو على حد تعبيرها فى اعترافاتها : « ما من رجل على الارض، ولا واحد ، يستطيع أن يقنع على الدوام بمجرد الاستحواذ على « قلب » امرأة ، دون جسمها ٠٠ ولست أشك فى أن أوريليان يعتقد أنه سيصل الى هدفه فى النهاية ٠ ولئن كان قد أظهر انه يعرف كيف ينتظر ، فلأنه موقن بأنه بمرور الايام سوف ينال ما يريد ٠ أما من ناحيتى فانى ان منحته نفسى كان ذلك بمثابة حكم على بالموت ٠٠ وان أبيت نفسى عليه ، فقدت قلبه !»

لكنه هو الذى كان قد أقسم لها أن يحترمها : « **انك أنت يا أوريليان الذى تستحثنى على المقاومة ، وتوصينى بألا أخشى اغضابك بابائى ٠٠ أواه يا ملاكى !٠٠ انك تؤمن بالعالم الآخر، أليس كذلك ؟ واذن فما دام الانسان المخلوق من التراب كان قديرا على مثل هذا الحب ، فلا بد أن الله سيمنح حبنا الخلود ٠٠ سوف يجمع بيننا الى الابد فى عالم يسوده السلام ، عالم تتحرر فيه الروح من الاثم ٠ ٠ ولا تكون لبركاته نهاية** »

وناشدها أوريديان أن تكتب له« اعترافاتها » ٠٠ فكتبتهافى ثمانية عشر صفحة ، روت له فيها قصة حياتها ، وكآبتها ، وكيف حرمتها زيجتها من كل ما كان خليقا أن يجعل الحياة جميلة ! لقد هجرت الموسيقى ، لان صوت البيانو كان كافيا لجعل كازيمير يفر من الغرفة كالمطارد ٠٠ وحيثما كانت تتحدث معه فى الادب ، أو الشعر ، أو الفلسفة ، كان هو يجهل كل شىء عن الادباء الذين تشير اليهم ٠٠ « فكنت أكف عن المناقشة فى الموضوع ، والالم الدفين يحز فى نفسى والحسرة الموجعة تصرخ فى أعماقى : اننا لن نستمتع يوما بميول أو خلجات مشتركة ! »

لكنها اعترفت بأن كازيمير كان يحسن معاملتها ، وانه أنفق ثلاثين ألفا من الفرنكات الذهبية كى يرضى نزواتها ! وبالمثل كان التعس طيبا مع أوريليان أيضا ٠٠ وقد بلغ من تأثر هذا بنبل مسلكه أنه قال لحبيبته يوما : « **أورور ٠٠ انى لن أفوه لك بكلمة أخجل من أن يسمعها أو أعلم أنه لا يقرها ٠٠ سوف نوحد جهودنا كى نسعده ، ولئن جال بأذهاننا خاطر سىء فسوف نطرده منها مفزوعين ٠٠ ولنذكر دائما عبارته التى قالها لك يوما : « انك حرة الآن فى أن تخدعينى مرة أخرى ، لاننى اثق فيك ثقة عمياء ! » ٠٠ فكيف يمكن أن نخون ثقة هذا مداها ؟٠٠ أورور ، انى أحس فى نفسى ميلا الى أن ألومك على أنك لم تحبى زوجك بالقدر الكافى ٠٠ أما أنا فأحبه من كل قلبى ! »**

❋

◆ **على** أن كازيمير تنبه فى النهاية لنقائصه التى تأخذها عليه زوجته ، فشرع يقرأ « أفكار » باسكال ، بعد أن انتزعت منه أورور وعدا بمطالعة الكتاب ٠٠ وعلى أثر ذلك كتب اليها يقول : « لشد ما يملأنى الاسى والندم على أن كسلى قد عاقنى من قبل عن مطالعة هذه الكتب التى ـ بقدر ما أعلم ـ ترفع من مستوى الذهن وتعلم المرء كيف يفكر ويحسن التصرف ٠٠ »

وصار كل خطاب يكتبه اليها يفيض بعبارات الحب والهيام ٠٠ وكان النجاح الذى تصادفه أورور فى المجتمعات أينما حلت، والمطاردات الغرامية التى استهدفت لها ، قد أشعرت زوجها بنقصه ، وتفوقها عليه ٠٠ كما أشعره بالزهو امتداح الناس لمواهبها الذهنية وشخصيتها٠٠ فاذا هو يعود يوما محملا بأكوام من الكتب وبقاموس انجليزى : « لقد هجرت الصيد ، ولن أخرج من البيت بمفردى بعد الآن ، وانما سأقضى حياتى كلها بجانبك ! » ٠٠ **لكن مأساة الحياة الزوجية هى أن القرارات التى**

تتخذ لاصلاحها تجيء دائما متأخرة ، بعد أن تكون الاحداث قد جعلتها عقيمة عديمة الجدوى !

على أن كازيمير وان لم تخنه زوجته ، فانه فقد احترامها ·· كانت تقارن خطاباته الركيكة المتعثرة البليدة بخطابات أوريليان البليغة الرائعة ، فلا تملك الا أن تزداد غضا من شأنه · وذات مرة تفوه بنكتة سخيفة أثناء جلوسهما الى المائدة مع بعض الضيوف ، فما كان من أورور الا أن مالت نحوه عبر المائدة وقالت بصوت مسموع : « يا مسكين ، حقا انك لعلى درجة كبيرة من الغباء ·· ولكنى مع ذلك أحبك كما أنت ! »

وفى الزواج ، ليس الزنا هو الخطيئة التى لا تغتفر ، وانما الاحتقار !

وانعكس الآن وضع كل من الزوج والزوجة ، فصار كازيمير هو الواجم المكتئب ، وأورور هى المرحة السعيدة ·· ووردت اليها البهجة صحتها ونضارتها · **وكانت تجاربها الزوجية قد ملأتها اشمئزازا من الصلات الجنسية كما ذكرنا ، فراحت تنشد العزاء فى عاطفة عذرية كبرى · لكنها بحكم خشيتها من نفور الرجال من الحب العذرى ، آثرت ان تلقى فى روع أوريليان أن ما بينهما انما هو من قبيل الصداقة لا الحب !·· على أنها فى أحلامها كانت تطلق العنان لرغباتها ، فتمنح نفسها له !**

وفى فبراير سنة ١٨٢٦ اصطحبها زوجها ، بحكم ثقته المطلقة فيها ، الى مدينة (بوردو) ـ حيث يقيم أوريليان ! ـ فلما التقت بصديقها عقدت فتنتها لسانه ·· وكان يلذ لها منظر العاشق المحروم بقدر نفورها من الامتلاك الجنسى ، فقالت لصاحبها : « لكم أحب الالم الممتع الذى أحسه من هذا الصراع الداخلى ! » ·· وقد أدركت فى ذلك اللقاء مبلغ تأثيرها على أوريليان ، وكيف أن نظرة منها ، أو لمسة يد ، كافية لاشعال دمه فى عروقه !

وذات يوم ، أثناء اقامة الزوجين فى بوردو ، دخل الزوج يحمل نبأ وفاة أبيه بنوبة قلبية ، فسافر الاثنان على الفور الى بلدته ٠ وهناك استأثرت زوجة المتوفى بكل ثروته ، دون ابنه كازيمير الذى كان ابنا غير شرعى ، من عشيقة سابقة ! ورغم ضخامة الميراث فقد أبت الارملة الشحيحة أن تترك لابن زوجها فرنكا واحدا ! وحين فشلت كل جهـوده للحصول على أقل نصيب فصم الزوجان كل صلة لهما بالارملة القاسية وشدا رحالهما عائدين الى دارهما فى (نوهان) ٠٠

الفصل الثالث

الخطوة الاولى

« **ما** أمتع أن يعود الانسان الى بيته بعـد الغياب !٠٠ هكذا أحسست حين وجدتنى مرة أخرى تحت سـقفى ، بين قومى ٠٠ وحيواناتى ٠٠ وأثاث بيتى ٠ ان المكان كله مشحون بالذكريات ، بحيث انى حيثما تلفت رأيت شـيئا يذكرنى بحياتى الماضية ٠٠ وقد كان ذلك ما يلزمنى بالضبط »

٠٠ وكيف لا ؟ لقد أمتعها ولا شك أن ترى خدمها القدامى ، وأن تقوم كما فى الايام الخوالى بتركيب بعض أنـواع الدواء للمرضى من الفلاحين ، وتسعف الجرحى منهم وتزودهم بالمراهم والعقاقير ٠٠ وتلعب فى الحديقة مع طفلها الصغير الذى كان يعجز عن النطق باسمها كاملا فكان يدعوها « مامى أولو » (أى أورور) ٠٠ أو تجلس فى ضوء القمر تصغى الى نقيق الضفادع التى تتجمع فى ركن حقل كى تغنى أغنيتها للقمر ٠٠ الخ

على أن علاقة أورور بزوجها ظلت على غير ما يرام ، سيما وقد بدأ هو يدمن الشراب ـ كأنما ليغرق فيه بعض همه ـ ومن الناحية الاخرى كان تنشب بين الزوجين خلافات بسبب الادارة المالية للمزرعة ٠٠ الى آخر هذه الابواب التقليدية للخلاف !

وخلال ذلك استمرت أورور تكتب بانتظام الى « صديقها » أوريليان ، وكان كازيمير يتولى بنفسه توصيل بعض هذه الخطابات كلما سافر الى بوردو ٠٠ فما كانت صورة الحبيب الغائب لتغيب عن خيال العاشقة المتبتلة ليلا ولا نهارا ! وكانا يتبادلان الهدايا والتذكارات كل حين ، فتنسج له كيسا للنقود، أو تطرز له حمالتين ٠٠ ويرسل هو اليها « بيريه » للرأس وعددا من الكتب ٠٠ الخ

على أن خطابات الفتى بدأ يدب اليها شيء من الفتور ، فتناقصت منها عبارات الحب الرقيقة وتزايدت فيها التعليقات السياسية ! كما تراخت وأبطأت فى مواعيدها ، وكم من مرة لامته أورور على صمته وتأخر رسائله ٠٠ ولامها هو على قصر رسائلها واقتضابها ٠٠ وكان الواقع الذى لم يعد يجدى تجاهله، انه برغم زيارات أورور المتكررة لبوردو ، بموافقة زوجها الواسع الصدر ، فان هذا « الحب بغير حب » ، كان قد دخل فى مرحلة انهياره واحتضاره !

وساعد على فتوره اختلاف وجهات النظر السياسية بين « الصديقين » ٠٠ فقد كان الفتى ملكيا، وكانت أورور جمهورية، هي وزوجها ٠٠ فتعاونا معا على الاخذ بناصر المرشح الجمهورى فى منطقة (شارتر) القريبة ، وكان يدعى « دوريس دوفرين » ٠٠ ومبالغة فى التحمس له استأجرا مسكنا فى لاشارتر وانتقلا اليه ٠ وهناك أخذا يقيمان المآدب والسهرات للدعاية له ٠٠ والتقت أورور فى الضاحية بعدد من أصدقاء الصبا القدامى ، وكانوا قد ألفوا فيما بينهم « شلة بوهيمية» تذرع طرقات الريف والغابات نهارا ، وشوارع المدينة ليلا ، فى ضوء القمر ٠٠ فكان ضجيجهم يزعج النائمين ، ويفسد خلوات العشاق !٠٠ وصارت أورور كثيرا ما تخرج مع أخيها (غير الشقيق) تحت جنح الظلام ، لتمتطى جوادا ينطلق بها الى لاشارتر ، كى تغنى انشودة عذبة تحت نافذة أحد أفراد الشلة !٠٠ أو تمضى فى

الفجر مع فرد آخر منهم من المختصين فى علوم الطبيعة ، كى تدرس النباتات والمناجم والحشرات ، تخيم عليها روح جان جاك روسو نصير الطبيعة الاكبر !

وكان طبيعيا أن يقع جميع أفراد « الشلة » بلا استثناء تقريبا ، أسرى لجاذبية الفتاة ذات القميص والسروال ، التى صارت تعاملهم كاخوة !٠٠ حتى المتزوجين منهم لم تنج من مطاردتهم ومغازلاتهم ، لكنها كانت تصدهم والحق يقال أولا بأول ٠٠ ثم تعود الى زوجها فتقص عليه ضاحكة أنباء محاولاتهم!

على أنه لا يمكن انكار أن الخبيثة كانت تجد لذة متزايدة فى ايقاظ رغبات لم يكن فى نيتها أن تشبعها ٠٠ وبدأ أهل البلدة المحافظون يلغطون ويخوضون فى الحديث عن أساليبها « الاستفزازية » مع بطانتها من الرجال ، ويغتابونها منددين بتصرفاتها المتمردة على التقاليد والعرف الجارى ، وكان من بين ما أخذوه عليها جمعها فى حفلاتها بين مدعوين من جميع الطبقات ، العليا والوسطى والدنيا معا !٠٠ وكانت أورور تعلم بأمر الاقاويل التى تشاع عنها ولكن لا تبالى بها ، سيما وان أهل البلدة كانوا أبعد الناس عن أن يرموها بحجر : فرجالهم لم يكونوا يفيقون من الخمر والمجون ٠٠ ونساؤهم كن على أحسن الفروض تافهات سخيفات !

✽

◆ **وازاء** هذه الامثلة السيئة أمام ناظريها ، وهذه الانتقادات الظالمة التى تنصب فى أذنيها ، كان طبيعى جدا من امرأة شابة مثلها لم تجاوز الثالثة والعشرين ، عاشت حياتها حتى تلك الايام ناصعة العفة ، برغم تهورها وجرأتها فى بعض التصرفات ٠٠ كان طبيعى جدا منها أن تجد نفسها مسوقة برغمها، وبالتدريج، نحو المنحدر المؤدى الى الهاوية !٠٠ وما كانت خطابات صديقها أوريليان ـ التى تباعدت وازدادت جفاء وفتورا بمرور الايام ـ لتصلح « خطا دفاعيا » قويا لها ، يحميها من الغواية !٠٠ بل

لعل الامر كان على العكس ، فانه وان بذل لاورور الوعد بأن « يحترمها » ، ما كان ليحجم عن الاستمتاع بشبابه فى ميادين أخرى ، مع نسوة أخريات !

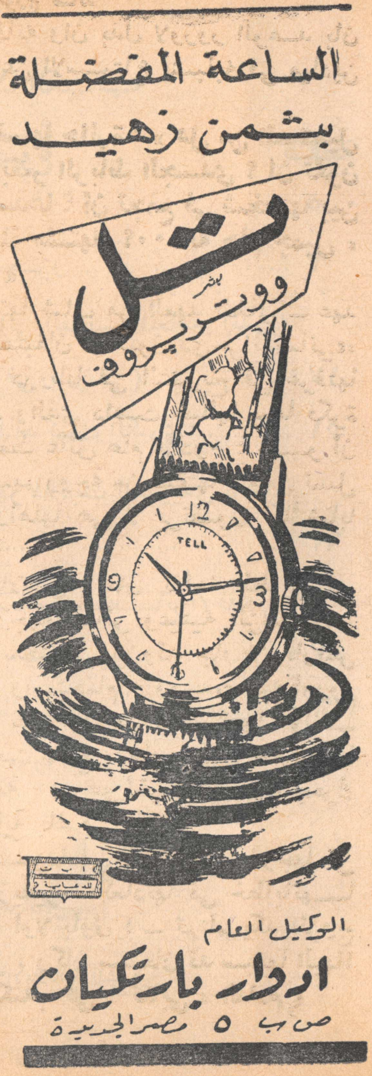
وهنا راحت أورور تسائل نفسها حائرة : « هل من المستحيل اذن أن تحتفظ المرأة برجل ، بغير الرباط الجسدى ؟ أن تكون معشوقة ، ولا تهب عاشقها جسدها ؟ أن تجمع فى شخصها بين أن تكون زوجة شريفة ، وخليلة مشتهاة ؟٠٠ انه حلم جميل ، لكنه لا يمت لدنيانا بسبب ! »

وكان قد ظهر فى أفق حياتها شاب من العهد الخالى ــ عهد ما قبل الزواج ــ هو المدعو « ستيفان أجاسون دى جراندسانى»، طالب الطب الذى كان يلقنها دروسا فى التشريح فى غرفتها بمنزل جدتها فى (نوهان) ، والذى داعبت خيالها يوما فكرة الزواج منه ثم نبذتها تحت ضغط عائق هام مزدوج : هو أن أهل الفتى نبلاء لا يرتضون لابنهم زوجة من طبقتها ، ومن نسل أمها ذات الماضى المشين ٠٠ وأهلها هى لا يرتضون لها شابا فقيرا ولو كان نبيل الاصل !

لكن ستيفان اليوم غيره بالامس ، فان كفاحه الطويل فى الدراسة قد ترك طابعه فى وجهه الغائر وعينيه الزائغتين ، فهو نصف مصدور ، ونصف مجنون ٠٠ وقد جاء من باريس ليقضى فى لاشارتر فترة نقاهة واستجمام ٠ ووجدت فيه أورور أكثر من سبب يجذبها اليه : فهو أول من أيقظ فيها عواطف الانوثة فى صباها ٠٠ وهو باحث مطلع يتجاوب ذهنه مع ذهنها ٠٠ وهو مفكر حر تعجبها جرأته ٠٠ وهو أخيرا مريض ، يحرك فيها وتر ميلها القديم الى العناية بالمرضى ٠

وصارت تراه كثيرا ، لا سيما فى فترة تغيب زوجها فى باريس ــ وان لم تكتم عن كازيمير ، كعادتها فى خطاباتها اليه ، أنباء زيارات الشاب لها أولا بأول ! ــ ثم لم يكد الزوج يعود حتى رحلت هى الى باريس ، وكان ستيفان قد سبقها اليها!

(اقرأ الفصل التالى من الكتاب فى « كتابى » القادم)



اعـــلان

تقبل العطـــاءات بمجلس بلبيس البلدى حتى ظهر يوم الخميس الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٥٤ عن توريد محرك كهربائى لعملية المياه وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة . وكل عطاء لا يرفق به تامين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لا يلتفت اليه

٦٢١٨

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات لغاية ظهر يوم ١٩٥٣/١٢/١٩ بمكتبى طبيبى اول سيدى برانى والسلوم لتوريد الاغذية اللازمة لهما لعام ٥٤/٥٣ وتطلب القوائم من هاتين الوحدتين على ورقة دمغة فئة خمسين مليما وثمن القائمة مائة مليم يضاف الى ذلك ثلاثون مليما اجرة البريد والعطاءات التى تقدم بعد الميعاد المحدد لا يلتفت اليها

٦٢٥٤

اعلان

تقبل عطاءات بمكتب السيد مدير عام مصلحة الاملاك الاميرية رقم ١٥ بشارع منصور بالقاهرة لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٣ عن توريد اسمدة كيماوية ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ مائة مليما يضاف اليه مبلغ خمسون مليما أجرة البريد . وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة خمسين مليما

٦٢٤٩

محتويات الكتاب

الموضوع **صفحة**

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية


ساعات
ميرامار
چنيف
الساعة السويسرية الدقيقة
MIRAMAR


ترقّب .. يوم ١٣ ديسمبر
ذات الثوب الأبيض
THE WOMAN IN WHITE
الكتاب الثانى من « مطبوعات كتابى »
أعظم ما كتب « ويلكى كولنز »
القصة الطويلة الجبارة التى تفوق « قصة مدينتين » :
١. فى روعة خيالها ٢. فى قوة حبكتها
٣ فى عدد صفحاتها ٤. فى اخراجها وغلافها ولوحاتها
قصة ممتازة - فى حجم ممتاز .. بثمن ممتاز (١٠ قروش)
أوص البائع على نسختك من اليوم
مطبوعات
كتابى
يصدرها: حلمى مراد